

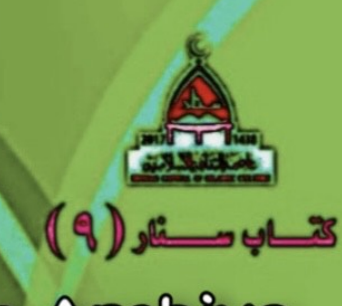
سنّار عاصمة الثقافة الإسلامية (١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧م)

الشريف محمد الأمين الهندي

(١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ م)

حياته وآثاره

بروفسير/إبراهيم القرشي



كتاب سنّار (٩)

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر السودان

922.2 إبراهيم القرشي، -

إ ق.ش

الشريف محمد الأمين الهندي.. حياته وآثاره/ إبراهيم القرشي

.- الخرطوم: الأمانة العامة لسنار عاصمة الثقافة الإسلامية، 2016 م

360 ص ؛ 24 سم

ردمك3-778-4-99942-978

1.الشريف محمد الأمين الهندي – تراجم

أ. العنوان

الأمانة العامة لمشروع سنّار

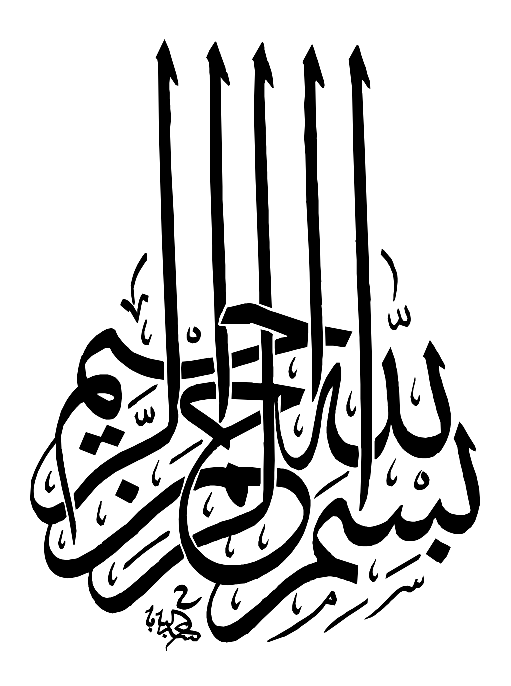
عاصمة الثقافة الإسلامية 1438هـ 2017م

الطبعة الثانية 1438هـ - 2017م



سلسلة كتاب سنار (٩)

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة


بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة العلمية

(سلسلة كتاب سنار)

المشرف

بروفيسور يوسف فضل

التحرير والمتابعة

- بروفيسور إبراهيم القرشي (رئيس اللجنة)
- أ. محمد مصطفى النور (مقرر اللجنة)
- أ. حوى النبي علي صالح
- أ. مصعب عبد الله عبد الفتاح

تصدير الناشر

إن إحياءَ العواصم الإسلاميةِ التاريخيةِ ومحاولةِ البحثِ والتنقيبِ عن الإرثِ الإسلامي الثرَّ الذي لم يلقَ حظاً من الاهتمام، لهو ملمحٌ مهمٌ ودليلٌ قاطعٌ على استئنافِ مشروعٍ تنويريٍّ إسلاميٍّ مهم،وقد أدركَ ممثلو العالمِ الإسلامي في المنظمةِ الإسلاميةِ للثقافةِ والعلومِ أن تَطَلُّعَ الأمةِ لاستعادةِ مجدِها لن يتأتى ما لم يتكئ على أساسٍ متينٍ من احترامِ الماضي وإحيائه، فشرعَ المؤتمرونَ في باكو، بجمهوريةِ أذربيجان في أكتوبر ٢٠٠٩- شوال ١٤٣٠، من وزراءِ الثقافةِ في المؤتمرِ الإسلامي السادسِ، في اختيارِ عواصم دورية للثقافةِ الإسلاميةِ تكون مدخلاً لإحياءِ التراثِ الإسلامي الذي نشأ وتبلور فيها. وتم اعتماد لائحة عواصم الثقافةِ الإسلاميةِ للفترة من عام ٢٠١٥ حتى عام ٢٠٢٤م؛ وتم اختيار سنَّار لتكون عاصمة للثقافةِ الإسلاميةِ في عام ٢٠١٧م.

وبطبيعة الحال فإن اختيار سنَّار عاصمةً للثقافة الإسلاميةِ لم يكن من بابِ المصادفةِ، فقد مثَّلت مملكة سنَّار الإسلامية علامةً مضيئةً في رفعِ رايةِ الإسلامِ والحفاظِ على الموروثِ الإسلامي بعد سقوطِ دولةِ الأندلسِ، واستمرت ترفعُ هذه الرايةَ لأكثرَ من ثلاثمائةِ عامٍ، لكن المصادفة هنا، بل سمِها لطفَ الأقدارِ إن شئت، أن يوافق هذا الاختيار مناسبة مرور خمسمائة عام على إنشاءِ سلطنةِ سنَّار. ولم تكن سنَّار حاضرةَ أولِ سلطنةٍ إسلاميةٍ في

سودانِ وادي النيلِ وحسب، وإنما أصبحت، بموقعِها الجغرافيِّ في صدرِ السودانِ وبتركيبتِها السكانيةِ التي استوعبت جُلَّ الأعراقِ السودانيةِ، أصبحت عنواناً للبلادِ ومركزاً مهماً للإشعاعِ الثقافيِّ والإسلاميِّ في أفريقيا، كما جسَّدت التّمازجَ العرقيَّ والثقافيَّ في ظلِ الروحِ الإسلامي، فهي مثالٌ للتسامحِ الإسلاميِّ وتصالحِه مع الثقافاتِ المحليةِ، الأمر الذي دفع بعض منظري الهُوُّية السودانية لاعتبار سنَّار نموذجاً حياً للتمازج العرقي والثقافي في البلاد، بل صارت دلالة هذا الاسم تنسحب على كل أنحاء السودان؛ فأشارت المصادر التاريخية إلى الرواق السنَّاري في الأزهر، والقافلة السنَّارية في طرق القوافل التجارية، وكلتا الإشارتين تدلان على عموم السودان، وقد عرف أهل سودان وادي النيل في الحجاز ومصر في عهد مملكة سنَّار بالسنَّارية؛ وربما وصفوا بالسنانير كما أشار لهذا الوصف المادح حاج الماحي في رائعته «شوقك شوى الضمير» واصفاً رحلة الحجيج السوداني إلى بيت الله الحرام:

يـــا ربي فـــوق ظهـــير	نمـــــرُق مــــع الخبيـــــر
نِنـــــدلا في القصيــــــر	تـأتيـــــنا البـوابيــــــر
نوصـــــل مدينـــــة الخـــير	النايـــــــب والمـــديــــر
قـــالوا لنـــا بي تبشـــير	حبـــــاب السنـــانـــيـــر

والحق أن مدينة سنَّار قد جسَّدت بموقعها الجغرافي وتركيبتها السكانية والاجتماعية، نموذجاً مصغراً للسودان مما دفع العديد من المفكرين والمثقفين والسياسيين لاعتبارها بوتقة انصهرت فيها مكونات السودان الكبير. وقد اقتُرِح في فجر استقلال السودان اسم سنَّار للدلالة على السودان الوليد، إلا أن الرئيس إسماعيل الأزهري فضل اسم «السودان» الذي عرفت به البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ومع ذلك فقد ظلت سنَّار أنموذجاً للانصهار يحلم بتكراره مثقفو السودان خصوصاً في فترة السبعينيات، فتفتحت قريحة الشاعر محمّد عبد الحي عن أناشيد العودة إلى سنَّار:

الليلة يستقبلني أهلي
أهدوني مسبحةً من أسنان الموتى
إبريقاً جمجمةً،
مُصلاَّة من جلد الجاموسْ
رمزاً يلمع بين النخلة والأبنوسْ

في ضوء هذه الرمزية التي تمثلها سنّار فإن الاحتفاءَ بسنَّار يعني الاحتفاءَ بمختلف المواقع والمناطق والمدن ذات الدلالات الثقافية والإسلامية في السودانِ مثل: دنقله، الدامر، سواكن، حلفاية الملوكِ، العيلفون، أربجي، تقلي، الفاشر، وغيرها من المدنِ السودانيةِ التي كانت بؤرة ضوء للإشعاع العلمي الإسلامي في مختلف الحقب. الأمر الذي يضفي على هذا الحدث بُعدَه الحقيقي ويلقي الضوء على عمقِ الثقافةِ السودانيةِ ومقدرتِها على استيعابِ كافةِ الثقافاتِ وصهرها في بوتقةٍ ثقافيةٍ إسلاميةٍ سودانيةٍ لها خصوصيتها ورمزيتها.

وقد وضعت الأمانة العامة لمشروع سنّار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧ نصب عينيها أن تجعل من هذه الاحتفائية مناسبة لتعزيز: الاهتمام بالموروثات الحضارية والثقافية والمحافظة عليها؛ القيمة الرمزية لمدينة سنّار واستدعاء إسهامها التاريخي؛ السياحة الثقافية بين دول العالم الإسلامي؛ قيم التعاون والتبادل والحوار؛ والمساهمة في: خلق مزيد من الروابط بين السودان ودول العالم الإسلامي؛ وإبراز دور الثقافة السودانية في التعايش السلمي؛ وإثراء البحث العلمي والتوثيق لتاريخ السودان وإسهاماته؛ والتأكيد على: الإسهام التاريخي للأمة السودانية؛ وأهمية السودان وتأثيره في المحيطين الإقليمي والعالمي. ولتحقيق غايات ومرامي الأمانة العامة من هذا الاحتفاء

فقد كان من أوجب أعمال الأمانة تشكيل لجنة علمية للمشروع، وبالفعل تم تكوين اللجنة العلمية وباشرت هذه اللجنة العلمية أعمالها، ويُعَدَّ مشروع كتاب سنّار أحد أهم مشاريعها.

يشمل مشروع كتاب سنّار نشر تقارير المسوحات العلمية في مجالات الآثار والفولكلور والتاريخ واللغة والمجتمع التي قامت اللجنة العلمية بإجرائها، كما يشمل نشر كتب جديدة موضوعها الفضاء الحضاري والثقافي والتاريخي لسلطنة سنّار، واختيار وتحرير ونشر عدد من الرسائل والأطروحات الجامعية الصالحة للنشر ذات الصلة بسنّار عاصمة الثقافة الإسلامية في كافة التخصصات العلمية، وإعادة طبع عدد من الكتب المهمة والنادرة ذات الصلة، وترجمة الكتب المهمة التي صدرت باللغات الأجنبية، وإصدار كتب خاصة بالأطفال تحوي تاريخاً مبسطاً لفترة مملكة سنّار الإسلامية يستهدف الفئات العمرية من ١٠ إلى ١٧ سنة، وتاريخاً مصوراً لفترة مملكة سنّار الإسلامية يستهدف الفئات العمرية ٥- ١٠ سنوات، وحكايات سنّارية منوّعة مقتبسة من تاريخ سلطنة سنّار الإسلامية، ومن كتاب الطبقات لابن ضيف الله، كما تم اعتماد نشر كتاب تاريخ ملوك سنّار والحكم التركي المصري في السودان (لأحمد بن الحاج أبو علي وآخرين (محقق) وترجمة كتاب The Funj Kingdom of

Sennar إلى العربية بعنوان تاريخ مملكة الفونج السنّارية، تأليف: أُو. ج. س كروفورد على سبيل المثال.

ولإنجاز مشروع كتاب سنّار تم تكوين هيئة تحرير اضطلعت بمهمة متابعة الإجراءات المختلفة ليخرج الكتاب على الصورة التي بين يدي القارئ الكريم، وقد أضافت هذه الهيئة لأهداف اللجنة العلمية لهذا المشروع هدف الارتقاء بصناعة الكتاب في السودان بداية باختيار أفضل المؤلفات، وعرضها على التحكيم العلمي الدقيق، وجمعها على جهاز الحاسوب، ومراجعتها وتنضيدها، ومن ثم تحريرها، وتصحيحها لغوياً، وتصميمها، وتصميم أغلفتها، واختيار أفضل أنواع الورق والأغلفة حتى تصل ليد القارئ الكريم في أبهى حلة وأفضل إخراج فني. آمل أن يحوز نتاج هذا الجهد رضا القارئ الكريم واحترامه من حيث الاختيار والمراجعة والإخراج الفني وجودة الطباعة. وفقنا الله وإياكم لما فيه خير البلاد والعباد.

يوسف فضل حسن

رئيس الأمانة العامة

لمشروع سنّار عاصمة

الثقافة الإسلامية ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

تنويه

في رسالة من الشيخ عبد الرحيم محمّد وقيع الله البرعي الكردفاني لشخصي الضعيف مؤرخة في ٢٦/ ١٢/ ١٤٢٤هـ وردت العبارة التالية:

(وهاك مقالة من أبينا الشريف يوسف الهندي:

إن في كردفان شجرة مثمرة ذات ظل ولكن ما أُخذ منها شيء)

وما أرى هذه الإشارة الناطقة بالحقّ والصّدق والصّواب إلاَّ إلى أبيه وأبينا الشريف محمد الأمين الهندي، العلم الفخم الضخم الذي لم يطأ تراب السودان عالم بالقرآن مثله كما قال الفحل الفكي الطاهر.. وهو يرقد هانئاً مطمئناً في ربوة من رمال رهد أب دكنة في شمال كردفان، بعد أن أسدى للقرآن وأولاد المسلمين خدمة قَلَّ نظيرها كما سترى بين ثنايا هذا الكتاب. نفعنا الله بالقرآن وبه، ورضي الله عنهم أجمعين.

المؤِّلف



رسالة من الشيخ البرعي إلى المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسوله الكريم وآله وأصحابه والتابعين

سماحة مولانا الأستاذ العلامة الشيخ

ابراهيم القرشي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكل عام وانتم بالخير

قرأت كتابكم السهل الممتنع شرحا لديواننا وهو حقيقة وافق ما قاله صاحب الديوان أي ما يريده عبارات واضحة ودلالات هامة واشارات مهمة ومعاني دالة على الأمر الموضوع من أجله.

بيني وبينك موعد لا يخلف ... واخاء دين ليس فيه تكلف

ومودة ومحبة في ربنا ... وتزاور وتعارف وتآلف

وشكراً لخدمة الاسلام والمسلمين وهاك مقالة لأبينا الشريف يوسف الهندي

ان في كردفان شجرة مثمرة ذات ظل لكن ما أخذ منها شيئاً. سررنا لكم بقدر محبتنا في الله

١٦/ ١٢/ ١٤٢٤ عبد الرحيم الشيخ محمد وقيع الله البرعي

إهـــداء

هذا أولُ غيثٍ وغَيْضٌ من فَيض، وجُهدُ مُقِلّ، وبضاعة عاجز...

أهديه معتذراً:

- إلى روح قطب القرآن وأبي الحيران الأستاذ الشريف محمد الأمين الهندي.
- وإلى روح المرشد المربي الأستاذ الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين الهندي.
- وإلى مقام حفيدهما وخليفتهما أستاذي وشيخي ومرشدي الأستاذ الشريف الصديق الشريف يوسف الهندي.
- وإلى السادة آل الهندي أحفاد أبي الحيران وتلاميذه وتلامذتهم وأحبابهم.
- وإلى روح جدي الشهيد الفكي عثمان ود أحمد الكاهلي تلميذ الشريف محمد الأمين.
- وإلى روح والدي البار الخليفة القرشي الفكي عثمان تلميذ الشريف يوسف الهندي.
- رحم الله ميِّتهم وحفظ الله حيَّهم.. آمين.

لا يشكر الله من لا يشكر الناس

-الشكر والوفاء والعرفان لوالدي بعد والدي وشيخي ومرشدي وصيّ أبيه على القرآن ووريث آبائه في القرآن والصلاح وخليفتهم المربي العارف الأستاذ الشريف الصديق الشريف يوسف الهندي الذي أرشدني متعلماً وأكرمني معلّماً. وحين أذن لي بتحقيق بعض تراث الشريف قال لي: (نحن إذا مرقنا علم الشريف للناس نكون عملنا عمل كبير) فظلت كلماته ضياءً وزاداً. بارك الله في أيامه.

- الشكر لأديب الساسة وزعيم الأدباء وارث الوطنية السيد الشريف زين العابدين الشريف يوسف الهندي على مباركته هذا العمل وعلى ثنائه الدائم على والدي (أبّا) وآل بيته وعلى تقليده لي ما أسأل الله أن يقوِّيني على الوفاء ببعضه.

-الشكر لسَمِيِّ جده السيد الشريف محمد الأمين الشريف عبد الرحمن الهندي الذي سعى بأقدامه للحصول على بعض أصول هذا البحث حرصاً على تراث جده فله من الله ا لثواب الأوفى.

- وتعجز الكلمات عن الوفاء بحق سميّ جده الأستاذ الشريف محمد الأمين الشريف عمر الهندي (أبو الحيران) أحد حفظة كنوز تراث هذه الأسرة العريقة العاكف على تحقيقه التوَّاق لنشره. فهو بابي ومدخلي إلى تراث الشريف فأنا وما أكتب عَالَةٌ على مصادره وصَدَرَةٌ عن موارده.

-ولا يفوتني أن أترحم على فقيد الأسرة وحفيد أبي الحيران المغفور له بإذن الله السيد الشريف الأمين الشريف الصديق الهندي الذي أحيا سيرة جده وسميه بمعاونة إخوانه الأشراف وأحبابهم وأرجو أن يتوج سعيهم بإحياء نار قرآن ود الهندي.

- الشكر لخليفة أبيه، الشاب الذي نهض بأعباء الكهول السيد الشريف زين العابدين الشريف عمر الهندي فمنه وبواسطته حصلت على كثير من أصول هذا البحث.

- والشكر لصاحب الأستاذية المستمرة عليّ أستاذي في البكالريوس والماجستير والدكتوراه بجامعة الخرطوم حفيد السروراب تلاميذ الشريف محمد الأمين وأصهاره وأخوال السادة الأشراف، ومقدم هذا الكتاب إليكم العالم الجليل الدكتور الحبر يوسف نور الدائم عظم الله ثوابه وأكرم جنابه.

-الشكر لأسرة الشيخ المكاوي الفكي الفضل بقرية ود نعمان – نواحي الحوش – الذين طلبت منهم تصوير أصول مخطوطات الشريف محمد الأمين وقام بهذا المسعى الشريف زين العابدين الشريف عمر الهندي بصحبة الأستاذ الورع الشيخ مأمون الشيخ عبد الله (ود تميم) برفقة أشقائي محمد أحمد والهندي وعبد الله أبناء الخليفة القرشي فلهم من الله جزيل الثواب. وقد أفادهم آل الشيخ المكاوي بأن المخطوطات بطرف الدكتور علي العوض عبد الله وزودهم الأستاذ الجيلي الشيخ المكاوي – مشكوراً – بكتاب للدكتور العوض يطالب فيه تسليم أصول المخطوطات لحامله. فزاره لهذا الغرض الشريف الأمين الشريف عبد الرحمن الهندي وابن أخي الهندي فاعتذر الدكتور بأن الأصول ليست معه وزودهم ببعض مصورات المخطوطات فله ولهم جميعاً من الله الثواب الوافي.

- الشكر لمديرة قسم المخطوطات بدار الوثائق القومية الباحثة الأستاذة إخلاص مكاوي التي عهدناها مذللة للباحثين كل صعب ومعينة لهم بأسلم قلب. فقد يسرت لنا الاتصال

بالشيخ محمد التهامي الحسن الذي أذن لنا مشكوراً بتصوير مخطوطات الشريف محمد الأمين المودعة من قبله بدار الوثائق فلها وله وللدكتور يحيى محمد إبراهيم منا الشكر ومن الله عظيم الأجر.

- الشكر لأستاذي الدكتور سر الختم الحسن عمر وزميلي الدكتور عبد الهادي الحاج على تفضلهما بالنظر في الكتاب وإبدائهما الملاحظات المفيدة والتوجيهات السديدة.

-الشكر للكاهلي الصميم ابن الزعيم الهميم الأستاذ غازي عثمان جاد الله مدير مطابع ولاية الجزيرة على تحمسه لمشروع الكتاب وتحملهم نفقات طبعة السودان من هذا الكتاب.

-الشكر لمركز عبد الكريم ميرغني الثقافي منارة العلم والثقافة بأم درمان ومركز الإشعاع الحضاري بالسودان، بقيادة الأستاذ كمال عبد الكريم ميرغني وآله وإشراف الأستاذ محمود صالح عثمان صالح على مبادرتهم الكريمة بالمساهمة السخية في طباعة هذا الكتاب.

-الشكر لفريق العمل الذي شجعني حماسهم على مضاعفة الجهد، إخوتي: حفيد السروراب الأستاذ محمد حامد الأمين، وحفيد الفكي صالح الحاج موسى الأستاذ بكري محجوب، وشقيقي الصبور كامل القرشي وحفيد الخليفة القرشي ابن أختي بدر الدين أحمد كرار وابني محمد إبراهيم.

- الشكر لابن أخي الهندي محمد أحمد القرشي حلقة الوصل المحكمة بيني وبين مصادر التراث والمكتبة السودانية.

- الشكر لإخوتي وأبنائي وأسرتي الذين تحملوا مع الغربة انقطاعي الطويل عنهم فصبروا وعذروا.

- مني لكل هؤلاء ولكل من ساعد وشجع جزيل الشكر ومن الله عظيم الأجر. سائلاً الله أن تشمل الجميع بركات القرآن وبركات خادم القرآن وعلومه الشريف محمد الأمين الهندي – عليه رحمة الله ورضوانه.

تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور الحبر يوسف نور الدائم

أستاذ اللغة العربية وآدابها، عضو المجمع اللغوي وأستاذ الفكر الإسلامي بجامعة الخرطوم

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه، وصلّ اللهمَّ على سيِّد الخلق، الناطق بالحق سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن استقام على هديه وشرعته ومنهاجه.. ثم إنَّ الدكتور إبراهيم القرشي من خريجي جامعة الخرطوم الذين نالوا حظاً من نباهة.. تخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية.. وقسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم تَجْمَعُ بين أهله صفات مشتركة، وخصائص متقاسَمَة مما صبغه بصبغة جعلت منه جسماً متناسقاً تؤلِّف بينه روح طيِّبة، وتتخلَّله نكهة زاكية، ويشدّه حبل من الود والبر والوفاء متين. وهذه صفات أصبحت فيه كالمتوارثة التي تنتقل من جيل إلى جيل وتسري من طبقة في طبقة. يرى اللاحق كيف يكون التعامل اللَّبِيْقُ في سابقيه فإذا به متأثِّر منفعل بما يرى. وهو أمر مشاهد ملحوظ في هذا القسم المبارك الميمون.. لا يعرفون تزاحُماً أَرْعَنَ على ثَرِيدٍ أعْفَر، وليس بينهم ما بين الأقران من تحاسد وتدابر وخبث، بل بينهم من الإخاء والمناصرة والمؤازرة ما يدفعهم إلى الإيثار ومكارم الأخلاق من تهذيب وتشذيب وحسن خطاب مهما تلاحقت الأكتاف، وتساوت الأقدام وتشابهت المقامات فالأستاذ أستاذ، والتلميذ تلميذ ولن تعلو عين على حاجب! ومن ها هنا جاءت مخاطبة د. إبراهيم القرشي في البدء والختام "أُستاذي".. "تلميذكم" ولو حاول غير ذلك لما طاوعه قلمه، وهذا ما درجنا على تسميته في جامعة الخرطوم "بالجو الصحي المعافى" الذي لن تجده في مكان آخر على كثرة بحثك وتنقيبك وتنقيرك.

بعث إليَّ د. إبراهيم القرشي بمخطوطته عن الشريف محمد الأمين الهندي، وجاء من دفعها إليَّ بخطاب من المؤلف ملتمساً النظر فيه؛ فقلت في نفسي- لقد وجد الشريف محمد الأمين الهندي – وهو من هو، معرفة بالقرآن وعلومه وتضلُّعاً في البيان وفنونه – من يبرزه للناس في صورة إلى حقيقته أقرب، وهي به أشبه؛ وذلك لما أعرفه عن د. إبراهيم القرشي من جدّ ومثابرة، وصبر ومصابرة، وجَلَد وقوّة تحمُّل فما من موضوع يهجم عليه إلا لملم أطرافه، وسَبَرَ غَوْرَهُ، وأحاط بأقطاره. فإذا زدت على شغفه بالعلم محبته لآل بيت الهندي فقد أُعِدّت العُدّة، واكتملت الأداة، وَوَرَى الزَّند، وأورق العود، واشرأبّت الثمرة لقاطفٍ مُجِدٍ حَذِق. ولعلّه ما فعل ما فعل، إذ دفع إليّ بمخطوطته القيّمة، إلا لمعرفته بما لنا من مصاهرة ونسب وقرابة ومشاركة في العلوم مع آل بيت الهندي الكرام. واسمع لأبي يوسف[1] عليه رحمة الله وهو يرثي علماً من أعلام بيت الهندي:

انخسف القمر والليل ظلامه ازداد

وانفقد الشريف واتحجّب الإرشاد

زائد بالتقوى خير الزاد

ولقد ذكر المؤلف شيئاً من ذلك حين أشار إلى السيِّدة الفضلى السروراببية الكريمة (شموم بنت أحمد ود الزين "الأرباب") والدة الشريف يوسف الهندي رحمهم الله أجمعين. كما أشار إلى جَدّنا الفكي الطيِّب الإزيرق ولو علم ما لأبيه "الفكي الإزيرق" من صلة وثيقة عميقة

(١) هو الشيخ يوسف نور الدائم – عليه رحمة الله – والد الدكتور الحبر كاتب المقدمة وقد كان شاعراً فحلاً مجوداً استشهد الدكتور عون الشريف قاسم ببعض أشعاره في معجمه النفيس (قاموس اللهجة العامية السودانية)، وللشيخ يوسف – رحمه الله – ديوان شعر مخطوط، وله في آل الهندي قصائد جياد مستحسنات. (المؤلف).

بالشريف محمد الأمين لما أغفله وقد أُثر عن الشريف أنّه كان يقول (من جهة الشَّرَفْ شَرَفْنا محقّق ومدقّق لكن من جهة القرآن شيخنا الإزيرق) وقد نزلا ذات مرة في قرية من القرى فاستبشر الناس بهما خيراً فكلاهما ممن يصحُّ فيه قول الآخر:

وأبيض يُسْتَسْقى الغمامُ بوجهه ربيع اليتامى عِصْمةٌ للأرامل

قالوا إن أهل القرية جاءوا بلوحٍ وطلبوا من الشريف أن يكتب لهم آية من القرآن الكريم من باب التبرك فكتب الشريف البسلمة "ويا حبذا ذاك التقيُّ المُبَسْمِلُ" فقال الفكي الإزيرق "البركة تَمَّتْ" وأخذ اللوح وكتب الآية، وعندما سأله الشريف محمد الأمين عن سِرّ انتزاعه للوح أجاب إجابة دبلوماسية لبقة مشيراً إلى شهرة الشريف التي طبّقت الآفاق، وشرّقت وغرّبت فإن كان ثمة خطأ أو سهو أو نسيان فلينسب إلى من هو أقلُّ شهرة، فانظر أيّ ذكاء لماح وتوفيق أخّاذ امتاز به أولئك النفر الميامين.

لنا الكؤوسُ ونحنُ المُنْتَشُونَ بها السَّاقي مِنَّا ومنَّا الصَّادِحُ الشَّادِي

لقد كان لي شرف الإشراف على رسالة د. علي العوض التي اعتمد عليها د. إبراهيم القرشي في كثير من المواضع من مخطوطته الرفيعة التي نأمل أن ترى النور قريباً ليعُم نفعها، ويعفو أثرها، ويذيع فضلها فإنَّ فيها من الفوائد العلمية الغزيرة ما حقُّه أن ينشر على الناس وألا يظل مقبوراً مطموراً بين الأضابير ومن حق المِسْك المفتُوق أن تُتيح له فرصة التَّضَوُّع والذُّيوع فإن أُوْكِي المَسْكُ[1] الذي حُشِيَ مِسْكاً فقد ظلمناه وما قدرناه حق قدره.

(١) أُوكي: شُدَّ. والوِكاء: رباط القربة يشدُّ به فمها. والمَسْكُ بفتح الميم – جِلْد الحيوان وجمعه مُسُوك. قال ابن منظور: وفي حديث خيبر: أين مَسْك حُيَيْ بن أخطب، كان فيه ذخيرة من صامت وحُليّ قومّت بعشرة آلاف دينار. كانت أولاً في مسك جمل، ثم مسك ثور.. قال سلامة بن جندل:

لقد صمَد د. إبراهيم القرشي صَمْدَ المصادر التي أشار إليها د. علي العوض وغيره فطفق يستفتي وينقل عنها، ويقبل عليها إقبال نَهِمٍ مقرور(٢)فآتته من كنوزها ما بخلت به على كثير من الباحثين فكانت الإشارات المكرورة إلى منظومات الشريف محمد الأمين، وكان الذكر المُطَّرد لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن الأغبش الذي نالت فيه إحدى الطالبات المحسنات اللواتي أشرفتُ عليهنَّ درجة الماجستير. ولم ينس أن يشير إلى (سُلَّم المريد إلى علم التجويد) لود مدلول.

هذا، ولقد أمتع د. إبراهيم القرشي ناظِريّ بأن مدّني بهذه المخطوطة النافعة الممتعة فجزاه الله عنّي خيراً وإني لأعدّ هذا من باب البر الذي عرف به د. إبراهيم القرشي وعرف به إخوانه خريجو قسم اللغة العربية ممن أُتيحت لهم فرصة دراسات عليا في علوم القرآن وعلوم العربية. ولقد ذكرتُ "الدكاترة" زكي مبارك عندما أراد أن يُخرج للنَّاس كتاباً عن الشريف الرَّضي سماه "عبقرية الشريف الرضي" وأورد فيه قول الشريف مفاخراً بنفسه:

أنا النُّضَارُ الذي يُضَنَّ به ... لو قلَّبَتْني كَفٌّ مُنْتَقِدِ

وكتب تحته أشهد أنَّك قد وجدت المنتقد أيُّها النُّضار!! وما من ريب أن الشريف محمد الأمين الهندي لما له من قدم راسخ، وباع طويل، وضرس قاطع في القرآن وعلومه ذهبٌ إبريز، ونُضَار خالص. ولا أشكُّ أنه قد وجد في د. إبراهيم القرشي لما له من صبرٍ وبَصرٍ ومحبة مُنْتَقِداً فذّاً يُمْعِنُ النَّظر، ويجيد البحث، ويحسن التأمل في تنسيق وترتيب وتكامل.

فاقْنَيْ لعلك أن تحظي وتحتَلِي ... في سَحْبَلٍ من مُسُوك الضَّأن مَنْجُوب

(المؤلف)

(٢) النَّهِم: المفرط في شهوة الطعام. المقرور: الذي أصابه البرد. (المؤلف).

ولقد لقيت الأستاذ الكبير، والسياسي البارع الشريف زين العابدين الهندي وجرى ذكر المخطوطة وصاحبها فقال في دهشة: لقد علمنا د. إبراهيم القرشي ما لم نكن نعلم عن الشريف محمد الأمين الهندي. وهذه شهادة يعتز بها صاحب مخطوطة (الشريف محمد الأمين الهندي.. حياته وآثاره) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. الحبر يوسف نور الدائم

أم درمان

في ١٩ شعبان ١٤٢٥هـ -٣ أكتوبر ٢٠٠٤م

الشريف يوسف الهندى اوصى لابن ابنه محمد الامين
ابن الشريف عمر وهو صحيح البدن ممتلئ الروح حاضر
العقل بمحضر من المسلمين بسيف الامام المهدى
وبيت مصطفى بلال احمد فرح وصيه لوجه الله
لا ينازعه فيها منازع والسلام

الشريف يوسف محمد الامين الهندى

٢٩ رمضان سنة ١٢٦١هـ
عام ١٩٤٠م

الحسن الشريف عبد الرحيم الهندى

حسين الهندى

رسالة من الشريف محمد الأمين الشريف عمر الشريف يوسف الهندي (أبو الحيران) عليه رحمة الله تلقيتها بعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب

أخي الحبيب وابن " أباً " النبيل البار بشيوخه وأجداده وآبائه كافة بر الأبناء المخلصين للآباء الصادقين وبر الآباء للذرية _ صديقي الأستاذ الدكتور إبراهيم الخليفة القرشي (رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له العطاء والثواب) وكفى به أن أنجب مثلك وإخوانك الكرام أبناء يدعون له بالرحمة والمغفرة والقبول ونحن معكم بإذن الله تعالى ذلك أنه " أبا " الجميع .... وكفى...

أشهد الله أخي إبراهيم ما أعجبت (ولكثرة ما أعجبت فيما قرأت ثم أعجبت) بكتاب عظيم مثل كتابك عن أبي الحيران قطب القرآن .. وكم حمدت الله كثيراً أني أعطيت القوس باريها يوم أن أسندت لكم تكملة مشواري مع تراثنا جميعاً بل وبأفضل مما عندي من عطاء في هذا المجال الأدبي الثقافي التاريخي بل الفنِّي وذلك بحكم تخصصكم وبراعتكم التي خبرتها وعرفتها جيداً ولله الحمد أن كان خياري لكم من بين عشرات الأساتذة الكرام خاصة أستاذي الدكتور يوسف فضل الذي دعم رغبتي بل شغفي واهتمامي بتراث بيتنا وتاريخه منذ عهد باكر في حياتي وشبابي وسنواتي وأنا طالب في جامعة الخرطوم أواخر الخمسينات من القرن الماضي حين كان هو ومعه الدكتور عبد الوهاب نسيبنا في أبنتنا من الهندي الشريف الأمين (رحمهما الله) ومعه أخونا الأستاذ الشيخ الطيب محمد الطيب حين كانا باحثين في وحدة أبحاث السودان يحققان معه كتاب ود ضيف الله ، وهناك عثروا على إشارات في هذا الكتاب على اسم الشريف علي الهندي وجزيرة مرنات.. وهنا دخل أخوك (أبو الحيران) الصَّغير

(The 2nd or junior) على الخط معهم وكان أن أوصلته لأعمامي الخلفاء الأوائل المرحومين الأشراف عبد الرحمن (وكان ذلك عام ١٩٥٠م) ثم إبراهيم عام ١٩٦٨م في محاولة ثانية منه للحصول على " تاج الزمان " الصيد الذي جرى ومازال الكثيرون وراء صيده وأراد الله في عليائه أن يكون من نصيبك ومن معك بإذن الله ونحن معهم لعل الله يكرمنا جميعاً بإخراج هذه التحفة التاريخية الثقافية في أحلى وأقشب أثواب تحف المؤلفات السودانية ...عما قريب !

أما لماذا كان اختياري لك دون الآخرين من أساتذتي وأصدقائي أمثال د. عون الشريف ود. الحبر نور الدائم ود. جعفر ميرغني ذلك أنك تمتاز عليهم جميعاً بصفة تقاصرت عنها صفة المعرفة العلمية أو الفنية المشتركة بينكم كمعلمين وأساتذة أصحاب تخصص علمي دقيق لغة عربية عظيمة وقرآناً عربياً مجيداً ألا وهو فضل بُنُوَّتِكَ لخليفة خلفاء الشريف " أَبَّـا " العظيم كما كان يحلو لآبائنا خاصة الفاروق مناداته بهذا الاسم براً به كوالدهم شيخ الكل وأبو الكل يوسف الهندي العظيم ... في هذا البيت الكبير .

ومن هنا أخي وشقيقي في بيت الشريف الهندي وبحكم ترتيبك من بعدي زماناً ليس إلا ومن ثم معرفتك التامة بكافة دقائق هذه المعرفة المكتملة الضخمة كان خياري لك لتكملة المشوار موفقاً أحمد الله عليه ما دمت حياً ولعل في اختيار الشريف يوسف لي دون كافة أخواني الأحفاد أو حتى آبائي الأعمام الكرام للعناية بأمر تراثنا وأنا في الرابعة من عمري طفلاً يدب على الأرض لا يدري من أمر الدنيا شيئاً وذلك بوصية منه تحديداً وصية مكتوبة ذات شفرة صوفية واضحة لا تخفى على العارفين ، كتبها عام ١٩٤٠م قبل أن يكتب وثيقة تركته لأبنائه المباشرين وعهد بها إلى الشريف عبد الرحمن الخليفة الأول أن يسلمني لها " حين أَرْشُد "

ولكم أن تتمعنوا أخي إبراهيم في مغزاها ومعناها ولب محتواها بل وشفرتها الصوفية العميقة التي ظللت أنوء تحت مسؤولياتها الرَّسالية الجسام وأنا طفل ثم صبياً ثم حين أصبحت رجلاً وكهلاً وأعني بها ... أمانة وحراسة وإعداد ثم تطوير تراث بيته الكبير.. وقد تم ذلك بحمد الله تلقائياً دون توجيه من أحد بعينه.. (خليفة كان أو غيره حتى ولا والدي الشريف عمر رحمه الله) ولعل هناك سراً في اختياره لي وأنا طفل ودون حتى توجيه واضح منه بذلك بالطبع غير تلك الوصية المكتوبة على ما فيها من عجب وغرابة في ظروف كتابتها وكاتبها وظروف المكتوبة له واللطيف أن والدنا الشريف عبد الرحمن سلمني إياها عام ١٩٦٣م حين أصبح عمري ٢٧ سنة وكنت في طريقي إلى لندن لدراسة الاقتصاد (proper) تخصصي العلمي ، ولم يكن يومها له كلية خاصة به في جامعة الخرطوم وقال لي عمي عبد الرحمن _ ها أنت ذا رشُدت يا ابني وترك لك جدك أمانة في عنقي أحتفظ بها في خزانتي حتى رشدت حسب تعليماته لي وأنت اليوم مسافر بعيداً جداً والدنيا غير معروف أمرها وربما لا نلتقي هنا مرة أخرى _ فهاك أمانتك عندي _ وشهد بذلك تلميذه أخونا عوض مَحَّان – وهي مرفقة – وقد جاء بها إلينا من خزنته في "البِرْبَة"... وشاهدي في كل ما ذكرت اختياري لك بها كان ضمن هذه الشفرة الصوفية غير المعلنة وسرها في التقاء روحين وشخصين وقلمَين وجُهدين لأحفاده في الدم ، وفي الله وفي الدين وفي الوطن ، للحفاظ على تراث آل بيته -أخي إبراهيم في هذا البيت الكبير .... فبحساب الأنساب والأحساب والألقاب والأعمار أو السنين/ أنا عمك كواحد من أبناء الخليفة عثمان الأصغر من الخليفة القرشي بالطبع- وفي نفس الوقت أنت عمي لجدنا الثاني الخليفة القرشي نفسه بحكم " أبا " مناداته الحبيبة لآبائي كلهم ما أحلاها من أبا.

أخي إبراهيم سبق أن طلبت مني شهادة لله والناس أجمعين أن اختياري لك لتكملة مشوارنا مع تراث آل الشريف الهندي كان وما زال بمباركة شيخنا وأبينا وسيدنا الخليفة الشريف الصديق الهندي أطال الله عمره وأمده بالصحة والعافية ذخراً لأهلنا وأحبابنا على امتداد الوطن والطريق الهندي المستقيم .... ومعذرة أخي إن تأخرت هذه الشهادة قليلاً لكنها بإذن الله وقدره وقدرته باقية على الدهر ما بقينا – ويا جبل ما يهزك ريح ناهيك عن " ريح " ....

أخي إبراهيم لي ملاحظات في كتاب قطب القرآن لعلها تحسن من عرضه وتزيد من روعته يا رائع الفكر والأداء والعطاء الثقافي والأدبي وقبلها الديني والإنساني في دروب العلم والمعارف... جزاك الله عن بيت آلك آل الشريف الهندي الجزاء الأوفى يا إبراهيم !

أما الملاحظات فهي:

- ص١٣/ ١٤ – خلوة الشريف محمد الأمين بالسلوطية في مكة بحثنا عنها هناك في واحدة من حجاتي مع شيخنا وأبينا الخليفة الشريف الصديق أطال الله عمره مع الصحة والعافية وكان معنا يومها الفكي إدريس محمد عبد اللطيف وجاوين الشريف وآخرين ممن كانوا في معيته بالحج يومها فلم نجد لها أثراً ولكن أعتقد قامت في مكانها مدرسة حديثة وبالطبع مكة كلها تغير وجهها بصفة كبيرة في السنوات الأخيرة.

- ص٤٣ – ذكر لي واحد من أتباع الشريف بحلة رامه – قرية الوالد رحمه الله ـ نسيت اسمه أن واحداً من تلاميذ الشريف محمد الأمين ــ من القراء ــ من حلة أم كيزان أراد أن يمتحن مقدرة الشريف على تتبع قراءة تلاميذه أمامه وإصلاح من أخطأ أو كسر القراءة منهم في نفس الوقت ... ومن ثم تعمد ذلك التلميذ الكسر في القراءة حتى يرى ماذا يفعل الشريف .

عندها قال له أستاذه : " هوي يا زول أم كيزان .. لا تكسر القرآن .. شاهد الله أنا كلي آذان !" .. هكذا روى هذا القول لي زول رامة الذي نسيت اسمه وقد طال العهد على ذلك واضمحلت الذاكرة إلاّ من هذا السجع العجيب.

– ص ٤٩ – السطر السادس أفضل إضافه الكلمات بتحديد إقامته بالقرب من مركز السلطة" وذلك بعد كلمة مقيداً" مع ذكر أنه سجن في كوبر مدة ستة شهور وله باب باسمه هناك والشريف زين خير من يدلك على هذا الجانب من تاريخ والده إذا أردت استيضاح شيء من هذا القبيل.

وبالمناسبة فقد سلمته مقدمتك للكتاب أمس تحديداً فعلق بالآتي نصاً حرفياً–

" هذا عمل عظيم من شاب عالم " – وسبق أن قال لي ما كنت اعرف أن للخليفة القرشي ـ رحمه الله ـ ابناً بهذا المستوى العلمي الرفيع حتى رأيته واستمعت له يوم الزيارة المشهورة منكم له .. ولما كانت تعليقاته في محلها قلت له : سيدي أحمد الله أن وفقني لاختياره ومنذ سنوات لتكملة مشواري مع التراث لما عرفت فيه من ميزات وصفات فوق العلم والنباهة والإخلاص في القول والفعل ولا أزيد – حفظك الله أخي .

ختاماً:

أخي الحبيب إبراهيم:

تقديراً مني لجهدك العظيم في أعظم كتاب من مؤلفات آبائنا وأجدادنا الكرام – كتاب الشريف محمد الأمين قطب القرآن وأبو الحيران الأول – أطلت في رسالتي هذه إليك حرصاً مني على المساهمة (المأجورة عند الله تعالى لكلينا) في إبراز هذا التراث القيم الذي تعاهدنا على نشره

للناس في أحلى حلله وأقشب ثيابه .. كيف لا وأنت صاحب الخبز وباري القوس التي سلمتك إياها وأنت سيدها ... فإلى الأمام إلى الأمام وفقك الله وحفظك .. وسنكون سوياً ومعاً إلى أن يأخذ صاحب الودائع وديعته منا..

ولكم كل حبي وتقديري ودعائي المخلص والكثير

مع تحياتي وسلامي لك ومن معك

أخوكم المحب المخلص

أبو الحيران: الهندي عمر الشريف الهندي(*)

٧/ ١٠/ ٢٠٠٤م

* توفي عليه رحمة الله ورضوانه في نوفمبر ٢٠١٤م

رسالة من قارئ (الشيخ الأستاذ علي السماني) الرياض



علي السماني

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز وأستاذنا المتفرد الدكتور إبراهيم القرشي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله وأصلي وأسلم على رسوله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

إذ نحن في جزيرة الرباطاب أطفالاً كنت أسمع في أغاني الدلوكة قول المغني فيما يقول:

الكواهلة أهل الحي سيفهن ماب يشيلوا جني

وكنت آنذاك لا أدري ما الكواهلة، إلا أني كنت أفهم من هذا الغناء أنهم أهل قوة وبأس شديد.. ثم إن الدهر من حسناته جمعني ببعض أبناء الكواهلة، فعرفت لماذا كان أهلنا في الرباطاب وهم في أقصى الشمال يتغنون بمحاسن أخوتهم في قعر الصعيد. وعرفت أن في الكواهلة علماء أجلاء يأتونك في زي من البساطة والبشاشة والحبور ما يدخل على نفسك الفرح والسرور.

وصلاة ربي على الخيارا محمداً عالي المنارا

ونحن - أعني في السودان - قوم مجحود فضلنا، خامل ذكرنا، بارد صوتنا، ذلك أننا لا نحسن تقديم أنفسنا ومحاسننا، بل لا نحسن إخفاء عيوبنا، ولعل مرد ذلك أننا أبناء تربية تكرس سلوك التواضع، ونفي الأنا، وهضم الذات، إلا أن كل ذلك كان على حساب هيبتنا وقوة كينونتنا، وشامخ مجدنا، وما أسميته أنت (التواضع السلبي).

أقول: لله درك إذ أبرزت في مصنفك الرفيع عن الشريف محمد الأمين رحمه الله - أبرزت عالماً غطى على فضله غبار النسيان، وجهل أمره حتى ذوو الفطنة والعرفان. فما أجمل ما صنعت، وما أليق ما أظهرت، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل.

وكان من عجيب دليل صدق العلامة الشريف محمد الأمين أنه لما سمع صيحة المهدية (عرض مهدية) ثم لما بدا له شيء مما يدركه أمثاله في أمر المهدية انتقدها صادقاً، فلم يبرح الصدق في حالتيه.

فالله الله، ولله دره من عالم حبر صادق.

وقد أعجبني من سيرته أيضاً أنه لم يكن إلا صاحب كتاب وسنة، لقد كفاه مولاه بما حباه من نفيس المعارف في الكتاب والسنة، ولعمري فإن في هذا الغنية والكفاية لمن أدركته العناية.

أما مصنفاته - وما أكثرها وأجلها - وأراجيزه، فإن فيها الدلالة على جودة قريحته وتمكنه من أدواته، مع حرارة عاطفة، ورنة إيمان شفيف رهيف. وأنا هنا لست بصدد النقد والتقديم، ولكني معجب من حقه أن يهيم.



علي السمان

أخي الكريم والفاضل الحميم :

لقد أخجلتني إذ لقبتني أستاذاً لك في صدر إهدائك الكتاب ، إلا أنني استصحبت أنك ترتشف من كأس هؤلاء المنكسرة قلوبهم لشأن الله ، وتكرع من دررهم المدرار .

فبارك الله في علمك ، ونفع بك ، وكتب لما يخطه قلمك السيرورة والمضاء .

هذا وما أنا إلا أحد طلبة العلم الذين يتشبهون بالصالحين من أمثالكم ، ولكم من الله الحسنى وزيادة ..

ومني خالص الوداد ،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

أخوكم المحب

علي السمان

محرم ١٤٢٦هـ

مقدمة

الحمد لله المتكفِّل بحفظ كتابه العزيز في قوله الحق: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ الحجر، والصلاة والسلام على حبيبه ورسوله وصفيه وخليله القائل: (خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه).

قال لي أحد علماء السودان وأحد الدعاة البارزين في المحافل العلمية العربية والدولية: (أريد عالماً سودانياً واحداً ليس على شاكلة ود ضيف الله وأضرابه ممن جمعوا جمع حاطب ليل). ومع تقديري لود ضيف الله رائد التأليف والتاريخ في السودان فهآنذا أقدم له وللسودانيين وللمسلمين قاطبة بكل فخر وإعزاز هذا العالم الرباني والقطب القرآني عالم زمانه وأستاذ أوانه سيدي الشريف محمد الأمين الهندي قطب القرآن وخاتمة القراء المحققين في السودان في العهد التركي وأوائل المهدية. (القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي).

وفي هذا الجهد المتواضع سيقف القارئ الكريم على عالم زاهد ناسك منقطع لعلم القرآن ساح في طلبه خمساً وعشرين سنة في ربوع السودان ورحل إلى مصر وهاجر إلى الحجاز ثم قفل إلى مصر ومنها إلى وطنه حيث جلس لخدمة القرآن وعلومه نحواً من خمسين سنة لم يشغل نفسه بشيء سوى القرآن وتعليمه حتى بلغ تلاميذه ألوفاً مؤلفة.

كما سيقف القارئ في هذا الكتاب – إن شاء الله – على آثار عالم ضليع وحافظ ثبت ومصنف حصيف وناظم بارع ألف عشرة مصنفات في علوم القرآن وقفنا على أربعة منها وكانت منظومات بلغت أبياتها نحواً من ألفي بيت (١٨٨٣ بيتاً) في علوم الرسم والضبط والأداء والتجويد والقراءات القرآنية، تميزت بشمول وإتقان وضبط نادر.

وبعض الخاصة من المطلعين والباحثين وكل السودانيين من أحفاد تلاميذ الشريف محمد الأمين وتلاميذ ابنه الشريف يوسف الهندي يسمعون عن الشريف محمد الأمين ولكنهم لا يعرفونه المعرفة الحقّة. وسائر السودانيين لا يعرفونه إلاَّ من ترامت إلى سمعه نُتَفٌ من أخباره وسيرته.

لقد كان الشريف محمد الأمين في زمانه علماً في رأسه نار، اشتهر بأسلوب نادر في تلقين القرآن وتحفيظه مجوداً وتدريس علوم الرسم والضبط والقراءات مضبوطة مُقَعَّدة حتى كان الناس يقولون (قرآن ود الهندي) وتلقّته عنه الآلاف العديدة وتقاطرت على خلاويه وفود الطلاب من أصقاع السودان حتى صار مسيده قبلة لقاصدي علوم القرآن وأصبح تلاميذه ومصاحفه مرجعاً لخلاوي السودان، كما سترى في سيرته.

وكان جليلاً في زمانه حتى إن الإمام المهدي قصده في مسيده بحلة الشريف يعقوب في شرق الجزيرة وعرض عليه دعوته في جملة من عرضها عليهم من أهل الخير والصلاح قبل أن يصدع بها. وسترى أنه بعد أن هاجر إلى رهد كردفان كان الإمام المهدي يزوره في محله ويحمل إليه الطعام بنفسه ويناديه دائماً بقوله (يا والدي). وقد أبطل الإمام كل عمل سوى عمل الشريف وذكر أنه أمر بانتزاع كل أمانة إلا أمانة ود الهندي. وكان يجله مشايخ السودان وحكامه وأعيانه مثل ود أب سن زعيم الشكرية ومدير مديرية الخرطوم وابنه عوض الكريم ومحمود ود زايد زعيم الضباينة المشهور بالكرم والشجاعة. وكان مهاباً لدى الحكام والولاة الأتراك وكان شديداً عليهم وله معهم مواقف وكان مسيده محرماً على جباة الطُلبة (جامعي الضرائب) بل كان الشريف معروفاً مهاباً حتى لدى مشاهير الهمباتة من أمثال بامسيكة البطحاني وله معه مواقف. وكان محكَّماً في الخصومات وله جاه وشفاعة لا تُردّ. وكان مع مهابته متواضعاً عفيفاً لا يقبل أجراً من دولة ولا هدية من متعلم، زاهداً يزرع ويحش بيده مع

تلاميذه لتوفير مُونَة عامهم. وكان مسيده عامراً بالأضياف يأوي إليه الناس مع كل لون، ويغشاه العلماء والمداح والشعراء والرواة ومشاهير الفرسان.

وقد أشاد بفضل الشريف المؤرخون من أمثال الفحل الفكي الطاهر في كتابه (تاريخ وأصول العرب في السودان) والمؤرخون الأجانب مثل نعوم شقير في كتابه (تاريخ وجغرافية السودان) وريتشارد هيل في (قاموس التراجم) والبروفسير أس. آر. أوفاهي في كتاب (الأدب العربي في أفريقيا)، وفي مجلة (المصادر التاريخية لبلاد السودان).. وقرظه العلماء كالمفتي السني الشيخ الطيب أبو قناية، وأثنى عليه معاصروه كالشيخ ما لك محمد محمود واهتم بسيرته وتصانيفه علماء الدراسات الإسلامية كالشيخ يوسف إبراهيم النور صاحب كتاب (مع المصاحف) والشيخ يوسف إسحاق حمد النيل مدير الشؤون الدينية. ووثق له الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم في رسائل الإمام المهدي، ووقف على جهوده الباحثون المحدثون كالأستاذ الطيب محمد الطيب في كتاب (المسيد) والدكتور علي العوض في أطروحته العلمية. ومع كل هذا فما الذي يجعل الأجيال تنسى علماً كهذا؟.

لعل لذلك أسباباً؛ أولها عندي أننا – إلا أقلنا – لا نقرأ المكتوب من تاريخنا ولا ننقب في غير المكتوب. ولا نضع جهود علمائنا في الميزان ولا نكلف أنفسنا إبرازها ولا عرض ما عندنا على الناس حتى ظنّ من لا يعرفنا أنْ ليس لنا علماء ولسنا أهل اختصاص بشيء من العلم. وفي السودانيين تواضع سلبي أضر بقدرنا عند الناس، وقضت علينا قلة المبادرة وأخملت ذكرنا أحدوثة ضعف الإمكانات المادية.

وثاني الأسباب في تقديري ظهور الثورة المهدية بأحداثها العظام، فقد غطّى ظهورها على شهرة الشريف محمد الأمين في أوجها وكانت وفاته مع بداية زحف جيوش الإمام المهدي إلى

الخرطوم. ثم ما أعقب ذلك من خمود نيران القرآن المنتشرة وانشغال الناس بالجهاد واستشهاد الجموع الغفيرة من تلاميذ الشريف في حروب المهدية.

والسبب الثالث تقلُّص نشاط الخلاوي في المهدية وبعدها وبداية انتشار التعليم الحديث بدخول المستعمر الإنجليزي واتجاه الناس إلى التعليم النظامي ثم ظهورالمصاحف المطبوعة واتجاه الناس إلى توحيد القراءات وانتشار قراءة حفص عن عاصم.

والسبب الرابع ضياع مصنفات الشريف؛ ففي غمرة أحداث المهدية وفي خضم التيار الحديث ضاعت مصنفات الشريف التي كانت منتشرة بأيدي الناس وانزوى القليل منها في جيوب نائية لدى قلة من تلاميذه حافظت عليها بل عضت عليها بالنواجذ بوصفها تراثاً وعلماً وبركة.

أما السبب الخامس والأخير عندي والذي غطى على سيرة الشريف محمد الأمين فهو ظهور ابنه الشريف يوسف الذي استطاع في زمن وجيز وفي سن مبكرة أن يصنع شخصية ضخمة على آثار والده، فكان امتداداً أصيلاً لمجد أبيه على الرغم من تعويق المستعمر له عن المضي في طريق والده. فاتجه الشريف الابن اتجاهاً آخر لم يعهده آل الهندي منذ دخولهم السودان في القرن التاسع أو العاشر الهجري إذ كان شغلهم القرآن وتعليمه تجردوا لذلك وبرعوا فيه. فاختط الشريف يوسف طريقاً آخر يحفظ به مجد آبائه وأسرته ويصون به تاريخهم وتراثهم الديني فأسس الطريقة الهندية على غير مثال سابق فاجتذبت آلاف الأتباع في الجزيرة والبطانة وغرب السودان وشماله. ثم بدأت شخصية الشريف تتبلور؛ فقد كان أبوه ملء سمع الزمان وبصره في نبوغه العلمي ومكانه في الصلاح ووضعه في المجتمع – مع أنه لم يكن صاحب مال ولا ثروة ولا سعى إلى ذلك في يوم من الأيام – أما الشريف يوسف فقد كان نابغة تهيّأت له أسباب الجاه والغنى والزعامة وكل شيء ولكنها كانت بعصامية نادرة فهو ابن هذا الشيخ

الفقير الذي كانت مخلفاته مصحفين ومسبحة ووريقات فيها نسبه وبعض أوراق خاصة. وقد رحل عن الدنيا تاركاً ابنه هذا دون العاشرة أو نحوها فأصبح الشريف الابن أغنى أهل زمانه ديناً ودنيا؛ فكان في السياسة رقماً يضع له المستعمر الإنجليزي كل حساب، وكان زعيماً دينياً ومؤسس طريقة لم تبن على أنموذج سابق، وكان وجيهاً سيداً فارساً شجاعاً محباً للتراث جامعاً لنوادره ونفائسه محافظاً عليها. وكان شاعراً فحلاً له عدة دواوين بالفصحى المتينة والعامية المحكية. وعلى الرغم من أميته وأنه ممن لا يعرف له شيخ ولا أستاذ كان مؤلفاً مبدعاً عرفنا له نحو ثمانية عشر مصنفاً منها ثمانية في العبادات والسيرة وآداب الطريق. أما المخطوط من مصنفاته وهو أكثرها فإنه على درجة عالية من القيمة العلمية حتى إذا قلت إن مصنفاته في التاريخ والأدب السوداني لم يصنف مثلها في السودان ما جاوزت الحقيقة التي سبقني إليها المؤرخ محمد عبد الرحيم صاحب (نفثات اليراع) والأستاذ عرفات محمد عبد الله في (جريدة الحضارة) وحسن نجيلة في (ملامح من المجتمع السوداني) وغيرهم. علاوة على ذلك كان الشريف مصلحاً اجتماعياً حفر الآبار وعمل على توطين الرُّحَّل. وبهذه السيرة الحافلة ملأ الدنيا وشغل الناس عن مجد أبيه وتاريخه. فتضافرت مع هذه الشخصية الضخمة الظروف والأسباب الأخرى التي ذكرناها فكان ما كان من أمر الشريف محمد الأمين الذي نرجو أن تسلط هذه العجالة بعض الضوء على سيرته وعلمه لنرى أي عالم كان وأي عَلَمٍ هو الشريف محمد الأمين – عليه رحمة الله ورضوانه!.

وقد جعلت الكتاب ثلاثة مباحث: تناولت في الأول منها سيرة الشريف محمد الأمين معتمداً فيها على نبذة عنه جاءت في ملحق مخطوط ابنه الشريف يوسف الموسوم بتاج الزمان في تاريخ السودان. وهو كتاب ضخم نادر في تاريخ السودان وقبائله ورجاله. كما استفدت من كتاب الشريف يوسف أيضاً الموسوم بالشعر والغنا والذي أتولى تحقيقه بعون الله. وقد

زودني بمصورة الـمخطوط الأول وأصل المخطوط الثاني الباحث المنقب في تراث آل الهندي المشمّر فيه والغيور عليه والتَّوَّاق لنشره حفيدهم الأستاذ الشريف محمد الأمين الشريف عمر الشريف يوسف الهندي بـإذن والـده ووالـدي الخليفـة الشـريف الصـديق الشريف يوسـف الهندي. كما استفدت من أطروحة دكتوراه في القراءات والرسـم في السـودان للـدكتور عـلي العوض عبد الله وقف فيها وقفـة علميـة مشـكورة عنـد الشريف ومنظوماتـه. بالإضـافة إلى الروايات الشفوية التي جمعتها من الخليفة أحمد يوسف يسن (ود المـادح) وقـد كـان – عليـه رحمة الله – موسوعة في تاريخ بيت الهندي. علاوة على مرويـات أخـرى وأخبـار نسـبتها إلى مصادرها في مواضعها. وبعد الفراغ من النسخة التي أرسلت لتطبع بالسودان نبهني الأديب الفاضل صاحب الهمة العالية الأستاذ محمود صالح عثمان صالح إلى كتابات المؤرخ أوفـاهي التي كنت وجدت إشارات إليها ولم أتمكن مـن الوقـوف عليهـا، فوفرهـا لي جـزاه الله خـيراً بجهوده الشخصية فصوّر لي ما معه من مصادر واتصل بالمؤلف البروفسير إس. آر. أوفـاهي رئيس قسم التاريخ بجامعة بيرجن في النـرويج فتفضـل مشـكوراً بتصـوير المـواد وإرسـالها لسعادته فقام بدوره بإرسالها لي مع اهتمام لا يوصف ومتابعة بالهاتف لا تفتر فاستفدت منهـا فائدة كبيرة في تاريخ أسلاف الشريف محمد الأمين من آل الهندي.

وخصصت المبحث الثاني لمصـنفات الشرـيف محمـد الأمـين في علـوم القـرآن، الموجـودة والمفقودة والمنسوبة إليه، وعرضت المنظومات الأربع التي وقفت عليها عرضاً يعرف بها مـع التركيز على إحداها وهي منظومة (الصيانة في علم القرآن) ومجمـوع أبياتهـا أربعمائـة وثمانيـة وثمانون بيتاً أوردتها كاملة لأسباب ذكرتها هناك ثم اقتبست من المنظومات الثلاث الأخريات ما يعرف بها حسبما تقتضيه طبيعة العرض ومنهجه.

أما المبحث الثالث فهو اجتهاد شخصي حاولت فيه استشفاف شخصية الشريف محمد الأمين العلمية من واقع منظوماته المذكورة.

وفي غياب السيرة المكتوبة والبعد عن المصادر الشفوية في الوطن، وشح المصادر والمراجع خارج السودان يصبح مستحيلاً على الباحث أن يصدر عملاً يرضى عنه. وعلى الرغم من عدم رضاي بما أقدم فإن شفيعي فيما أقدمت عليه هو أن ما لا يدركُ كلُّه لا يترك جُلُّه. وأرجو أن أخرج بهذه العجالة من نَفَقِ (من كتم علماً) وأن أدخل برحمة الله وفضله من باب البر بآبائي وشيوخهم. آملاً أن تَقَرَّ وتبتهج بهذا العمل روح أبي في عالم الأرواح، وأن يسير هذا الجهد في اتجاه كلماته الأخيرات المضيئات اللاتي ودعني بهن قبل شهر من انتقاله – عليه رحمة الله – إلى رحاب ربه بعد عمر ناهز المائة وعشرين سنة أو نحوها عاشها كما عاش أشياخه وآباؤه عليهم رحمة الله أجمعين.

والأمل كبير في من يقف على عملي هذا أن يصحح ما أخطأت فيه وأن يستدرك ما فاتني وأن يمدني بما يكمل القصور الذي هو من طبع البشر. وعذري أنني أكتب وأنا خارج السودان ولو أتيحت لي الفرصة وكانت في العمر فسحة فسأسدّد وأقارب بإذن الله واستفيد من كل ما يرد إليَّ. وسأتتبع آثار هذا العالم الجليل وتلاميذه تتبع الرعاة مساقط الغيث أو تتبع (سِيد الرايحة) (صاحب الضالة) فإن هذا تاريخ والتاريخ لا يرحم.

وبعد فإن وُفّقت فبفضل الله ومَنّه وإن كانت الأخرى فإنني أرجو ثواب الاجتهاد ويقيني أن الله تعالى لا يضيع أجر العاملين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إبراهيم القرشي

الرياض في رجب ١٤٢٥هـ

سبتمبر ٢٠٠٤م

المبحث الأول

حياة الشريف محمد الأمين وآثاره

- آل الهندي
- ذرية الشريف محمد الأمين.
- شيوخه ورحلاته.
- رحلته إلى مصر.
- رحلته إلى الحجاز
- مصادر علمه المكتوبة
- مكانته العلمية.
- عمله واجتهاده.
- تلامذته.
- جريدة مختصرة ببعض تلاميذه
- مع الإمام المهدي.
- رسالة الإمام المهدي للشريف.
- وفاته
- تركته ومأثوراته

المبحث الأول

حياة الشريف محمد الأمين وآثاره

هو أبو يوسف الشريف محمد الأمين بن الشريف يوسف المشهور بود الهندي، العالم العامل المجتهد الرُّحَلة الـمُصَنِّف، محي الدين ومعلم آيات الكتاب المبين[1] قطب القرآن وختام القراء وخاتمة المحققين وأحد أركان تعليم القرآن في فترة الحكم التركي في السودان؛ بذلك وصفه معاصروه وتلاميذه وثقات الرواة والدارسون والباحثون.[2] ويحلو لمريديه وتلامذته أن يلقبوه بالشايب ويكنوه بأبي الحيران (جمع حوار).

ذكر الأستاذ إس. آر. أوفاهي في مقال له بعنوان (تاريخ أولاد الهندي)[3] أن ميلاد

(١) تاريخ وأصول العرب في السودان. الفحل الفكي الطاهر: ص ٨٢.

(٢) القراءات والرسم والضبط والتجويد في السودان ما بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري – علي العوض.. (رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٨٩) ص ٢٢-٣٦.

(٣) ذكر ذلك الأستاذ أوفاهي نقلاً عن تاريخ كتبه "مريض ممتن إلى طبيب ماهر" – كما قال – ويعني الشريف يوسف الهندي الذي أدخل في سنة ١٣١٣هـ – ١٩١٥م إلى مستشفى الخرطوم ووجد عناية فائقة من الدكتور جي. بي. كرستوفرسن أول مدير طبي لمستشفى الخرطوم. وأفاد أن الشريف قدم ذلك التاريخ للدكتور كرستوفرسن وأنه مودع في إرشيف السودان بجامعة درم. وهو مكون من ثلاثة أجزاء: ١/ تاريخ أئمة آل البيت إلى الإمام علي بن محمد الجواد. و٢/ نسب آل الهندي عبر أربعين جيلاً إلى الإمام علي رضي الله عنه. و٣/ ترجمة إنجليزية سقيمة – كما وصفها – لتاريخ كتب باللغة العربية عن أسرة آل الهندي. اعتمد أوفاهي فيما نقله من نسب الأسرة على النسخة الإنجليزية الخاصة بالدكتور كرستوفرسن. انظر:
(Sudan Africa – a Journal of Historical sources) 2002.V.13,pp.75-82.

الشريف محمد الأمين كان في سنة ١٢٣٣هـ -١٨١٧م.[١] ومن المؤكد أنه أدرك العصر التركي كله وعاش سنوات في المهدية وكانت وفاته سنة (١٣٠١هـ - ١٨٨٣م) قبيل زحف جيش الإمام المهدي إلى الخرطوم.

آل الهندي:

ينتسب آل الهندي إلى آل بيت رسول الله ﷺ. وقد علق لقب الهندي بجدِهم السادس محمد بن مصطفى (ولد سنة ٩١٣هـ - ١٥٠٧م) لأن مرضعته بمكة كانت هندية الأصل. وكان أول دخول آل الهندي إلى السودان في القرن العاشر الهجري وقيل التاسع. اشتهر منهم الشريف محمد الهندي الذي صحبه في رحلته إلى السودان أبناؤه: علي وحسن وآدم. وكان ذلك في عام ٩٧٠هـ على أيام دولة الفونج حسب رواية الدكتور أوفاهي[٢]. واستقر أولاً بجزيرة مرنات شمال عقبة قري في شمال السودان. وكان شغله تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد أسس مسجداً وخلوة لتعليم القرآن وكان جليلاً مهاباً محبوباً صاحب كرامات. ومن هناك رحل إلى بلدة المنسي بالقرب من أربجي وهو الذي نزل الشيخ تاج الدين البهاري بمسجده بأربجي – شمال ود مدني – واجتمع بالناس عنده ليسلكهم طريق الصوفية[٣]. والشريف محمد الهندي هو الذي دعا للشيخ حسن ود حسونة بالبركة، في قصة

(١) كنت قد ذكرت في طبعة السودان أنني لم أعثر على تاريخ محدد لمولد الشريف محمد الأمين، ولكنه أدرك شيئاً من عصر مملكة الفونج (السلطنة الزرقاء) التي أفل نجمها في نحو سنة ١٢٣٧هـ ١٨٢١م)

(٢) مجلة المصادر التاريخية (بلاد السودان)، المجلد ١٣ ص ٧٧.

(٣) طبقات ود ضيف الله: ص ١٠٨

رواها صاحب الطبقات[1] وقبره ومزاره بالمنسي (ود هجا) جنوب الحصاحيصا. ذكر أوفاهي في سبب وفاته أن ملك الفونج لما أحس بشهرة الشريف محمد الهندي ومكانته قتله في سنار حسداً فحمل أبناؤه جثمانه وقبروه بالمنسي. ويؤيد هذا الخبر ويدل على مكانة الشريف محمد أن صاحب الطبقات ذكر في ترجمة حمد النحلان ود الترابي أن سليمان ود التهامي قائد جيش الفونج حين احتدم الخلاف بينه وبين ود الترابي قال للأخير: أنا قبلك قتلت الحسوبابي وقتلت ود الهندي ما بقتلك إنت[2]؟. وذكر أوفاهي أيضاً أن الشريف آدم رجع إلى مكة لمشاورة الأسرة فيما حدث، وكان محل إقامتهم بجبل الهندي وسط مكة وهو معروف حتى الآن [3].

أما ابنه الشريف علي بلة الهندي المدفون بشرق جزيرة مرنات شمال الخرطوم فقد كان من العارفين وهو صاحب القبة البيضاء المقابل مرنات الذي شهد للشيخ صالح ود بانقا بالصلاح كما يقول صاحب الطبقات.[4] ومن أبناء الشريف محمد الهندي الشريف حسن وهو المدفون بالقرب من كمير ود عبود. ومنهم الشريف آدم الذي ولد بمكة (٩٥٠هـ - ١٥٤٣م) وصحب أباه في رحلة إلى ملك الهند. ودرس القرآن وعلومه على والده ثم رحل معه إلى السودان وتوفي في حياة والده وكان قبل رجوعه إلى مكة أنجب

---

(١) الطبقات ص ١٣٧. ويذكر محقق الطبقات عن الخليفة الشريف الصديق الهندي أن الذي دعا للشيخ حسن هو الشريف محمد الهندي بينما ذهب الشيخ القحل إلى أنه الشريف علي الهندي. (تاريخ وأصول العرب بالسودان ٨١). وأهل مكة أدرى بشعابها.

(٢) طبقات ود ضيف الله: ص ١٦٨

(٣) مجلة المصادرة التاريخية (بلاد السودان): ١٣/ ٧٧.

(٤) الطبقات ص ٢٣٩. والشيخ صالح هو أحد الثلاثة الذين أوقدوا نار الشيخ عبد القادر الجيلاني ببر الفونج كما جاء في الطبقات ص (٢٣٨). وبقية الثلاثة هما الشيخ تاج الدين البهاري والشيخ بدوي أبو دليق.

ابنه الشريف حمد أب شمباني سنة ١١٠٠هـ - ١٦٨٨م[١]. قال أوفاهي: كان حمد واسع المعرفة بعلوم القرآن والحديث وكان ورعاً كريماً ناره لا تنطفي من كثرة الضيوف وأصحاب الحوائج. أصلح الله به الكثير من الخلق ونفعهم به. وهو المدفون بحلة كردقيلي شرق النيل الأزرق قبالة قرية أم سنط جنوب ود مدني.

أما أخوه عيسى[٢] الغُدة فهو صاحب المزار المعروف وجد الأشراف بقرية ود الهندي التي تسمت به (تقع جنوب غرب ود مدني). أنجب الشريف حمد ابنه الشريف زين العابدين سنة ١١٢٧هـ-١٧١٥م، وهو المقبور مع والده بكردقيلي. وجاء في مقالة أوفاهي أن الشريف زين العابدين دخل في خلوة وحين خرج منها استشار أتباعه وتلاميذه في الرحيل من كردقيلي فسافروا إلى القلابات في حدود السودان الحبشية. وهناك وجدوا تربة خصبة وزادت ثروتهم وأصبح مسيدهم أكبر مسيد في ذلك الوقت وكانت تزوره الملوك والأعيان ولكن الشريف زين العابدين اعتزلهم وولى أمر المسيد والضيوف لابنه أحمد (ولد سنة ١١٨٥هـ - ١٧٧١م) ثم عاد إلى كردقيلي حيث توفي ودفن مع والده الشريف حمد أب شمباني. أما الشريف أحمد فقد استمر بتلك الناحية إلى أن توفي ودفن هناك بقرية دوكة نواحي القضارف[٣]. وللشريف أحمد أخوان هما القرشي والمكي. وكان أحمد ورعاً تقياً قام

(١) قال أوفاهي اعتماداً على عون الشريف أن معنى أب شمباني "أنه كانت له حواجب ورموش طويلة". قلت: وليس كذلك لأن الشمباني هو السّهم في لغة البجة. قال الحاردلو: شمبانيها ريشة قلبي تَبّْ قَصَّاها. ولعلّ المراد أن له سهاماً يرمي بها أعداءه يشيرون بذلك إلى صلاحه.

(٢) هذا حسب رواية الخليفة ود المادح عليه رحمة الله، أما أوفاهي في تاريخ أولاد الهندي فيجعل عيسى الغدة ابناً لحمد أب شمباني وشقيقاً لزين العابدين. مجلة المصادر التاريخية (بلاد السودان ١٣/ ٧٨).

(٣) جعل أوفاهي وفاته بالقلابات والمنطقتان ناحية القضارف على الحدود الحبشية.

بأمر المسيد وتعليم القرآن في حياة والده. وبلغ أتباعه الآلاف واجتمع حوله التكارير والقبائل الأخرى وكانت القلابات في ذلك الوقت أغنى بلاد السودان. (١) أنجب الشريف أحمد ابنه الشريف يوسف (سنة ١٢٠٠هـ -١٧٨٥م) وهوصاحب المزار المعروف بنواحي حلة راشد جهة القضارف. وقد أقام بديار العقليين بين الدندر والرهد يعلم القرآن وأصهر إليهم وتزوج آمنة بنت آدم العقليَّة، وكانت قبل الشريف يوسف تحت البشير ود الهميم من علماء قبيلة رفاعة وأنجبت له أحمد الذي ذكر الشريف يوسف أنه رآه وقال إن أولاده قرأوا معهم القرآن بنوارة ولهم نار قرآن. وذكر أن والدة الشريف هذه ماتت ودفنت بالـهَنْقَب بالبطانة وقال: "وكانت صالحة تقرأ على المصروع (قل هو الله أحد) فيعافيه الله من حينه. وهي عَقَلِيَّة وولدها الفقيه أحمد البشير رفاعي من جلاس وأخته زينب كذلك رحمهما الله(٢)". كان الشريف يوسف صاحب ثروة عريضة وكان واسع الجاه حلو الطباع كريماً صبوراً. أنجب الشريف يوسف ابنه الأستاذ العارف الشريف محمد الأمين الهندي الذي ذاع ذكره بالقرآن في كل السودان ومحل قبره معروف وعليه حجرة مربعة بمدينة الرهد بولاية شمال كردفان. ولآل الهندي بقية بالقضيضيم من نواحي ود مدني وانتشرت ذريتهم إلى بني شنقول وأصوصة بنواحي الحبشة.

---

(١) مجلة المصادر التاريخية (بلاد السودان) ١٣/ ٧٩.

(٢) كتاب الشعر والغُنَا مخطوط للشريف يوسف الهندي، الورقة ٨٦. وأتولى بعون الله تحقيق هذا الكتاب القيم بإذن خليفته الوالد المرشد الشريف الصديق ومعاونة حفيد الشريف الأستاذ الشريف محمد الأمين الشريف عمر الهندي وكدت أفرغ منه وسأحيله إلى بيت الشريف يتولى نشره. بعد أن وهبت أجر جهدي فيه لروح والدي الخليفة القرشي تلميذ الشريف يوسف وخليفته رحمهم الله.

والثابت عند المحققين أن آل الهندي إلى الشريف محمد الأمين – مع اشتهارهم بالصلاح التام والاجتهاد في تعليم القرآن – لم تكن لهم طريقة صوفية بل كانت رسالتهم تعليم القرآن وعلومه. ذكر المرحوم الشريف حسين الهندي في مذكراته أن والده الشريف يوسف كان دائم التذكير له بماضي أجداده كلما رآه مزهواً بردائه الإفرنجي وهو قادم في العطلة من كلية فكتوريا بالإسكندرية وكان يقول له: "أتعتقد أنك حفيد الأغنياء أو وارث لأهل طريقة صوفية؟ ما أنتم إلا حفدة فقراء كل مجدهم هو تعليم القرآن وإشعال ناره في مرنات بجوار شلال السبلوقة، إلى نوارة بالدندر وإلى الرهد وكل ما لديكم لدى الله والناس هو تعليم القرآن"[1] وإنما أسس الطريقة الهندية الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين المتوفَّى سنة ١٩٤٢م المقبور ببري وهو علم في رأسه نار في علماء الدين وزعماء السودان البارزين وتاريخ السودان الحديث.

ذرية الشريف محمد الأمين الهندي

أسس الشريف محمد الأمين أول مسجد للتجويد وعلوم القرآن بمنطقة السروراب (شمال أم درمان) وتزوج السيدة شموم كريمة الأرباب أحمد ود الزين السرورابي وارتحل بها إلى حلة الشريف يعقوب شرق مدني وأنجب منها ثلاثة أولاد: الشريف علي والشريف يوسف والشريف أحمد. درس الشريف علي علوم القرآن على والده وصار من أكبر المعاونين له وهو

(١) الهارب ص ٥٧. مخطوطة مذكرات الزعيم السياسي الراحل الشريف حسين الهندي، حفيد المترجم له يعدها للنشر ابن أخيه الشريف محمد الأمين الشريف عمر الهندي.

الذي تقلد راية الأشراف في المهدية واستشهد في واقعة سنار وكتب عنه أخوه الشريف يوسف ووفّاه حقه ثم قال: مات الشهيد علي وخَلَّف بنتاً وماتت البنت ولم تخلّف شيئاً. (١)

أما الشريف يوسف فقد كان ملء سمع الزمان وبصره وله بفضل الله ذرية واسعة منتشرة في أرجاء السودان منهم خليفته على سجادة الطريقة (الهندية) ابنه الشريف عبد الرحمن (توفي سنة ١٩٦٤) وخلفه أخوه الشريف إبراهيم (توفي ١٩٦٩) وخلفه أخوهما الخليفة الحالي الشيخ المرشد المربي الشريف الصديق – الوصيّ على القرآن وعلى إخوانه بتوجيه والده بارك الله في أيامه. ومن أبناء الشريف يوسف الأحياء الشريف حسن حفظه الله. ومن أبنائه الذين اشتغلوا بالسياسة المرحوم الشهيد الشريف حسين الهندي وشقيقه السياسي والشاعر والأديب الشريف زين العابدين – حفظه الله – من أكابر زعماء الحزب الاتحادي.

وتوفي أكبر أبنائه وهو الشريف محمد الأمين في حياته، كما توفي من أبنائه الشريف علي والشريف عبد الله والشريف عثمان والشريف عمر والشريف عبد الرحيم والشريف العيدروس من زوجته بنت الزبير باشا رحمة. وله عدد من البنات وقد أصهرت إليه جماعة من الأشراف والمشايخ وأعيان السودان ولبناته منهم ذرية واسعة حفظهم الله(٢).

أما أحمد بن الشريف محمد الأمين فقد توفي قديماً وله ذرية بقرية (عين اللويقة) شرق النيل الأزرق جنوب شرق حلة الشريف يعقوب. وابنه يوسف تزوج من فاطمة ابنة عمه الشريف يوسف وأنجب منها أحمد والأمين.

(١) ملحق تاج الزمان في تاريخ السودان (مخطوط) للشريف يوسف الهندي.

(٢) فصلت الحديث عنهم في كتابي المخطوط عن السادة الأشراف، وهذا المبحث مقتبس منه.

شيوخه ورحلاته:

ذكرنا فيما تقدم أن أسرة الهندي لم يكن لها شغل سوى تدريس القرآن وعلومه أينما نزلوا ابتداءً بمرنات وأربجي وود هجا وحلة راشد ونواحي الصعيد وقرى الجزيرة المختلفة حتى وصل الأمر إلى الشريف محمد الأمين الذي اشتهرت خلاويه في السروراب ومرنات وأم طريفي وحلة الشريف يعقوب ونوارة في شرق الجزيرة. وكان الشريف قد أمضى في الرحلة وطلب العلم خمساً وعشرين سنة في مظان التعليم في السودان ومصر والحجاز، ثم انقطع لتعليم القرآن نحو خمسين سنة.

بدأ الشريف محمد الأمين دراسته على والده الشريف يوسف الذي كانت له خلوة لتعليم القرآن وكان الشريف يوسف بارعاً في القرآن بدليل اختياره للفكي عبد الله الصليحابي البرقاوي من قبيلة البرقو من دار صليح نواحي شاد، كان من مشاهير علماء تجويد القرآن ومر بخلوة الشريف يوسف في طريقه إلى الحج فعرض عليه الشريف يوسف تعليم أولاده القرآن وعلومه(١). والشيخ عبد الله الصليحابي من أبرز شيوخ الشريف محمد الأمين لازمه زمناً طويلاً وكانت حفاوته وبره به مضرب المثل خصوصاً بعد أن أدركه الكبر وبلغ حبه وتقديره لشيخه أنه كان يرقد على الأرض عند سرير أستاذه الصليحابي الذي كان مريضاً بداء السَّلَس (البول السكري) ويخرج كثيراً بالليل وكان كفيفاً أيضاً، فكلما قام من مرقده وضع رجليه على ظهر الشريف فيهب الشريف ويذهب به إلى الخلاء، وفوق هذا كان يغسله ويغسل له ملابسه وملابس زوجه. وكان البر والوفاء ديدنه مع بقية شيوخه.

---

(١) كتاب المسيد ص ٣٠٥.

ثم بدأت مرحلة تنقله بين مشاهير مشايخ هذا الشأن وأظهر جداً ورغبة صادقة ولم يشغله جاه أبيه ولا ماله ولم يكن له منه نصيب إلا حماراً اتخذه وسيلة لأسفاره. ذكر أوفاهي أن الشريف يوسف والد الشريف محمد الأمين ورث ثروة هائلة حتى قيل إنه كان له المئات والمئات من العبيد وما لا يحصى من الإبل والأبقار والخيول وكان له أتباع لا يحصون. وكانوا يشتغلون بزراعة الذرة والقطن والسمسم والفول ويبيعونها في الحبشة بأموال طائلة. وكان البن يُحمل بالجمال في أسفاره من أجل القهوة لضيوفه وأتباعه([1]).

رحل الشريف محمد الأمين إلى الفقيه أحمد ود ديباي الكاهلي الأسودي بالمفازة فدرس عليه الفقه، وانتقل منه إلى الفكي محمد الأزرق المجذوب بالصوفي – قرية ناحية القضارف – قال الشريف يوسف في حديثه عن السادة المجاذيب: أما مجاذيب الصوفي فنبغ منهم الفقيه محمد الأزرق وابنه محمد وشغلهم بالمختصر (مختصر خليل) أقرأوه الخاص والعام وأقرأوه والدي محمد الأمين. وكان من وفاء الشريف محمد الأمين لشيخه الأزرق أنه كان يسأل كل من يأتي من جهة الصوفي عن محمد ابن شيخهم الذي خلف أباه في تدريس الفقرا. ويقول لهم "محمد ود شيخنا يا الليلة بي عُرْفُو" وكان محمد وقتذاك قد بلغ السبعين من عمره كما ذكر الشريف.([2]) ثم رجع إلى سنار ودرس قليلاً عند ود صبير ثم قفل راجعاً إلى رهد الجزيرة ودرس على الفكي بادي. ثم رحل إلى الفكي أحمد ود كنان بقرية الكريبة غرب ود مدني وكان ودكنان مشهوراً بتدريس الفقه المالكي واختص برسالة ابن أبي زيد القيرواني في فقه

---

(١) مجلة المصادر التاريخية (بلاد السودان) ١٣/ ٨٠.

(٢) كتاب الشعر والغنا و١٣٣. والعُرْف ضفيرة يضفرونها في ناصية الصبيان.

المالكية وله عليها شرح(١). ورحل من هناك إلى مسيد ود عيسى ودرس مختصر خليل على الفكي إبراهيم ود أحمد ود عيسى(٢). (توفي ١٢٥٨هـ - ١٨٤٣م)، ثم إلى كترانج جنوب الخرطوم على ضفة النيل الأزرق الشرقية قبالة المسيد وفيها درس مختصر خليل أيضاً على الفكي المنصور.

رحلته إلى مصر:

تفرد الشريف من بين قلة من علماء السودان في عصره بالرحلة إلى مصر وأخذ القراءات وغيرها من علوم القرآن من أعلام هذا الفن هناك. فهو لما استفرغ الجهد في التلقي عن مشايخ بلده واستنفذ ما كان متاحاً تاقت نفسه إلى الرحلة التي عرفت منذ القدم بأنها الوسيلة الناجعة لإنضاج الحصيلة، يقول الإمام ابن الجزري:* "ثم تداعت.. الأئمة والنقاد والجهابذة الحفاظ من مشايخ الإسلام إلى الرحلة إلى أقطار الأمصار ولم يُعَدّ أحد منهم كاملاً إلا بعد رحلته ولا وصل من وصل إلى مقصوده إلا بعد هجرته(٣)*". فتوجه الشريف تلقاء مصر وحط رحاله بالقاهرة حيث درس على مشايخ الأزهر. فدرس علم البلاغة والفقه وكان من شيوخه الشيخ حسن العِدْوِي الحمزاوي من ذرية الزبير بن العوام، وقد ذكره الشريف يوسف في كتاب الشعر والغنا في حديثه عن قبيلة الكواهلة قائلاً:

---

(١) مجلة الضياء ص ٨٠ (نقلاً عن القراءات والرسم ص ٢٧٠).

(٢) إبراهيم ود أحمد ود عيسى المتوفى سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٣م. ووالده ود عيسى هو مؤسس مسجد ود عيسى الذي تنسب إليه بلدة المسيد الحالية.

(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ١٩٨.

(ومنهم الشيخ حسن العدوي الحمـــزاوي دفين مصــر)(١). كما درس عـلى الشـيخ علـيش(٢) والشيخ الباجوري(٣). وثلاثتهم من كبار مشايخ الأزهر الشريف كانوا من ذوي الفضـل والشـهرة حتى إن الشيخ يحيى السلاوي – وهو من معاصري الشـريف محمد الأمين – ذكر عليشاً والعـدوي فقال:

يكفيـــك قـــدوتنا عُلَـــيْشٌ وشـــيخنا حســن الوفــا العِــدْوِيِّ خــير مئــاب

جـــبلان مرتفعـــان دونهـــما الـــورى كالشـمس مـن زحـل بـلا إطنـاب(٤)

وبعد أن مكث في القاهرة زمناً تاقت نفسه إلى المزيد من علم التجويد والقـراءات فتوجـه نحو صعيد مصر(٥) حين سمع بعالم ماهر في نواحي أسوان قرية (إدفو) هو الشيخ محمود أبو دريقة(٦). فنزل عنده ومكث معه زماناً إذ وجد فيه مثال العالم المحقق الذي يـرضي طموحـه فأخذ عنه علوم القراءات والتجويد. يقول الفحل الفكي الطاهر عن رحلة الشـريف محمـد

(١) حسن العدوي الحمزاوي، ونسبتُه إلى قرية عِدْوَة بمصر. تعلّم ودرس بالأزهر وتوفي بالقـاهرة لـه مـن الكتـب: النور الساري من فيض صحيح البخاري، وإرشاد المريد في خلاصة علم الوحيد، المدد الفيّـاض في شرح الشـفا للقاضي عياض وغير ذلك. (الأعلام للزركلي ٢/ ١٩٩، الشعر والغنا ورقة ١٥٩).

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن عليش، فقيه من أعيان المالكية مغربي الأصل، تعلم بالأزهر وولي مشيخة المالكية فيـه. وله مجموع فتاوى في الفقه المالكي وله (منح الجليل على مختصر خليل) وله حاشية على رسالة الصبان في البلاغة وشرح على العقائد الكبرى للسنوسي، توفي سنة ١٢٩٩ (الأعلام للزركلي ٦/ ١٩).

(٣) إبراهيم بن محمد بن أحمد شيخ الأزهر، ومن فقهاء الشـافعية، لـه حاشـية عـلى السنوسـية وتـآليف في التوحيـد والحديث والصرف، توفي سنة ١٢٧٧هـ (الأعلام للزركلي ١/ ٧١).

(٤) نفثات اليراع: ص ٨٤.

(٥) البروفسير أوفاهي يجعل دراسته في الصعيد أولاً ثم انتقل بعد ذلك إلى الأزهر.

(٦) عند أوفاهي: محمود ود ريكا. وقال لم أعرفه، ولم أجد له أنا أيضاً ترجمة.

الأمين إلى مصر: توجه القطر المصري فأقام بالأزهر سبع سنوات وأخذ بطنطا ثلاث سنوات في علوم القرآن(١). وبزيارته لمصر وتنقله في أنحائها والتقائه بجمهرة من علمائها وأخذه عنهم يكون قد تسنى له زيارة أكبر مراكز العلم والتجويد والقراءات بالمشرق. وقد هيأت له تلك الرحلة ما لم يتهيأ للكثيرين من أهل عصره وأقرانه من السودانيين(٢).

يقول السفير محمد سليمان عن الشريف محمد الأمين: هو عميد أسرة الهندي المعروفة.. واصل الشريف محمد الأمين دراسته في الأزهر حيث قرأ القرآن بالتجويد وحفظ (الشاطبية) وأتقن فَهْمها. كما قرأ كتاب (غيث النفع) في القراءات السبع "للصّفَاقِسي" ثم عاد وفتح مسجداً فأمه الطلاب من جميع الجهات يحفظون فيه القرآن ويقرأون علم التجويد والقراءات.. وتوفي بالرهد عام ١٨٨٣) (٣).

رحلته إلى الحجاز:

رحل الشريف محمد الأمين بعد ذلك من مصر إلى الحجاز موطن أجداده. يقول الدكتور علي العوض: "ولم يكتف شيخنا بمصر، بل نجده قد تجدد عزمه على مواصلة الرحلة، وقد كانت وجهته هذه المرة الحجاز حيث كان موطن أجداده، فقصده حاجاً ومكث هنالك زمناً قرأ فيه الحديث بالمدينة ودرَّس – بتشديد الراء –بمكة ثم قفل راجعاً إلى مصر ومنها إلى

(١) تاريخ وأصول العرب بالسودان: ص ٨٠

(٢) القراءات والرسم: ٢٧٣. رياض المديح ص ١٢.

(٣) دور الأزهر في السودان، السفير محمد سليمان، ص ٧١.

السودان[1]". وبدأ رحلة تعليم القرآن بالتمانيات من نواحي الجيلي. في نحو سنة ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م[2].

هذا، وقد ذكر الشيخ يوسف إسحاق حمد النيل مدير الشؤون الدينية ومعلم سابق بمكة ذكر أن للشريف محمد الأمين خلوة بمكة بمكان يقال له السلوطية[3].

ولكثرة رحلات الشريف داخل السودان وخارجه يصعب حصر المشايخ الذين جلس إليهم ونهل من علومهم ولكن الحصيلة التي تلقاها منهم مجتمعة دلت على أنه لقي العدد العديد من المشايخ كما دلت على جده وصادق عزمه وتبيَّن ذلك في مصنفاته القيمة التي تعد مرجعاً أصيلاً ومصدراً مهماً من مصادر دراسات علوم القرآن في السودان. وظهر أثر شيوخه عليه أيضاً في كثرة من تخرج به من التلاميذ واشتهارهم بالإتقان والتجويد. ولا نملك شيئاً مكتوباً عن سيرته إلا النبذة التي كتبها ابنه الشريف يوسف في (تاج الزمان) ونحسب أن مؤلفاته المفقودة تضمنت شروحاً لمنظوماته وثبتاً بشيوخه وأسانيد لروايته على عادة المحققين من المصنفين من أمثاله. وتدل إحالات الشريف في هذه المصنفات على مقدار تبحره في مصنفات السابقين، فقد قرأ القرآن بالقراءات السبع وأقرأ تلاميذه بها، وكان مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والسنوسية هي من أوائل ما أخذه عن شيوخه وكان يدرسها

---

(١) القراءات والرسم: ٢٧٣، رياض المديح ١٢.

(٢) قاموس التراجم، ريتشارد هيل ص ٣٨٦. ويرجع تلاميذه ومعاصروه تاريخ بداية رحلته التعليمية إلى ما قبل هذا التاريخ الذي ذكره هيل بسنوات.

(٣) رواية الخليفة أحمد يسن المادح (١٩٨١م). ذكر الأستاذ الشريف محمد الأمين عمر الهندي أن الوالد الخليفة الشريف الصديق بحث عن موقع هذه الخلوة في إحدى حجاته وبمعيته الراوي والخليفة إدريس عبد اللطيف وجماعة ولم يعثروا لها على أثر لتغير عمران مكة المكرمة.

لطلابه، كما كان يدرسهم مصنفات أبي عمرو الداني وأبي داود بن نجاح والشاطبي وابن الجزري والخراز وهم أئمة علم القراءات والرسم والضبط. ومصنفات السودانيين القراء مثل عمدة البيان للأغبش والسلم لابن مدلول ومصنفات أخرى شحن تآليفه بالإشارة إليها والأخذ العلمي الموثق عنها. يقول الشريف يوسف في حديثه عن شقيقه الشريف علي: قرأ القرآن بمسجد والده بالسروراب ثم درس بيعقوب بمسجدها وقرأ القرآن بالروايات(١) (القراءات) السبع وعرف علوم التجويد وقرأ رسالة ابن أبي زيد على والده. ولما احتجب والده بنوارة أربع سنوات كان إماماً للصلاة وشيخاً للصحة وقراءات العلوم وأغلبها التجويد(٢). وفي هذا الخبر إشارتان: الأولى العلوم المختلفة التي درسها الشريف محمد الأمين ودرّسها لتلاميذه، والإشارة الثانية أن احتجاب الشريف المشار إليه هنا ربما كان امتداداً لمجاهداته في التحصيل، وأحسبه قضاها في التصنيف ونظم منظوماته التي بلغت آلاف الأبيات، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً.

مصادر علمه المكتوبة:

أفردت لمصادر علم الشريف فصلاً في المبحث الثالث استخرجت فيه مصادره المكتوبة التي نص عليها وعلى مصنفيها في منظوماته. وأوجزها هنا على أمل أن يقف القارئ على تفصيل ذلك في المبحث المشار إليه. ومن أبرز أمهات الكتب التي قرأها الشريف وأقرأ ما فيها لطلابه وضمن ما فيها في منظوماته ما يلي:

(١) بين القراءة والرواية فرق، فالقراءة أصل والرواية فرع. والقراءات المتواترة سبع ورواياتها أربع عشرة.

(٢) ملحق تاج الزمان – مخطوط.

١/ الطيبة: هي طيبة النشر في القراءات العشر، المنظومة الشهيرة للإمام شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري.

٢/ حرز الأماني ووجه التهاني: وهي لامية الشاطبي الشهيرة التي نظم فيها كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني. ولهذه المنظومة شروح عديدة كشرح السخاوي وأبي شامة والفاسي وابن أبي العز والجعبري وابن جبارة وابن القاصح والقاضي وغيرهم:

٣/ الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي:

٤/ الدرة في القراءات الثلاث المتممة للعشرة لابن الجزري.

٥/ التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

٦/ جامع البيان للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

٧/ عقيلة أتراب القصائد في بيان رسم المصاحف العثمانية للشاطبي وهي التي اختصر فيها الإمام الشاطبي كتاب المقنع في مرسوم[1] المصاحف.

٨/ المقنع في مرسوم المصاحف للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

٩/ التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح.

١٠/ منار الهدى في بيان الوقف والابتداء لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني.

١١/ المقصد لتلخيص ما في المرشد لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري.

١٢/ المرشد في الوقف والابتداء لأبي محمد الحسن علي العماني.

١٣/ النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

١٤/ العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي.

---

(١) (في مرسوم المصاحف) و (في رسم المصاحف) هكذا ورد بالصيغتين في أصوله المخطوطة والمطبوعة، والمعنى واحد.

١٥/ مورد الظمآن لمحمد بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز.

١٦/ ضبط الهجا للخراز شرح محمد بن عبد الله بن عبد الحميد التونسي.

١٧/ التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي.

١٨/ هجاء الستة للغازي بن قيس.

١٩/ سلم المريد في علم التجويد لحمد ود مدلول.

٢٠/ عمدة البيان شرح مورد الظمآن لعبد الرحمن الأغبش.

وهذه أمهات التصانيف في علوم القراءات والرسم والضبط والتجويد والأداء المتداولة في عصره. نصَّ عليها في منظوماته هذا سوى ما ذكره مجملاً من حديثه عما وقف عليه من علوم الصحابة والتابعين، وعدا ما قرأه على علماء بلده من مصنفات الفقه، وعلوم الحديث التي قرأها وأقرأها في الحجاز. وقد أخذ الحديث والفقه والقراءات واللغة من علماء الأزهر ودرس البلاغة على الشيخ عليش والصرف على الباجوري. وذكر بعض علماء اللغة في منظوماته كالخليل وأبي الأسود الدؤلي والأخفش وغير ذلك مما وردت الإشارة إليه في سيرته. وتدل منظوماته على معرفة بالنحو والصرف والشعر وأوزانه كما سنبينه إن شاء الله.

مكانته العلمية:

قال الفحل الفكي الطاهر بعد أن تحدث عن رحلة الشريف محمد الأمين إلى مصر وبقائه بالأزهر وطنطا نحو عشر سنوات: (وجاء السودان فنفع آلاف المسلمين بالقرآن وعلوم

الدين يعلم القرآن بالقراءات (الأربعة عشـــر)(١) المجمـع عليهـا ويعلـم رسـمه وتفسـيره وأسباب نزوله. وإنه بحق لم يطأ بلاد السودان قط من يماثله في نفع المسلمين ونشر الدين(٢).

ومن شهادات العلماء له أيضاً ما يرويه حفيده الخليفة الشريف الصديق من أن جماعـة مـن أحباب الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين توجهوا إلى العـالم السـني المفتـي المشـهور الشيخ الطيب ود أب قناية بود مدني يستفتونه في أمـر وفي أثنـاء ذلـك سـألهم عـن شـيخهم فأخبروه أنه الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين الهندي فقال لهم: الشــريف يوسـف شيخكم أنتم ولكن الشريف محمد الأمين شيخ السودان كله لأن كل حـرف مـن القـرآن في لسان أي سوداني، فالشريف محمد الأمين له فيه النصيب الأوفى نسبة لأنه قضـى (٤٦) عاماً يدرس القرآن وتخرج على يديه ألوف من الحفظة فكل حافظ أسس له خلوة في جميـع أنحـاء القبائل وبيوت الطرق الصوفية(٣).

وجاء في تاريخ أولاد الهندي لأوفاهي: ليس هناك مدينة أو قرية في السودان لا تجـد فيهـا تلميذاً أو تلميذين للشريف محمد الأمين(٤).

وحين استأذنت الشيخ محمد التهامي الحسن الأحمدي في تصوير مخطوطات الشريف محمد الأمين التي بحوزته وهو تلميذ الشيخ أحمد صالح فضل، أحد تلاميذ الشريف محمد الأمين، أذن جزاه الله خيراً وكتب إليّ "الشريف محمد الأمين الهندي قطب القرآن شـيخ لا كالمشـايخ ومصحفه ومصحف تلميذه الشيخ صالح فضل ضـبط بـأقلام التجويـد الأربعـة وتعريفـه

(١) هكذا قال ولعله أراد الروايات الأربع عشرة لأن القراءات سبع ولكل قراءة روايتان.

(٢) تاريخ وأصول العرب بالسودان. الفحل الفكي الطاهر: ص ٨١.

(٣) مجلة الفيض عدد ١٤ سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٤٢.

(٤) أوفاهي: ٨٢.

للسورة مختلف عن تعريف السلف والخلف يضبط السورة بنزول الآيات ومناسباتها وليس له نظير في عصره ولا قبله[1].

كان الشريف فقيهاً حافظاً ضابطاً عالماً بالقراءات السبع ورواتها وطرقها يعزو إلى القراء السبعة قراءاتهم بضبط وإتقان، ولعل الناظر في منظوماته التي وقفنا عليها يدرك معرفته بالقراءات السبع وغيرها من أول وهلة، فما أتى فيها بحرف من حروف القراءات إلا وقد حرره عن الثقات من أهل الشأن. ولكنك تجد أقوال الأئمة القراء السبعة منسوبة إليهم محررة عن رواتهم بجلاء ووضوح في منظومته المسماة (المعارف).

(١) من رسالة خاصة بحوزتي: وأقلام التجويد الأربعة يريد بها الألوان وهي: السواد والصفرة والخضرة والحمرة.

ولكن المنافقين لا يفقهون ۝ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون ۝ يا أيها الذين ءامنوا لا تلهكم
أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم
الخاسرون ۝ وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي
أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق
وأكون من الصالحين ۝ ولن يؤخر الله نفسا إذا
جاء أجلها والله خبير بما تعملون ۝ سورة التغابن مدنية
وهي ثمانية عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير ۝ هو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ۝ خلق السموات
والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير ۝ يعلم
ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله

مصحف الشيخ أحمد صالح فضل التهامي تلميذ الشريف محمد الأمين الهندي
وقد كتب بأقلام التجويد الأربعة (الأسود والأحمر والأخضر والأصفر)
وتظهر لفظة (أكون) وهي موضع خلاف بين القراء

يقول الدكتور العوض: "ويمكننا القول بأن مادة هذه المنظومة تبين لنا ما كان يتمتع به الهندي من معرفة دقيقة بالقراءات السبع ورواياتها إذ كان كثيراً ما يبين المسائل التي تضمنتها (على) ضوء القراءات السبع ورواياتها. كما كان يشير في كل مسألة من مسائلها إلى مذاهب القراء السبعة ورواتهم بالتفصيل الذي لم أجده يختلف (مع) ما عليه مذاهب هؤلاء القراء، وما تضمنته حرز الأماني للشاطبي بشراحها. وفي ذلك أيما دلالة على تبحر الهندي في علم القراءات والرسم،وتفرده في ذلك الوقت بمعرفة هذه العلوم، مما جعل خلاويه كعبة القصاد لعلماء السودان وقراء القرآن"[1]. وسيتضح ذلك بجلاء حين نأتي إلى استعراض مضمون المعارف. فهو في فصل واحد يذكر أبا عمرو بن العلاء البصري بأسمائه وألقابه وكناه كلها حسب ما يقتضيه النظم فمرة (أبو عمرو) وأخرى (ابن العلاء) وثالثه (البصري) ورابعة (المازني) وخامسه (التميمي) وسادسه (الفتى النحوي) وسابعه (الفتى المحقق). ويسمي من بقية السبعة الكسائي والمكي والشامي ونافعاً وحمزة وعاصماً، ويذكر من الطرق اليزيدي ومن الرواة الدوريَّ وحفصاً وقنبلاً وابن ذكوان وهشاماً وشعبة وورشاً والبزي. واقفاً على ما اتفقوا فيه وما اختلفوا عليه ويحيل في شروح منظوماته على مصنفات هذا الفن القديمة فيذكر الشاطبي والداني وابن الجزري والسيوطي والخراز والتونسي والتجيبي والرعيني ويسمي منظوماتهم كالعقيلة والطيبة وكتبهم كالتيسير والإتقان والمقصد والعنوان والبيان. ومن العلماء السودانيين يحيل على الأغبش في بيانه وعلى ود مدلول في سلمه بل ويضيف إلى أقوال أئمة الضبط والأداء أقوال أئمة اللغة كالخليل والدؤلي والأخفش كما سترى؛ كل هذا

(١) القراءات والرسم: ٣٢٠.

دليل التبحر وسعة الاطلاع والأمانـة العلميـة. ودرس الشـريف هـذه المتـون والشـروح والمنظومات ودرّسها لطلابه.

وكان مسيده في نوارة تُوْقدُ فيه خمسون تُقَّابة(١) لتحفـيظ القـرآن وثـلاث عشـرة تقابـة لتجويده ولكن ما لا يعرفه أكثر الناس أن عمـل الشـريف في القـرآن لم يقـف عنـد الحفـظ والتجويد بل كان يقرئ القرآن بالقراءات السبع وبرواياتهـا الأربـع عشـرة كـما كـان يفسـر القرآن ويدرس الفقه يدلك على هذه الجهود ما مرّ بك من قول الشيخ الفحـل "كـان يعلـم القرآن بالقراءات (الروايات) الأربع عشرة ويعلم رسمه وتفسيره وأسـباب نزولـه" وقـول ابنه الشريف يوسف: كان يعلمهم الفقه والتجويد ويقف المعنى عليهم فيقولون له مـا ظهـر لنا هذا المعنى فيغوص في دقيقهِ ويظهر لهم المعنى ظهوراً لا غبار عليه حتى يبتهجوا" وحـين سمع بعمل جليل يقوم به أحد تلامذته الكبار واسمه عجيب الشبرقي وهو تـزويج النسـاء بالكورة (الزواج الجماعي) قال: "لـولا قـراءة الفقـه لتوجهـت وسـاعدت (عجيـب) عـلى عمله"، والشاهد هنا قوله (لولا قراءة الفقه) أي تدريسه. وقول الشريف يوسف عن أخيـه الشريف علي: وقرأ القرآن بالروايات (القراءات) السبع وعرف علوم التجويد وقـرأ رسـالة ابن أبي زيد على والده.

(١) التُّقابة: نار تشعل بالليل في الخلاوي والمساجد يتحلق حولها الطلاب للحفظ والتلاوة. وهي من الفصيح وأصل تائها ثاء من (ثقب النار) إذا أشعلها ومن الثقاب وهو دقاق العيدان التي تشعل بها النار.

لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون
سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر
الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن
السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون
لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر
الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا
من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب
لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في
السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء

صفحة من مصحف الشريف محمد الأمين الهندي الخاص، بخط تلميذه الفقيه ضرار بن الحاج الدنقلاوي

ومما يؤكد لك أنه كان يقرئ تلاميذه القراءات القرآنية السبع قول الشيخ يوسف الحسين أحد تلاميذ الشيخ عبد الباقي الشيخ حمد النيل فقد طُعِنَ الشيخ عبد الباقي من أحد مرضى العقل في مسجده فلما عافاه الله قال الشيخ يوسف الحسين:

نُسِجَتْ على الصدر الشريف من الدِّما ... بالطعنتين مُلاءةٌ حمراء

صدرٌ حوى التنزيلَ بالسبع التي ... قد أحكمت أحكامَهَا القُرَّاءُ

فهو يشير إلى أن شيخه حفظ القرآن بالقراءات السبع، ومعلوم أن الشيخ عبد الباقي قرأ القرآن على الشريف محمد الأمين(١). وتكفيك منظومة المعارف التي أشرت إليها دليلاً على هذا الأمر.

ولعل من خير الشواهد على مكانة الشريف إعجاب تلاميذه به وثناءَهم عليه فقد جاء في خاتمة مصحف ضرار بن الحاج محمد الدنقلاوي ما نصه: "من ضرار بن الحاج محمد لشيخه العالم النفيس والقطب الرئيس سيد السادات ومعدن البركات نخبة الأشراف وسلالة عبد مناف، فذلك سندي وأستاذي ومرشدي وقدوتي السيد بن السيد الشريف محمد الأمين بن السيد يوسف المشهور بسائر الأقطار بود الهندي شرفه الله في الدارين بجاه سيد الكونين اللهم انفعنا ببركاته وبركة علومه(٢).

وفي تقريظ كهذا يقول تلميذ آخر من تلاميذه هو الفكي العباس بن الفكي محمد الهادي بن أحمد من أهالي فداسي الحليماب وهو من الحفاظ وخطاطي المصاحف والكتب المميزين وقد

(١) روى لي هذا الخبر أخي الدكتور الحسين النور يوسف وأخبره بالخبر جده الشاعر الفحل صاحب هذين البيتين، وهما من قصيدة عصماء طويلة.

(٢) مصحف ضرار طرف حفيده الخليفة الشريف الصديق.

كتب في ختام كتاب عمدة البيان في رسم القرآن للشيخ عبد الرحمن الأغبش معرفاً بنفسه ومترحِّماً على شيخه الشريف محمد الأمين الهندي مبيناً ما كان يتمتع به من مكانة عند تلاميذه "وخصوصاً مرشد الروح بالقرآن سيدي وسندي الوارث النبوي الأستاذ أبا يوسف الشريف محمد الأمين الهندي نوَّر الله ضريحه وأسكنه فسيح عالي الجنان مع جده سيد ولد عدنان"(١).

وفي مصحف تلميذه أحمد محمد علي يوسف التميرابي الجعلي المؤرخ في ذي الحجة ١٣٢٢هـ جاءت العبارة العجيبة التالية: "بالله عليك يا ناظراً فيه، أو قاريه أسألك أن تدعو بالمغفرة لي ولأستاذنا الشريف محمد الأمين، أمين المعارف الشهير بالهندي، صاحب الباع الطويل في علم الإجمال والتفصيل، من قرأ القرآن بالروايات وفهم الشواذ ولا سيما السبعيات وحرّر في هذا الفن كتباً تروي الغليل وترشد الضِّليل إلى أقوم السبيل.

وكانت عبارة "قطب القرآن" كما رأيت هي اللقب الذي يسبق اسمه دائماً وربما زاد تلاميذه أوصافاً غير ذلك كما جاء في عنوان مخطوطة (مقدمة الأحكام) ونص كاتبها: "هذه مقدمة الأحكام للسيد الأعظم والملاذ الأفخم الشريف محمد الأمين الهندي نفعنا الله ببركته وبركة علومه آمين".

وكلمة (قطب) قديمة في وصف هؤلاء الأئمة، قال الإمام الشاطبي في حديثه عن مذهب الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء البصري:

ودونك الأدْغام الكبير وقطبه　　　أبو عمرو البصري فيه تَحَفَّلا

---

(١) عمدة البيان ص ٢٣٠ عن القراءات والرسم ص ٢٨٤.

قال ابن القاصح في شرح كلمة قطب: وقطب كل شيء ملاكه وقطب القوم سيدهم الذي يدور عليه أمرهم. وكذا شرحها صاحب اللسان(١).

وقد أعدّ الدكتور علي العوض رسالة علمية (دكتوراه) قيمة وفّى فيها الشريف محمد الأمين بعض حقّه فذكر شيئاً من تاريخ حياته ونشأته وتحصيله ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته وقدّم خدمة جليلة لتراث الشريف بوقوفه على مصنفاته وتتبعها في مظانها من خلاوي السودان ودار الوثائق ومن مسيد الشريف وخلفائه ومن تلاميذ الشريف محمد الأمين أو ذويهم فقدم لمكتبة القرآن وللشريف محمد الأمين عملاً جليلاً يحمد له أي حمد، فنسأل الله أن يثيبه عليه الثواب الوافي. وقد اعتمدت عليه في كثير مما جاء في هذه العجالة.

قال الدكتور علي مثنياً على الشريف في بعض فصول رسالته: ونستطيع أن نقول... إنه كان على قدر كبير من العلم بالقرآن وعلومه وقد حباه الله شخصية فذة جمعت بين الجد وحسن السيرة وكان مثالاً للشخصية العلمية النادرة.. حتى عُدّ من كبار القراء وخاتمة المحققين بالسودان في هذا المجال(٢).

وقال في ختام حديثه عن منظومة الصيانة: وهكذا نصل إلى نهاية منظومة الصيانة لقطب القرآن في العهد التركي في السودان الشريف محمد الأمين الهندي.. ثم يقول بعد حديثه عن المنظومة وفائدتها للقراء: "وبهذا كان "الشريف" الهندي أول عالم في السودان خاض في هذا المجال وقدّم خدمة لقراء القرآن الكريم لم يسبقه عليها أحد من العلماء فيما نعلم وفي ذلك دلالة على تبحر الهندي ومعرفته بهذه العلوم القرآنية، ولذلك صدق عليه قولهم: خاتمة

(١) انظر سراج القاري: ٤٤، لسان العرب: قطب.

(٢) القراءات والرسم ص ٢٨٥.

المحققين وقطب القرآن الكريم في السودان كما وصفه بـذلك جماعـة مـن تلاميـذه وتلاميـذ تلاميذه عند تعريفهم به وذكر مؤلفاته؛ ولهذا فقد تبوأ الهندي مكانة علمية سـامية بـين قـراء السودان وصار مثلاً يضرب في معرفة القرآن وفنونه في العهد الـذي عـاش فيـه وإلى عهـدنا الحاضر[1]. وفي حديثه عن منظومة (الفوائد في علل الهمـز) يقـول الـدكتور عـلي العـوض: فالهندي بما له من تضلع ومعرفة بهذا الفن القرآني قد اقتحم لجة هذا البحـر الواسـع وبـذلك كان أول عالم سوداني نعرفه يبين مسائل الهمزات وكيفية ضبطها على قراءة البصري[2].

كما كتب عن الشريف محمد الأمين جماعة منهم الأستاذ الشيخ يوسف إبراهيم النـور وهـو الذي يسمي الشريف (قطب القرآن وخاتمة القراء بالسودان) وقد نقلت قطوفاً من أقوالـه في غير هذا الموضع.

وقال الأستاذ الطيب محمد الطيب في الحديث عن مشايخ التجويد ".. ثم خرج على مجتمع المشايخ رجل وهبه الله عزيمة صادقة وقريحة صافية هو الشريف محمد الأمين وبلـغ في نـوارة مبلغاً عظيماً من نباهة الذكر وسعة الأفق وتجلت نفحاته وفاض علمه في تجويد القـرآن وبلـغ عدد الطلبة في عهد نوارة الآلاف العديدة". ثم ذكر مشايخه ورحلاته وبعض مصنفاته[3].

وتحدّث الشريف يوسف الهندي عن والده في جزء مـن (تـاج الزمـان) بـما لا مزيـد عليـه ومعظم ما نسبته إليه من حديث عنه أخذته من ذلك الجزء وذكره في دعاء ختام المولد الكبـير في قوله: "وتلحق بهم نجلهم والدنا وأستاذنا محمـد الأمـين الهنـدي محـي الآيـات القرآنيـة،

(١) المصدر السابق ص ٣١٨.

(٢) نفسه ٣٠٣.

(٣) المسيد ٣٠٣.

والنافع لأولاد المسلمين بلا عوض عليها في بلاد السودان"(١). وقال عنه في المحامد:(٢) مع ما خُص به والدي بأحوال ليست بالبعيدة التاريخية وقد يوجد الآن(٣) من تلامذته وتلامذتهم مائة ألف نفس يعرفون القرآن.

هذا وقد صوّر الشريف يوسف الهندي أحوال والده ومسيده بنوارة في العديد من قصائده التي تضمنها ديوانه (رياض المديح) وكان يظهر شوقاً وحنيناً وأسى دفيناً على تلك المرابع الدارسة التي كانت حافلة مضيئة بنيران القرآن وعامرة بأهل القرآن، نحو قوله في قصيدة (ما سحّ مداراً).

معاهم أبو الخيران بنوارة قرآنو وما يحويه أسرارا

بيهم ينفرج خطبٌ بنا دارا تصلح حالنا كبارنا وصغارا (٤)

وذكر في قصيدة (صلاة ربي على المربي) إحياءه لنار القرآن وتربيته للأمة قائلاً:

كذا الأمين ابنهم محمدْ بالهنديْ يُعْرَف لأهل حُبِّ

ومن به الذِّكْرُ في تَعَالي وأمةُ الهادي في تَرَبِّي

أحيا الهُدى بعدَهم بآيٍ يَشُقُّ للعاصي كلَّ قَلْبِ(٥)

وقال في (صلاة ربي على الخيارا) واصفاً خلاوي القرآن في نوارة بالدندر وما كان بها من حياة وحركة علمية وسياحة قرآنية ذاكراً والده قطب تلك الحركة:

---

(١) المولد الكبير، ص ٧٢.

(٢) المحامد ص ٨.

(٣) على عهد الشريف يوسف المتوفي سنة ١٩٤٢م.

(٤) رياض المديح، ص: ٤٥.

(٥) رياض المديح، ص: ١٣٩.

صـــــلاة ربِّي عـــــلى الخيـــــارا محمـــــد عـــــالي المنـــــاره

يـــا ســـاكنَ الزَّهْـــدِ مـــن (نـــواره) في أطيـــبِ العَـــيش والجـــوارا

أعطـــــاك ربّ الســـــما جمـــــالاً ونـــــورَ هَـــــدْيٍ كـــــما المنـــــاره

إلى أن يقول:

فـــــإنني والكـــــريم يعلـــــمْ أحِـــــنُّ شـــــوقاً إلى نُـــــوَّاره

لأنهـــــا مرْبَعـــــي وأُنســـــي بهـــــا نشـــــأتُ مـــــن الصَّـــــغاره

بمشـــــرعيها بهـــــا مراحـــــاً ومرتَعيهـــــا لنـــــا قـــــرارا

وروضَـــــتَيْ المســـــيد نـــــأوي في الحفـــــظ والرمـــــي بالحجـــــاره

وقـــــد رَبيْـــــتُ بهـــــا صـــــغيراً دون الرَّبـــــاع مـــــن القصـــــاره

وقـــــد رأيـــــت بهـــــا مســـــيداً مبـــــارك الأهـــــل والعـــــماره

ينـــــوف عـــــن عـــــدَّةٍ أُلوفـــــاً فـــــاتوا مـــــن الأهـــــل بـــــالفرارا

ولا لهُـــــم مخْلَـــــطٌ بشـــــيءٍ ســـــوى ينـــــالوا بـــــه الجـــــوارا

ويحفظـــــوا قـــــول مـــــن بـــــراهم ويجتنـــــوا عنـــــده الـــــثِّمارا

يـــــداوموا في النهـــــار صـــــوماً ولليـــــالي فَهُـــــمْ سَـــــهارى

مـــــا فيهمـــــو مـــــن عليـــــه تُهْمـــــه ولا ملامـــــهْ ســـــوى البُشـــــاره

ومـــــا جـــــرى بيـــــنهم جـــــدالٌ ولا مَشَـــــوْا في الضُّـــــحى حيـــــارى

شراؤهـــــم في الـــــدُّنا وبيـــــعٌ في العلـــــم والـــــدرس والطهـــــاره

كـــــأنهم مَـــــلأٌ عـــــليٌّ يســـــبِّحوا الليـــــل والنهـــــارا

وقطـــــبُهم بيـــــنهم حـــــريصٌ عـــــلى هـــــداهم إلى البـــــدَاره

يحـــيط علــــماً بهـــم ويُعْطِـــي　　مـــن البشـــائر والنِّـــذاره

وشــــوفه دايــــرٌ علــــيهم　　كــذا وســمعٌ مــع الإشــاره(١)

وذكره بعض مشاهير شعراء السودان في معرض ثنائهم على ابنه الشريف يوسف في يوم تأبينه معترفين بفضله وفضل والده في نشر القرآن وعلومه. يقول الشاعر الكبير عبد الله البنا في قصيدته التي استهلها بقوله:

أقم لرجال القُطْرِ ما شئتَ من حَمْد　　وَقِفْ عندَ أسبابِ القَرابَاتِ والـوُدِّ

إلى أن يقول:

أبـــوك ســـميرُ الله يتلـــو كِتَابَـــه　　ويَنْشُرُ نُورَ الـوَحي في الغَـوْرِ والنَّجْدِ

ويُمِـــلي فَتَتْلُـــوهُ القلـــوبُ خَواشِـــعاً　　ويـدعُو فَيُرْجَى في الجماهـيرِ والحَشْـدِ(٢)

وللشاعر محمد المهدي المجذوب سليل المجذوب أستاذ الشريف محمد الأمين قصيدة رائعة يقول فيها في معرض تأبينه للشريف يوسف ذاكراً فضل أجداده في إحياء نار القرآن.

رَدَّ آبـــاؤك الهـــداة إلى القـــرآن　　نـــوراً مـــن البيـــان الرَّصِـــين

أنـــت مـــن مَعْشَـــرٍ تَخِـــفُّ المحاريـــبُ　　إلـــيهم في رهبـــةٍ وفتـــونِ

مـــنهمُ ذلـــك الـــذي رتَّـــل القُـــرآنَ　　في أُفـــقِ خَشـــيْةٍ وسُـــكون

هـــام في الليـــل هاتفـــاً بالتراتيـــل　　هُتَـــافَ النســـيمِ بالنِّسْـــرِين

كَلَّمَتْـــهُ السَّـــماءُ يَسْـــتَنْزِلُ التَّنزيـــل　　مـــن سرِّ نورِهـــا المكنـــون

(١) رياض المديح: ١٣٦ – ١٣٧.

(٢) رياض المديح: ١٣.

رضي الله عـــنهم ورضـــوا عنـــه　　　وسَرُّوا قلـــوبَ حُـــورٍ عِـــيْنِ[1]

أما مَن مدحه من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه تلاميذه الشعراء فلا يكاد يحصى ـ ويطول به البحث، ومن هؤلاء تلميذه الخليفة عبد الرازق فضل الله، والفكي صالح الحاج موسى، والحسن بن محمد ود الإمام ابن تلميذه وجماعة غيرهم نقلنا أشعارهم في غير هذا الموضع[2].

وشاركت في مدح الشريف محمد الأمين شواعر النساء أيضاً، فهذه الشريفة آمنة بنت الشريف السراج من أشراف حلة الشريف يعقوب تقول فيه ذاكرة ما كان من أمر الأتراك معه بمسيده بحلة الشريف يعقوب:

قاعدة في ضراي وجا بولي مِنُّو كلام　　　دَقَرَ الـمَلْقطَهْ الجدري المخَالْطُو الهامْ

يـا دارسْ العلـوم بَـازْلا ولا بنْضَـامْ　　　دَهْ أب ظِيطاً طَلَعْ لي عِنْ بلُود الشَّامْ

في قصيدة طويلة[3].

أما شخصيّته العلمية – رحمه الله – فسأرجئ الحديث عنها بعد استعراض مصنفاته ولكنه إجمالاً كان بحراً في علوم القرآن تميز بالشمول والإحاطة وحسن المعرفة والاستقصاء لرجال الرسم والضبط والقراءات وفنونها. واتسم بالأمانة العلمية الفائقة في النقل عنهم وتميزت مصنفاته بالشمول والضبط والإتقان وتفصيل المجمل من الأحكام وأقوال العلماء، وكان فوق ذلك ناقداً بصيراً صحح الكثير من الأخطاء التي

---

(١) محمد المهدي المجذوب، ديوانه نار المجاذيب ص ٥٤.

(٢) سأثبت هذه النصوص كاملة بإذن الله في كتابي عن الأشراف.

(٣) كتاب الشعر والغنا: و ١٧٨.

وقع فيها أهل الضبط والرسم والأداء وكان واسع الصدر يدعو بتواضع إلى إصلاح ما قد يقع فيه من الخطأ ولكنه يشترط في المصحح أن يكون تصحيحه معتمداً على النصوص.

وسترى كل هذا مبسوطاً في ذيل حديثنا عن منظوماته في علم القرآن في المبحث الأخير.

عمله واجتهاده:

كان عمل الشريف محمد الأمين خالصاً يريد به وجه الله مؤملاً به دخول جنته كما أشار إلى ذلك في غير موضع من منظوماته؛ قال في منظومة الصيانة (البيتان ١٨٧–١٨٨) في حديثه عن باب الهمز في القرآن:

وينبغي اعتناء هذا الباب لكونه أشكل للطلاب

وها أنا صرفت فيه همتي مؤملاً به دخول جنةِ

وكانت حياته أنموذجاً للمسلم الحق العابد المجتهد الذاكر لا يلجأ إلا إلى الله ولا يعتمد إلا عليه قطع خمساً وسبعين سنة أو نحوها من حياته لخدمة القرآن متعلماً ومعلماً.

ولم يكن عمل الشريف محمد الأمين تحفيظ القرآن وحسب، فقد علمنا أن له خمسين ناراً (تقابة = حلقة) لتحفيظ القرآن ولكن كانت للشريف ثلاث عشرة حلقة أخرى هي لفئة أخرى من أولئك الحفاظ الذين أتقنوا حفظ القرآن في خلاويه أو في خلاوي المشايخ الأخرى المنتشرة في السودان ثم جاءوا للشريف لأخذ التجويد وعلوم القرآن الأخرى من ضبط ورسم وقراءات وفقه وحديث مثل أبناء المشايخ الكبار أمثال الشيخ عبدالباقي بن الشيخ حمد النيل والخليفة حسب الرسول ود بدر أو غيرهم ممن حفظوا في جهات أخرى وقصدوه لتلقي العلوم المذكورة من أمثال الفكي عبدالله ود ردّاد وأضرابه.

يقول الشريف يوسف[1]: "وكان عمل الشريف الذي ينبه عليه ويأمر به ويحض الخلق عليه القرآن وصلاة أنس بن مالك (الصلاة الأنسية)[2]. و محافظته على الصلوات الخمس

(١) ملحق تاج الزمان، ومتى نسبت قولاً للشريف يوسف فإنه مأخوذ من هذا المخطوط.

(٢) اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وكان هو الإمام للصلوات الخمس بمسجده ما رأيناه تخلى عنهـا لمـرض ولا لشـغل غيرهـا. وأخبرنا تلاميذه وأخبرتنا زوجاته أن هذا ديدنه من أول عمره. وشاهدناه نحن وهو في ذلك كذلك إلى أن ارتحل لمقابلة المهدي. وأخبرتني والدتي شموم قالت: كان لا يدع صـلاة الليـل بالقرآن وكانت اثنتي عشرة ركعة.

وكان يأمر أتباعه وينهاهم... وأمره عندهم كأمر الله ورسوله في الامتثال والانقياد وكان يعلمهم الفقه والتجويد ويقف المعنى عليهم فيقولون له: ما ظهر لنا هذا المعنـى فيغـوص في دقيقه ويظهر لهم المعنى ظهوراً لا غبار عليه حتى يبتهجوا ويكادوا يطيرون من أنوار الفهوم.. وكان يقول لتلاميذه: وحاة الله آفقرا شيخنا نبينا شيخنا نبينا. ويقول لهم: ادعاء الولايـة مـن أكبر الكبائر.

وكان يحب المداح ويجلس لمديحهم بالطار أيام العيد الثلاثة عـلى بنـبر[1] مـن بنـابر خـدم الفقرا ويكرمهم وينزلهم منزلة خاصة، [قال لي الخليفة أحمد ود المادح-رحمه الله-: قالوا كـان حينما يسمع دخولهم مسيده وهم يرددون (يا الله السلامة) كان يقول "أهل طُلبتي جـو" لأن مسيده كان محرماً على جُباة الطُّلبة (جامعي الضـرائب مـن الأتـراك) لأنهـم طُـلاَّب علـمٍ لا يملكون ما يُجْبى منهم].

---

(1) مقعد من الخشب وهي حبشية محرفة من كلمة منبر.

وكان اعتماد الشريف في المعيشة على بلاده -الأرض التي تزرع بالري المطري- ذكر لي المادح محمد صالح عبدالجبار[1] عليه رحمة الله من أهالي الدناقلة شرق مدني أن مساحة بلاد الشريف بنوارة كانت ثمانية وعشرين جدعة -الجدعة خمسة أفدنة وربع- تمتد من نوارة إلى قريب من ود الركين. يزرعها بنفسه مع الفقرا وهي مُوْنَتُهم لعامهم وكانت تكفيهم. وكان يخرج إلى البلاد ماشياً فيلحقه تلاميذه بزاملة أحدهم ليركب عليها. كما كانت معيشته ومعيشة أولاده وأتباعه الاحتطاب أيضاً، يبيعون الحطب في السوق ويأكلون ثمنه وكانوا يفورون بليلة الدخن - يسلقونه- ويأكلونه ولا يأكلون شيئاً من بيت المال البتة. كان يحش بيده ويفرق طعام الفقرا عليهم بيده، ويغسل ثوبه بيده ويطويه ويُنَشِّفه بساق شجرة ويَرِدُ الماء على ظهره فيملأ أواني والدته في الثلث الأخير من الليل، ويملأ قِرْبَتَهُ بنفسه ثم يذهب إلى صلاة الفجر.

وعلى ذكر الطعام هنا فإن الناظر إلى طعام هؤلاء القوم في مسائدهم وخلاويهم يدرك تماماً أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان؛ فقد كان طعامهم (اللُّقْمة) وهي عصيدة الذُّرة البيضاء، وإدامها الماء، وفي أحسن الأحوال يكون إدامهم من النباتات المحلية: القصب المحرّق ينقع في الماء ويسمى نقيعه (الويكاب) أو البامية المجففة (الويكة) أو الملوخية المجففة (أم تكشو) فإذا وجدوا الحليب أو الرائب فتلك الغاية من الهناء مثلما قال الشريف محمد الأمين مرةً مسروراً بقدوم بعض مادحي الرسول ﷺ فبشرّهم بطعام هنيء حيث قال لهم:

---

[1] كانت استفادتي من المرحوم المادح محمد صالح عبدالجبار ومن المرحوم الخليفة أحمد يوسف يسن (ودالمادح) لا تقدر بثمن، وما أسيت على فقد أحد من أتباع الشريف بقدر أساي على فقدهما فقد كانت تربطني بهما مودة خالصة وكانا -رحمهما الله- آية في الحفظ وغزارة المعلومات عن بيت الشريف الهندي وتاريخه.

الليلة عندنا ليكم ملاح روب شَطَّتُو تلطع في اللسان"[1] وكانوا إذا وجدوا الويكاب عبروا عن سرورهم به في قولهم "ويكاب حادق" أي حريف.ولعلّ قلة الطعام مما يعين على المجاهدة في العبادة ويتولّد عنها صفاء الذهن فقديماً قالت العرب: البِطْنَةُ تذهب الفِطنة" ولكن الذي نفعهم وأعانهم إنما هو بركة القرآن.

ومع أن الشريف رحمه الله كان على رأس أكبر مشروع خيري في السودان وهو تعليم كتاب الله وتحفيظه. والرسول ﷺ يقول: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ولكنه لم يكن منعزلاً عن المجتمع وتعجبه أعمال الخير التي يسمع بها، فقد سمع أن أحد كبار تلاميذه وهو عجيب ود دفع الله الشبرقي من أهل الشبارقة وكان شغله زواج النسوان زواجاً جماعياً فيما كان يعرف بزواج (الكورة) فقال الشريف "لولا قراءة الفقه لتوجهت وساعدت عجيب على عمله".

ويبدو أن مسيد الشريف لسعته واشتهاره كانت فيه منازل مخصوصة للضيوف من الخاصة والعامة فقد ورد في حديث ابنه الشريف يوسف في بعض مصنفاته أن مسيده بشرق الجزيرة نزل به الشيخ عوض الكريم أبوسن زعيم الشكرية والشيخ محمود ود زايد أشهر كرماء السودان وهو زعيم الضباينة، كما نزل به الشاعر إبراهيم ود الفَرَّاش وزميله الرجلي، وكان يأوي إليه مشاهير الفرسان مثل أم بارك الحمدي فارس قبيلة الحمدة المشهور وغيرهم من الأعيان أوأصحاب الحاجات وعابري السبيل.

---

(1) من رواية المرحوم ود المادح. وانظر عن طعام الخلاوي ونظامها كتاب المسيد: ص٦٣.

صفاته وأخلاقه:

كان أبيض اللون، نحيف الجسم، سريع الخُطَى، دائم التلثم والتقنع. وكان ذاكراً لائذاً بالصمت يقول عنه ابنه الشريف يوسف: كان مسجوناً في خلوته وكان لسانه مخزوناً في فمه وفوه مُطْبقاً عليه، لا يفتح هذه الأقفال إلا لعلم أو تلاوة، كثير القيام لا ينام إلا عن غَلَبة ولا تخلو يده من غَرْفة (جزء من القرآن) أو سبحة.

وكان زاهداً لا يعرف شيئاً من أمور الدنيا ولا يملك منها سوى السكين "المطواة" التي يبري بها قلمه. وفراشه حصير ولا مخدة له. ولم تكن عنده ناقة ولا بقرة ولا معزة ولا نعجة ولا جمل ولا حصان ولا حمار. انتقل من حلة يعقوب إلى نوارة على حمار تلميذه إبراهيم مختار، ومن نوارة إلى الأبيض (نحو ستمائة كيلو متر) لملاقاة المهدي على حمارة تلميذه محمد كُرْمِنُّو. ولم يكن له عبد ذكر يتولى خدمته. وله حوالي مائة جارية هن خدم الفقرا جميعهن ممن انقطع عنهن دم الحيض وليس لهن أرب في الرجال، ولا يشتري جارية إلا بهذه الصفة. ومع توافر المواد المحلية والإمكانيات لبناء بيت ولو من الطوب الأخضر (الطين غير المحروق) كان بيته في شرق الجزيرة خلوة من القش بابها من فَلَكَاب[1] السِّدر. قال الشريف يوسف في معرض حديثه عن سيرة أخيه الشريف علي بن الشريف محمد الأمين: ولما احتجب والده بنوارة أربع سنوات كان إماماً للصلاة وشيخاً للصحة وقراءات العلوم... فقام بمقام والده خير قيام وكان يحرس والده في الخلوة ليلاً – في زمن الأمطار – من السباع لأن الخلوة من قش وبابها من فلكاب السِّدر وليس فيها شيء سوى وقاية الله. ثم قال عن زهد والده: ورأيته يحسب

---

[1] السدر الشجر المعروف، والفلكاب أعواد رقاق من هذا الشجر تسقف بها بيوت القش وتشيد بها الصرائف (واحدها صريف وهو السياج من القش).

القرش وهو أرباع أب عريضة وخموس دمج ومعه جاريته واسمها (فضلو واسع) ولا يحسنون حسابها.وأنا واقف عليهم ولا أشاركهم في عملهم، ثم يتفقون على القرش ويجعلونه في الروب لملاح الفقرا. (أي يشترون به الروب). وكان متقشفاً لا يأكل اللحم ولا السُّكَّر. وكان ورعاً لا يقبل الهدية، فقد ردّ هدية الشيخ عوض الكريم أب سن وهي ثلاثمائة رَحَل (عيش) وقال له أعطيها الشريف الريح ينفقها على الضيوف. كما ردّ هدية محمود ود زايد وهي نقدية محمولة على ناقة. بل ردّ هدية الإمام المهدي فقد أرسل له ناقة بيضاء ومائة جنيه ذهب ضيافةً مع أحمد سليمان أمين بيت مال المهدية فردها الشريف وقال له: إن شاء الله يكون حظنا من المهدي غير الدنيا، ومع ذلك عندنا منها ما يكفينا. فلما نقل أحمد سليمان هذا الحديث للمهدي ترجم ترجمة كثيرة وسكت[1].

وكان لا يقبل الهدية إلا أن تكون مسواكاً أو روباً في قرعة. وذكر لي الخليفة ود المادح عليه رحمة الله أنه كان يقبل هدية واحدة من أحد تلاميذه وهو الفكي صالح الحاج موسى وكان يأتي من أم درمان حاملاً نوعاً من الحلوى اسمه (راحة الحلقوم) وكان الشريف يقبلها لأنها تطري الحلق للتلاوة.

ومعلوم أن الشريف محمد الأمين طيلة حياته العملية لم يتقاض أجراً على عمله لا من دولة ولا من أفراد. كيف ذلك وهو يعلم أن السلف يكرهون اتخاذ القرآن معيشة وكسباً. وهو قطعاً مرّ بعبارة الأشموني في مقدمة منار الهدى:"والأصل في ذلك ما رواه

---

(1) ملحق تاج الزمان (مخطوط).

عمران بن حصين مرفوعاً من قول الرسول ﷺ: (من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيأتي قوم يقرأون القرآن يسألون الناس به)[1].

وكان عاملاً مجتهداً أظهر تفوقاً على إخوانه وأقرانه منذ نعومة أظفاره حتى لفت نظر أبيه الذي سأل شيخه الفكي عبدالله الصليحابي عن سر ذلك فقال له: عندما يصل بقية التلاميذ يكون محمد الأمين قد ردد لوحه خمسين مرة لأنه لا يفارق سريري. وكان براً حفياً بشيخه هذا كما مرَّ بنا، وفياً مخلصاً لعامة شيوخه.

وكان مقبلاً على الله وعلى القرآن بكليته متعلماً وعالماً، يقول الأستاذ الطيب محمد الطيب عن المشايخ الذين اهتموا بتحفيظ القرآن وفن التجويد: "ثم خرج على مجتمع المشايخ رجل وهبه الله عزيمة صادقة وقريحة صافية هو الشريف محمد الأمين"[2].

وكان الشريف شفوقاً حتى على النمل والطيور. يقول الشريف يوسف "كان أنفع الخلق للخلق وأرحمهم قلباً ما ذبح شيئاً بيده ولا قتل نملة ولا قملة ولا أخرج روحاً ولا حضر خروجها. وكان النمل معه في خلوته يدرش له الدريش ويقسمه عليه بالربع والتُّمن. و كان يأخذ الطيور التي نصطادها بأشراكنا الواحدة بقرش ويطلقها.

قال وكان يحكم بين الناس بالحق إذا أتوه، والعامة يسمون حكمه بالشريعة البيضاء وكان الحكام يَقْتِتُون ولا يَقْلِبُون (يعني يتذمرون خفية وخيفةً من صرامته في الحق ولا يجادلونه) وكان صارماً لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان يجادل بالقرآن كما سيمر بك.

---

(١) منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني: ص ١٦

(٢) كتاب المسيد ص ٣٠٣.

وكان مهاباً له سمت العلماء والصالحين وهيبة السلف لا يخرج من خلوته لرفيع ولا وضيع ولا يقوم له من مجلسه أبداً. وكان هذا شأنه حتى حينما لحق بالمهدي، فكان الإمام المهدي يزوره في نزله. و قد ذكر الشريف يوسف أن الأميرين عبدالرحمن النجومي وحمدان أب عنجة قصداه في خلوته في رهد كردفان فخاطبهما من مكانه من وراء السوج (الجدار) ولم يخرج إليهما ولم يسمح لهما بالدخول عليه[1].

وكان هذا هو حال السلف؛ فهذا سليمان بن مهران الأسدي الملقب بالأعمش كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح. قال السخاوي: قيل لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره[2]. وهذا حال من استغنى بالله فأغناه عن الناس وحال من خاف الله فألقى له المهابة في قلوب الناس وهو حال الشريف محمد الأمين ما علمت.

وكان شديداً على الحكام الأتراك مبغضاً لظلمهم كثير التعنيف والتوبيخ لهم وقد ذكر الشريف يوسف بعض مواقفه منهم في كتاب (الشعر والغنا) وستمر بك مواقفه الصلبة مع الإمام المهدي وخليفته.

أما الأتراك فيروي ابنه الشريف يوسف أن أحمد أغا أبوزيد المغربي أحد الولاة الأتراك كان مرّ بقرية الشريف يعقوب وبها مسجد الشريف محمد الأمين وكان مع الأغا بُلُكْ [فرقة] عساكر نحو سبعة وعشرين مسلحاً فحاول جماعته النزول بخلوات الشريف فعارضهم الفقرا وحصلت بينهم مضاربة، فانهزم الأغا برجاله ونزل بالمقابر أمام الحلة بمشرع (أبو

---

(١) ملحق تاج الزمان المخطوط.

(٢) الأعلام للزركلي: ٣/ ١٣٥.

عجيجة) وأرسل للأشراف أهل الحلة وقبض على ما يقارب العشـرين رجـلاً، فـيهم أولاد الشريف يعقوب ونزل بمنازل الشـريف الريح فتوجـه إليـه الشـريف محمـد الأمـين وفـك الأسرى ودار حوار حاد بينه وبين أحمد أغـا قـال الشريـف يوسـف: ومـن كـلام أحمـد أغـا للشريف محمد الأمين قبل أن يرى برهان ربه "الله ما قـال ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩. ؟ فقال له الشـريف: الله قـال: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨. فلما وصل الأغا إلى (القلعة رانج) لحقه طلب من الحكومة التركية بعزله من منصبه فأرسل أخاه يعتذر للشريف وقفل راجعاً[1].

يقول الأستاذ الشيخ يوسف إبراهيم النور: "ولهذه المثابرة والاجتهـاد في حفـظ القـرآن كان هؤلاء الأئمة يحاطون بالجلال والهيبة والتقديس ونفـاذ الكلمـة واتسـاع الجـاه وارتفـاع المنزلة عند السلاطين وعند العامة والخاصة. ولقد استمرت هذه الطريقة النادرة الوجـود إلى عصر خاتمة القراء بالسودان الشريف محمد الأمين الهندي[2].

تلامذته:

بعد أن تسـنت للشريف محمد الأمين هذه المنزلة السـامية والحصيلة العلميـة النـادرة والثروة المعرفية الوافرة كان لابُدّ له من نشرها بين الناس فبدأ مسيرة خدمة القرآن وعلومـه، تلك المسيرة القاصدة إلى الله والنافعة لعباده بما لا نظير له في بلاد السودان آنـذاك واسـتمرت نحو خمسين سنة وامتدت آثارها إلى زماننا هذا.

---

(١) كتاب الشعر والغنا والورقة ١٧٧.

(٢) مجلة الضياء: ص ٨١. (نقلاً عن القراءات والرسم ص ٢٨٣).

ذكر صاحب الطبقات أن الذين بلغوا خمسين سنة في التدريس قليلون منهم الفقيه عبدالماجد ود أحمد والفقيه عبدالدافع القنديل والفقيه الزين ود صغيرون والفقيه إسماعيل ود بلال والشيخ دفع الله العركي[1]. قلتُ فيكون منهم الشريف محمد الأمين الهندي الذي أمضى نحو سبع وعشرين سنة في جهة الشمال (السافل) في منطقة مرنات والسروراب وأم طريفي، وأربع عشرة سنة في حلة الشريف يعقوب واكتمل عقد خلاويه في جهة نوارة بنهر الدندر وأمضى فيها سبع سنوات ثم كان ما كان من أمر المهدية وسفره لمقابلة الإمام المهدي سنة ١٢٩٩هـ فبقي في رهد كردفان حتى وفاته عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م، وقد دلت الأخبار على أن بعض تلاميذه رافقوه وبعضهم لحقوا به هناك ومرّ بك تحديد ريتشارد هيل في قاموس التراجم لبداية رحلة الشريف في تعليم القرآن وأنها كانت في نحو سنة ١٨٤٠م وأن تلاميذ الشريف ومعاصريه يرجعونها إلى ما قبل ما ذكره صاحب القاموس. فيكون بذلك قد بلغ الخمسين سنة أو نحوها. وهو عُمر في التدريس مديد كانت حصيلته آلافاً مؤلفة من التلاميذ وعدداً مقدراً من المصنفات.

وفي نوارة حيث الأرض الواسعة والأمطار الجيدة التي توفر المونة والغذاء للطلاب اكتمل عقد خلاوي قرآن ود الهندي حيث نستطيع أخذ صورة تقريبية لأعداد طلابه فكانت تقاقيب القرآن نحو خمسين تقابة لكل تقابة شيخ مع كل شيخ نحو مائة طالب إضافة إلى ثلاث عشرة تقابة لكل تقابة شيخ حوله نحو خمسين طالباً يدرسون علوم القرآن من تجويد وقرآءات ورسم وضبط. وقد تحدث الناس وأفاضوا في ذكر تقاقيب القرآن التي تشب حين يدخل الليل فيكون لها منظر عجب يخلب الألباب حتى قيل إن نساء قرية الشريف يعقوب

(1) طبقات ود ضيف الله ص ٣٤١.

كنّ يغزلنّ القطن ويضفرن السعف في ضوء تلك النيران. قال الدكتور العوض: "حدثني المرحوم الشيخ حامد حاج الأمين مؤذن مسجد البشاقرة غرب أنه في صغره كان يرعى الإبل في تلك المنطقة ورأى هذه القرية [يعني نوّارة] وذكر لي أن تقابة القرآن ترى من بعيد وكأنها جبل من ارتفاعها"[1].

أمّا أعداد الطلاب فقد بلغت آلافاً مؤلفة خلال حياة الشريف محمد الأمين العملية التي بلغت نحو خمسين سنة كما تقدم. وإذا نظرت إلى عدد التقاقيب الثلاث والستين وأعداد الطلاب الملتفين حولها بان لك هذا العدد الهائل الذي ينسب إلى الشريف محمد الأمين وخلاويه. يقول الدكتور علي العوض إن حفيد الشريف محمد الأمين وهو الخليفة الشريف الصديق ذكر له أن والده الشريف يوسف ذكر أن تلاميذ والده وتلاميذهم بلغوا على عهد الشريف مائة ألف، قال الدكتور "ولا شك أن في ذلك القول مبالغة"[2] ونحن إذ نثني على الجهد المحمود المقدر الذي بذله الدكتور العوض سائلين الله له جزيل الأجر والثواب نقول إن هذا العدد قد قيل ولا مجال للشك فيه إذ لم يكن الشريف يوسف المؤرخ المحقق المدقق العالم العابد بحاجة إلى التزيُّد، ولم يكن والده قطب القرآن وخاتمة المحققين بحاجة إلى أن نصطنع له مجداً زائفاً ولم يكن خليفتهما الشريف الصديق الاسم على المسمى بحاجة إلى المبالغة. والذي ذكره شيخنا الشريف الصديق هو صدق محض[3] لأن الشريف يوسف يقول

---

[1] القراءات والرسم: ص ٢٨٦، كتاب المسيد: ص ٣٠٥، رياض المديح ص ١٣.

[2] القراءات والرسم: ص ٢٨٧.

[3] لقد شرفت بصحبة سيدي الأستاذ الشريف الصديق والتلمذة له وأشهد له ويشهد كل من رآه -ولا نزكيه على الله- أنه خليفة أبيه وجده في الصلاح والجد والاجتهاد والغيرة على القرآن والتوجه إلى الله. ولم نر صدقاً وتحرياً وحسن اتباع واجتناب ابتداع وحسن طريقة وزهداً أكثر مما رأينا فيه. كان يطلب مني - وأنا طالب بالجامعة - إذا

في كتاب (المحامد) وهو كتيب صغير الحجم كبير القيمة سماه (المحامد) وذكر فيه نعم الله عليه. يقول الشريف بعد أن عدّد شيئاً من نعم الله عليه ومنها نعمة الإسلام والإيمان ومنها أن جعله من ذرية خير الخلق من العترة الحسينية ثم يحمد الله أن جعله "مع الإقامة السودانية من العائلة الهندية التي لها الفضل بالشرف والصلاح والعلوم وتعليم القرآن. مع ما خص به والدي بأحوال ليست بالبعيدة التاريخية. وقد يوجد الآن من تلامذته وتلامذتهم مائة ألف نفس يعرفون القرآن"[1].

ألا ترى ضبط الشريف وصدقه؟ قال (من تلامذته وتلامذتهم) ولمزيد من الدقة قال من أول كلامه (قد يوجد) ونحن لما نعرفه من سيرة الشريف محمد الأمين وأخباره نرى المائة ألف قليلة على تلاميذه وتلاميذهم. والشريف يوسف مؤرخ محقق ضابط صادق رزق المعايشة للأحداث وسخّر الله له ثقات الرواة الذين لا يزودونه إلا بصحيح الأخبار والممحص منها لمهابته في نفوسهم ولمعرفتهم بتحقيقه وتوثيقه وتدقيقه. قال معاصره المؤرخ الأستاذ محمد عبدالرحيم صاحب (نفثات اليراع) في حديثه عن الشريف يوسف: "وأنه لم يستطع أحد غيره من علماء التاريخ الوطنيين أن يدون تاريخاً محكماً لهذه الأمة مثلما فعل الشريف في كتابه النادر (تاج الزمان) الذي يناهز العشرة أجزاء، أسعدني الحظ بتصفح الأول والثاني منه فألفيته بحراً لا ساحل له به من الحقائق التي لم يجمعها كتاب بين دفتيه من مؤلفات المتقدمين ولا المتأخرين عن هذه الديار... ثم قال: ولي كتاب أيضاً سأرجع فيه بعون الله إلى

قابلنا أحد الباحثين في تراث الشريف وأنا بمعية الخليفة ود المادح وحاج الأمين ود كريتة رحمهما الله أن نتحرى الدقة فيما يرويه الخلفاء وأن نروي المتواتر من سيرة الشريف وأن نتجنب ذكر أمور الخاصة.

(1) المحامد ص ٩.

الاقتباس من هذا التاريخ لثقتي في سعة اطلاع المؤلف ونزاهته في النقل[1]. وللقارئ أيضاً أن يستأنس بهدايا الأعيان للشريف محمد الأمين التي كان يردها ولا يقبلها[2] فكيف يهدي له زعيم الشكرية الشيخ عوض الكريم أب سن ثلاثمائة رحل من الذرة (ستمائة جوال) لولا ما رأى من كثرة الخلق عنده. بل كيف يهدي له محمود ود زايد زعيم الضَّبانية نقدية محمولة على ناقة لولا ما وقف عليه من أعداد طلابه الهائلة. ولولا ما وقف عليه من صلاح الشريف محمد الأمين ونفعه لأولاد المسلمين؟ وقد كبر الشريف محمد الأمين في نفس ود زايد حتى قال لمجالسيه حين رأى الشريف يوسف يدخل مجلس الخليفة عبدالله التعايشى واثقاً ثابت الجنان لا يهرول ولا يغير شيئاً من هيئته فسأل عنه فقيل له هذا يوسف بن الشريف محمد الأمين فقال: يعلم الله لو جرى كنا نقنع من شفاعة جده يوم القيامة[3]. وكانت العادة أن الداخل على الخليفة التعايشي لا بد أن يهرول.

ثم إن الدكتور علياً نفسه ذكر أن الشيخ المكاوي الفكي الفضل من قرية ود نعمان ريفي الحوش روى له عن والده تلميذ الشريف محمد الأمين أن عدد المتخرجين من الحفظة من خلاوي الشريف بنوارة كل يوم أربعاء عشرة من الحفظة وهذا على مدار العام طيلة المدة التي قضاها الراوي في خلاوي الشريف. فإذا أخذنا هذا في المتوسط كان مجموع المتخرجين في العام نحو الخمسمائة فإذا ضربت في الخمسين عاماً يكون نحواً من خمسة وعشرين ألف تلميذ، ولابد أن هذا العدد يزيد وينقص ولا يمضي على وتيرة واحدة. ولكنك لو أخذت خمس هذا العدد من تلاميذ الشريف الذين مارسوا تعليم القرآن بعد رجوعهم إلى أوطانهم وجعلت لكل واحد منهم عشرين تلميذاً فقط لبلغوا العدد المذكور ناهيك بالتلاميذ الذين علموا الآلاف ممن سنذكرهم وشيكاً.

---

(1) جريدة حضارة السودان، العدد ٦ بتاريخ ٤/ ٩/ ١٩٢٠م.

(2) انظر حديثي عن صفات الشريف محمد الأمين.

(3) رواية الخليفة أحمد يسن المادح وجماعة.

ولعل الدكتور العوض – وفقه الله- إذا رجع إلى تقاقيب القرآن بنوارة أن يطمئن قلبه إلى العدد المذكور فقد ذهب المعاصرون إلى أنها كانت خمسين تقابة للقرآن في كل تقابة منها مائة طالب وثلاث عشرة للتجويد وعلوم القرآن في كل تقابة منها خمسون طالباً. هذه أكثر من خمسة آلاف في وقت واحد اعترف بها الدكتور العوض في مقدمة رسالته فكيف بخمسين سنة وكيف بتلاميذ هؤلاء؟ بل لعله يستأنس أيضاً بما نقلناه عن تاج الزمان وقد ذكر فيه أن للشريف محمد الأمين مائة خادمة ممن انقطع عنهن دم الحيض يقمن بعمل طعام الطلاب (الكسرة والملاح) فما العدد الذي تقوم بإعداد طعامه البسيط هذا مائة امرأة كَهْلةٍ متفرِّغة؟

بل ذكر الحاج نقد مصطفى الدنقلاوي[1] عن عمه الفكي بابكر ود ضرار تلميذ الشريف محمد الأمين أن الذين حفظوا القرآن على الشريف محمد الأمين بحلة الشريف يعقوب وحدها ممن اسمهم (محمد) فقط بلغوا ثلاثمائة حافظ، فكيف ببقية الأسماء؟!

وكان المتخرجون من هذه الخلاوي على درجة عالية من التجويد والضبط والإتقان فقد كان شيخهم وقدوتهم مضرب المثل في ذلك. كان أثناء العملية التعليمية التي انقطع لها وفَرَّغَ لها كل مشاعره كان شديد الحضور حصيف العقل قوي الإدراك ضابطاً متقناً يقظاً منصرفاً بالكلية إلى تتبع طلابه حتى إنه كان حين يعرض عليه الطلاب ألواحهم يستمع إلى العشرين وأكثر فيصلحهم بيقظة ومتابعة تلفت النظر حتى شكوا في ذلك فتعمدت جماعة منهم الكسر ليختبروا متابعته فكان كلما أخطأ أحدهم استوقفه وأصلحه وقال لهم: أنا كلي سمع[2].

---

(1) تسجيل صوتي بصوت الحاج نُقُد مصطفى من أخي الأديب الحاج أحمد الفكي صالح من أهالي الدناقلة شرق مدني وأبوه الفكي صالح من أشهر تلاميذ الشريف محمد الأمين الهندي.

(2) كنت دفعت بهذا المبحث قبل النَّشر إلى أستاذنا الدكتور سر الختم الحسن عمر، أحد الحُفّاظ المهرة وأستاذ القراءات القرآنية بكلية التربية – جامعة الملك سعود بالرياض، فعلق عليها –جزاه الله خيراً تعليقات نافعة ووجهني توجيهات مفيدة وحين وصل إلى هذا الموضع كتب بارك الله فيه: "هذا ما كان متبعاً لدى مشايخنا الذين أدركناهم وإلى عهد قريب فما بالك في عهد الشريف؟ أما إن حدث من الشريف رضي الله عنه فلا غرابة أبداً !.

والله بما تعملون بصير خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم
فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم
ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ألم يأتكم نبؤا
الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك
بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا
فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد زعم
الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور
الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع
ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب
من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله

صفحة من مصحف الشريف يوسف الهندي بخط الفقيه آدم الحلاوي تلميذ الشريف محمد الأمين الهندي
كتب بقرية فداسي سنة ١٣٤٤هـ

هذا الضبط والإتقان في خلاوي ود الهندي تحدث عنه الشريف الفكي أحمد إمام مسجد البشاقرة غرب فذكر أن خالهم الفكي إبراهيم أرباب تلميذ الشريف محمد الأمين حدثهم عن زيارة الشيخ مالك محمد[1] محمود لمسيد الشريف، وقد كان من مشاهير الحفاظ والمجودين ولشهرته عرض عليه الشريف تصحيح الألواح، وعرض عليه خمسون طالباً ممن كان يكتب أول سورة الرحمن وبعد هذه الأيام الثلاثة المتوالية لم يجد خطأ يصلحه بالألواح التي مر عليها فأخذ قلمه وهو نظيف وربطه على سرج حماره فكان كلما مر على خلوة في طريق عودته يسألونه عما وجده بنوارة فكان يمد قلمه نظيفاً ويقول صححت به الألواح ثلاثة أيام فلم أجد خطأ[2]. وهذه الدرجة النادرة من الضبط والتجويد والإتقان هي التي أكسبت الشريف هذه الشهرة حتى أصبح قرآنه مضرب المثل فكانوا يقولون (قرآن ود الهندي).

وكان من الطبيعي أن تتعدد التخصصات في هذا المسيد الذائع الصيت الواسع العدد فكان القرآن وحفظه وتفسيره وكانت دروس القراءات والتجويد والضبط والرسم ثم كانت هنالك كتابة المصاحف المميزة لهذه الأعداد المتخرجة. وقد اشتهرت نخبة من تلاميذ الشريف بكتابة المصاحف في خلاويه كلها وكانوا يكتبونها برواية الدُّوري عن أبي عمرو بن العلاء المازني البصري. ورواية ورش عن نافع أيضاً. وكان من مشاهير كتاب المصاحف الفكي ضرار بن الحاج الدنقلاوي صاحب المصحف المشهور الموجود الآن ببري بحوزة الخليفة الشريف الصديق. وهو من تركة الشريف محمد الأمين المأثورة. وهو برواية الدوري عن أبي عمرو طلبته جامعة أفريقيا من الخليفة الشريف الصديق فسلمه لهم وطبعت منه الجامعة

---

(1) أضاف الدكتور سر الختم هنا معرفاً بالشيخ مالك قائلاً: هو والد الشيخ محمد مالك – أحد علماء معهد أم درمان العلمي وأحد علماء الشؤون الدينية أيام ازدهارها – رحمه الله.

(2) القراءات والرسم: ص ٢٧٦.

لأول مرة في السودان نصف مليون نسخة برواية الدوري ثم أعيد للخليفة الشريف الصديق[1].

ومن كتاب المصاحف أيضاً الفكي آدم بن الفقيه أحمد بن الحاج فضل الله الحلاوي من مشاهير الحفاظ من تلاميذ الشريف محمد الأمين وهو الذي اختص أيضاً بكتابة منظومات الشريف في علوم القرآن[2]. وقد كتب الفكي آدم سوى ذلك مائة مصحف ومصحفاً واحداً وكان هذا الأخير قد اختص به الشريف يوسف نجل الشريف محمد الأمين وهو موجود بمكتبة خليفته ببري وسأذكر أمره وشيكاً. قال الشيخ يوسف إبراهيم النور عن هذين الكاتبين: ولقد بلغ في هذه الأزمان المتأخرة ثمن المصحف الذي كتبه الفقيه ضرار أو الفقيه آدم الحلاوي -وهما تلميذان للشريف محمد الأمين الهندي- بلغ ثمن مصحفهما [خمسين] جنيهاً[3] وذلك لصحتهما وموافقتهما لقواعد الرسم والضبط كما حققه المتقدمون من شرّاح مورد الظمآن وضبط الخرازي وعقيلة أتراب القصائد[4]. توفي الفكي آدم بمنطقة الحلاويين بالجزيرة -رحمه الله.

وكان من حرص الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين على تراث أبيه وخوفه من إهمال الناس للقرآن وعلومه بعد المهدية والفتح الإنجليزي وبعد التفرق المؤسف لجموع أبيه الحاشدة بظهور المهدية أن جمع جماعة من كبار تلاميذ أبيه المشهود لهم بجودة الخط والضبط

---

(1) مجلة الفيض عدد ١٤ سنة ١٤٢٥هـ ص ٤١.

(2) جاء في آخر صفحات منظومة الفوائد في علل الهمز والزوائد للشريف محمد الأمين، ما نصه: وقد تم هذا الكتاب بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير إلى الله آدم بن الفقيه أحمد الحاج فضل الله إلى التقي النقي العالم العلامة = عبدالله ود حاج حامد نفعنا الله به والمسلمين.وقد وافق تمام رسمه نهار الأربعاء الموافق ١٥ ربيع ثاني سنة ١٣٢٣هـ.

(3) كان هذا المبلغ في ذلك الزمان ثروة طائلة. وفي الأصل (خمسون) والصحيح ما أثبته.

(4) مجلة الضياء ص ٨٣. (نقلاً عن القراءات والرسم ص ٣٨٠).

خطاب بخط الفقيه صالح الحاج موسى تلميذ الشريف محمد الأمين الهندي فصل فيه جهود المجموعة المكلفة كتابة مصحف الشريف يوسف الهندي بفداسي سنة ١٣٤٤هـ

والإتقان لتطبيق فكرة المصحف الإمام، فكتبوا مصحفاً إماماً سماه (المصحف الفحل) على عادة أهل الخلاوي. يقول د. علي العوض عن مشاهير تلاميذ الشريف: "ومن أشهرهم ذلك النفر الأربعة الذين قاموا بكتابة مصحف إمام (فحل)"[1]. قلت: وهم الفقيه آدم الحلاوي والفقيه عبد الله ود أم مرحي والفقيه محمد أحمد الحاج طه والفقيه صالح الحاج موسى. وقد كتبوا تقريراً وجهوه إلى الشريف يوسف بينوا فيه جهدهم في كتابة ذلك المصحف فدلَّ كتابهم على تمكن تام وإخلاص نادر وكان الكتاب بخط الفقيه صالح الحاج موسى وبأسلوبه. وهذا الخطاب يريك مقدار ما كان عليه تلاميذ الشريف محمد الأمين من ضبط ومعرفة وعلم فهاك نص الخطاب:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فإلى حضرة (ذو) الجناب الأفخم (أبا) محمد الأمين سيدي الشريف يوسف نجل الشريف محمد الأمين الهندي أطال الله في العالمين بقاه وأرشد الكل بمنار هداه آمين.

بعد جزيل السلام المحفوف بكل أدب واحترام إلى منيف علياك والتماس برد رضاك واستمناح فضلك وحماك سيدي هاك تفصيل ما جرى عن هذا الطلب لئلا تختلف عليكم الروايات من الواردين حسب الظاهر.

سيدي لما بلغتني الوصية من الشريف محمد الأمين[2] بالحضور بفداسي في يوم ٥ القعدة توجهت فوراً وحضرت بفداسي في اليوم الموعود وهو الاثنين ويوم السادس منه حضر الفقيه

---

(1) القراءات والرسم: ص ٢٨٦.

(2) هو أكبر أنجال الشريف يوسف الهندي، وقد كان متزوجاً من كريمة الشريف بركات بفداسي، توفي في حياة والده الشريف يوسف، وكان جليلاً باراً بأبيه عاملاً مخلصاً، ولوالدي رحمه الله صحبة معه وأخبار، ومن آيات صلاح شيخنا الخليفة الشريف الصديق توجهيه بدفن الوالد مع رفيق دربه الشريف الأمين ببري، تنفيذاً لوصية الوالد، ووفاء لهما بارك الله في أيام الخليفة الشريف الصديق ورحم أسلافه وأتباعهم ونفعنا بهم أجمعين.

محمد أحمد الحاج طه وتلاه في عصر هذا اليوم الفقيه آدم الحلاوي وتلاهم في سابع القعدة الفقيه عبد الله أمرحي وهو يوم الأربعاء وأقمنا الجميع بفداسي يوم الخميس والجمعة والسبت والأحد في انتظار الورق والأدوات الكتابية المرسلون إليها كلاً من الفقيه آدم الحلاوي ومحمد سعيد نجل الفقيه العباس وشرعنا في الكتابة عصر الاثنين الموافق ١٢ القعدة ١٣٤٤هـ كتبت فيه الفاتحة فقط واجتهدنا صبيحة الثلاثاء الموافق ١٣ القعدة صار يكتب آدم الحلاوي بعد تعذر الفقيه عبد الله أمرحي لأننا اخترناه أولاً لما رأينا خطه أجمل الموجودين وأوضح ثم اخترنا آدم الحلاوي لأقدميته في الكتابة وبالسؤال أورى بأنه كتب ماية مصحف وبمصحف سيادتكم هذا أكمل ماية وواحد. فاندفع يكتب الآي ونحن اقتفيناه بوضع الأحكام فصار بعهدة الفقيه عبد الله امرحي القلم الأصفر والأخضر فالأصفر للهمز والأخضر للابتداء اختار ذلك هو. وبعهدة العبد الحقير القلم الأحمر لوضع الآي والخمس والعشر والإلحاق والتسهيل والإمالة والبدل والمد والصلة والمواقف من تام وكافي وحسن إلخ والنصوص التي على هامش الكتاب جميعها بالحمراء ولكن المواقف بمشاركة الفقيه محمد أحمد مع التزامه بالتسطير يعني التحويش على أطراف الورق وبعض رياضه وجانب من الشكل. وبعد فراغ آدم من كتابة الآي رجعنا إلى الشكل والتصحيح وجل الشكل والصحة موكولة على الفقيه آدم ويليه في الأغلبية للشكل الفقيه عبد الله امرحي ويليه الفقيه محمد أحمد ويليهم العبد الحقير شكل جانب قليل وفرغنا من الجميع يوم الاثنين ١٢ الحجة ١٣٤٤هـ كما بدئ. ولكن لم نبلغ المراد الكلي في التصحيح لمضايقة الوقت ومتأسفين غاية لعدم شروعهم في العمل بواسع الوقت ويودوا أن لو شفعتوا لهم الطلب بعد المسور لكتب مصحف ثاني بزيادة فحص وتدقيق أكثر بل يكتبوا عدة مصاحف لأولادكم الأشراف يبتغون بذلك الرضا وأن تشملهم دعوة صالحة تنعشهم في دينهم ودنياهم وكلهم يقبلون تراب أقدامكم الشريفة.

وهذا المحرر كتبه الحقير بمحله لكن بمشورة الأخوان كلهم في معنى ما كتبناه حيث لم نتمكن من كتابته هناك لضيق الظرف. وفي الختام يرتجون الدعوة الصالحة بحسن الختام والسلام.

الفقيه آدم الحلاوي –الفقيه عبد الله أمرحي– الفقيه محمد الحاج طه – تراب أقدام الفقرا صالح الحاج موسى. ٥ محرم ١٣٤٥هـ)[1].

هذا وقد عرف القارئ الكريم شهرة الفقيه آدم الحلاوي، أما الفقيه محمد أحمد الحاج طه فلا يقل شهرة عن رفيقه الحلاوي فقد كان مشهوراً بكتابة المصاحف وهو الذي كتب كتاب (القيود المفهمة في حل ألفاظ المقدمة) للشيخ عبد الرحمن الأغبش قبل اشتراكه في كتابة المصحف الفحل مع الحلاوي ورفيقيه بعشر سنوات أي في ١٣٣٤هـ[2] أما الفكي عبد الله ود أم مرحي فقد شهد له رفاقه في الكتاب المحرر للشريف بجمال خطه ووضوحه وإن لم نعثر على صورة منه وأما الفكي صالح فهذا الخطاب الذي أثبتنا صورته يريك جودة خطه ومتانة أسلوبه وسبكه[3].

---

(١) وذكر لي الوالد رحمه الله قصة كتابة المصحف الفحل وسمىّ لي الجماعة الذين اجتمعوا لكتابته ومرّ ذكر الخليفة علي ود مساعد من الكواهلة الباقية نواحي دوبا ولعله كان قائماً على أمرهم. قال وكان الشريف قد أمر بأن ينحر لكتاب هذا المصحف خروفاً كل يوم وقد استمرت كتابته شهراً كما رأيت. فانظر إلى هذا الاهتمام والاحتفاء المتوارث بكتاب الله!!.

(٢) القراءات والرسم ١١٢.

(٣) الفكي صالح الحاج موسى أحد تلاميذ الشريف محمد الأمين، وصار كاتباً لابنه الشريف علي وكان معه حين استشهد بواقعة سنار وهو شاعر ماهر، رثى الشريف علي ومدح الشريف يوسف. وهو والد الشاعر المجود الخليفة إبراهيم الفكي صالح –تلميذ الشريف يوسف– وشقيقه الحاج أحمد صالح بقرية الدناقلة شرق مدني؛ وهو الذي تقدم ذكره.

وزاد بعضهم على ذلك بيتا في عددها فقال:

أبياتها قاف وزاي في العدد * من يتقن التجويد يظفر بالرشد

يعني أن أبيات هذه المقدمة عدد أبياتها بعدد القاف بالقلم الهندي وهي مائة وبعد الزاي وهي سبعة ومعنى كلامه أن هذه المقدمة مائة وسبعة أبيات قال في الدقائق هذا على ما في أكثر النسخ ومائة وثمانية على ما في أقلها قوله من يتقن التجويد فالاتقان هو التحقيق أي ومن يحقق التجويد أي يظفر أي يتصف بالرشد يعني بطريق الهدى وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين قد تم هذا الكتاب بعون الملك الوهاب على يد كاتبه ومالكه محمد محمد محمد طاه [illegible] اللهم اغفر لكاتبه ومالكه وقاريه ولوالديهما ولمشايخنا ولمشايخ مشايخنا وللمسلمين أجمعين بحرمة سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

انتهى

الصفحة الأخيرة من كتاب (القيود المفهمة) للشيخ عبدالرحمن الأغبش

بخط الفقيه محمد أحمد طه تلميذ الشريف محمد الأمين الهندي

وقد تأسى بالشريف محمد الأمين تلاميذه وأصبح أكثرهم أصحاب جد واجتهاد في تعليم القرآن خصوصاً مؤسسي خلاوي القرآن الكبيرة في بيوت الدين الشهيرة وأولهم ابنه وتلميذه الشريف يوسف الذي أشعل نار القرآن بقرى الجزيرة شرقاً وغرباً كخلوة الحريّز والربوة والدنيقيلة والعيكورة وود الزاكي وبجبوج وملولحة وأم مرحي الجزيرة ثم اضطرته الحكومة الإنجليزية إلى الإقامة الجبرية ببري لما رأت كثرة أتباعه وخشيت أن يقوم بحركة كالمهدية. يقول الشيخ محمد الجابري عن هذه الحادثة: كان الشريف يوسف أكبر الزعماء مقاماً عندما أعيد فتح السودان وقد ظل يقيم في سنار حتى سنة ١٩٠٨م ولكن الإنجليز بدأوا يشكون في إخلاصه بعد واقعة (كتفية) بسبب إيوائه لفلول أنصار ود حبوبة عندما كان في سنار فدعوه للإقامة في الخرطوم. ولولا مكانته الروحية التي تبلغ حد التقديس في نفوس أنصاره ومريديه من قبائل العرب لمثلت به الحكومة كما ضيقت على غيره من الزعماء والفقهاء الدينيين"[١]. ومع ذلك لم يترك نار القرآن تخبو، فأسس خلوته في بري والتي عرفت بالجامعة وقد رأينا آثارها أمام ضريحه الموجود ببري الآن. وذكرها هارولد باركلي في كتابه عن (بري اللآماب) وقال إنها كانت قائمة بين الأعوام ١٩١٤-١٩٣٤[٢].

وكثيراً ما يحكي الخليفة الشريف الصديق حرص والده على إيقاد نار القرآن بالخرطوم بعد أن أصبح مقيداً محدّد الإقامة من قبل المستعمر البريطاني ويردد قول والده: أحضرنا اثنين وخمسين فقيها لهذه الخلوة –وهم قطعاً من تلاميذ والده الشريف محمد الأمين– إما ذهب

---

(١) في شان الله، محمد أحمد الجابري: ص ١١٩.

(٢) انظر: بري اللاماب لهارولد باركلي، ١٩٦٤ ص ٢٢٩(بالإنجليزية).

الفقيه وإما ذهب الأطفال لعدم رغبة أهل البنادر في تعليم القرآن وميلهم إلى التعليم النظامي في المدارس[1].

وكان دائماً ما يطلب من أتباعه أن يوقدوا نار القرآن وكان يبعث لهم بالفقهاء وكلهم من تلاميذ والده النجباء، ويرفع عنهم النفقات. فقد بعث الفكي عبدالرازق فضل الله إلى البطانة لتعليم الناس القرآن وتوفي هناك. وله قصة وكرامات تذكر. وبعث للمغاربة الفكي محمد ود بعشوم وكان يتبع عربان البادية في حلهم وترحالهم وكذلك بعث الفكي محمد أحمد سنيطة والفكي عبدالرحمن ود الضو من قبيلة الكواهلة والفكي الخليفة البدوي البادري في قبيلة البوادرة، وبعث للأحامدة الشريف أحمد ود قرشية وفي قبيلة كنانة الفكي حامد البغدادي. وكان الفكي إبراهيم أب جلفة صاحب مسيد تعلم فيه الآلاف بقرية أب جلفة نواحي رفاعة وجماعة لا يحصون[2].

وكان الشريف يوسف شديد الاحتفاء بتلاميذ والده شديد التعظيم والتبجيل والتوقير لهم. يتفقدهم في قراهم وخلاويهم ويتعهدهم بالرعاية ويعينهم على إحياء نار القرآن ويحمل عنهم النفقات. وإذا مرّ ببلد فيه أحد تلاميذ أبيه كانت داره منزلاً له، وكان جدنا الفكي عثمان ود أحمد الكاهلي أحد تلاميذ الشريف محمد الأمين البارزين وكان صيتاً بارعاً في الحفظ والتلاوة فكان الشريف يوسف إذا نزل عنده واستقر به المقام طلب منه أن يبركهم بشيء من قرآن ود الهندي فيقرأ عليهم سورة مريم تبركاً. قال والدي عن والده –رحمهما الله– كان

---

(1) انظر أيضاً مجلة الفيض عدد ١٤ ص ٤١.

(2) الخليفة أحمد يس المادح (رواية شفوية ١٩٨١).

أهلكنهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا وإذ قال موسى
لفتيه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا
حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتيه ءاتنا غداءنا لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا قال أرءيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسيه
إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على
ءاثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا ءاتينه رحمة من عندنا وعلمنه من لدنا
علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا
ولا أعصي لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث
لك منه ذكرا فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق
أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني
بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلما فقتله
قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا

صفحة من مصحف والدي (عليه رحمة الله) كتب في ١١ رمضان ١٣٥٠هـ

الفكي عثمان من حسن الصوت وجودة الأداء كأنه (دَبَاسَة عـلى فـرع) أي كأنـه قمريـة تغرد على غصن[1].

وللفكي عثمان ود أحمد الكاهلي أخبار مع الشريف يوسف تدل على حرص الشريف على حملة كتاب الله عموماً وعلى تلاميذ أبيه خصوصاً. قال الوالد كان الفكي عثمان مع الشـريف في شرق الجزيرة وسمع بأن الجهدية (بعض جنود المهدية) يقومون بغارات على أهله في حلال الكواهلة جنوب ود مدني. فعرف الفكي عثمان أنه إذا استأذن الشريف فإنه لن يسمح له ضناً به وخوفاً عليه وعلماً بشجاعته وإذا بقي مع الشريف فربما قال أهل بلده إنـه احتمـى بشـيخه خوفاً من الموت فانتهز فرصة دخول الشريف يوسف للقيلولة فعبر النيل الأزرق وحين خرج الشريف من قيلولته لم يسأل إلا عن الفكي عثمان، فقيل له خرج فأرسل الناس وراءه يطلبونه بكل سبيل فلم يدركوه فقال الشريف: يعلم الله الكاهلي ده الموت في وَشّو (وجهـه). فلحـق بأهله وحمل سلاحه وانضم لقومه: فهاجمهم حمّاد النايرِ وقتل منهم أعداداً وكان من بـين مـن استشهد الفكي عثمان. فكان أسف الشريف عليه عظيماً يذكره في كل مناسبة[2].

---

(1) أُشْهِد الله أن والدي كان بالصفة المذكورة عن والده في جودة الحفظ ودقة الأداء وحسن الصوت. عاش نحـواً مـن مائة وعشرين سنة وصحبته أربعين سنة من عمري فما أدخلني عليه طارئ بعد نصف الليل إلا وجدتـه تاليـاً أو متهجداً خاشعاً رحمهم الله جميعاً ونفعنا بهم.

(2) سمعت من والدي –رحمه الله– ومن تسجيل صوتي له أن الشريف يوسف كان شـديد الحـرص عـلى إحيـاء نـيران القرآن وكان له مرور وتفقد دوري على الخلاوي وكان شديد الحفاوة بالحفاظ كان إذا جيء بصبي (جاب القرآن) أي ختمه وأتم حفظه، كان يذبح له الناقة والخرفان ويسيّره (الفقرا) بالسفائن والتهليل و(الطارات تضرب).وقال كنت في خلوة الفكي ود الإمام بالترعة (البرياب جنوب ود مـدني) وكـان بهـا خلـق عظـيم مـن التلاميـذ وجـاء الشريف يوسف في المرور (التفقُّد) كعادته فلما كان الليل وجاء وقت العشاء كان معه كبار الفقراء مـنهم حـاج آدم

ومن الخلاوي التي امتدت فيها نار قرآن ود الهندي فكانت نوراً على نور خلاوي السادة البدراب بقيادة الخليفة حسب الرسول ود بدر، وهو من تلاميذ الشريف محمد الأمين يقول الشيخ يوسف إبراهيم النور: "وقد كان للشريف محمد الأمين -والد الشريف يوسف أحد زعماء السودان- صيت عظيم وتفوق تام وحفظ جيد للقرآن ومعرفة لفنونه. ولقد أدركنا تلامذته وتلامذة تلامذته وأخذنا عنهم القرآن وخاصة على شيخنا الجليل حسب الرسول بن الشيخ العبيد ود بدر فيا لك من تحقيق جم وضبط جيد، يتخرج الطالب من مسجد أم ضواً بان مثلاً وهو يحفظ القرآن لا يخرم منه حرفاً ولا يغير منه ضبطاً"[1].

هذا ونار القرآن في مسيد أم ضُبَّان موقدة منذ الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري ولم تخمد إلاّ بسبب المهدية ثم مجاعة سنة ١٣٠٦هـ المشهورة، ولكنها اشتعلت بعد ذلك بسنوات خصوصاً في أيام الخليفة حسب الرسول ود بدر وهو كما يقول صاحب كتاب المسيد: أمهر قادة التدريس في مسيد أم ضُبَّان تولاه سبعاً وعشرين سنة (من ١٣٢٢هـ إلى ١٣٤٩هـ)[2]

=من الربوة وحاج نصر من الدوحة وحاج سعدابي والفكي عبدالله ود أم مرحي وجماعة، فطلب منهم الشريف أن ينادوا أولاد الفكي (=) عثمان – الوالد وأخاه محمد أحمد وابن عمهم أحمد إدريس أبو صاقعة- قال الوالد وفي أثناء المؤاكلة كان الشريف يخصه بالطعام وهو يعيد على الحضور ما كان يكرره في كل مرة وهو قوله: أنا والله من كتلة حمّاد النابر للفكي عثمان المغصة كاتلاني لا من جيت عند الصوارد دول ولقيتم موقدين نار القرآن ولقيت وليدو ده (ابنه هذا) يقرأ القرآن معهم حتى عيني فَتَّحَنْ".

(1) القراءات والرسم ص ٢٨٣، نقلاً عن مجلة الضياء ص ٨٢.

(2) المسيد: ٢٩١

ومن تلاميذ الشريف محمد الأمين الشيخ عبدالباقي الشيخ حمد النيل بطيبة الشيخ عبدالباقي بالجزيرة. تحدث عنهم الشريف يوسف بها لا مزيد عليه وأثنى عليهم ثناءً باقياً على الدهر كبقاء مآثرهم. قال في حديثه عن السادة العركيين: وأما ابنهم عبدالباقي بن الشيخ حمد النيل الذي قرأ القرآن على الشريف محمد الأمين الهندي، ولا يزال يذكر شيخه الشريف، فإنه أكرم أهل جزيرة السودان في هذا الآن.. يذبح الناقة للضيوف،.. وللملاح التيران والخرفان، ويتحزم بالطَّرْقَة ويدخل تُكل النار ويعوس ويطبخ بيده ويغرف ويكب ويطعم الوفود، شاهدته يفعل ذلك وهو بالخرطوم أمس ولو تركه لتركه في الخرطوم جنة السفهاء. أما الطريق عند الشيخ عبدالباقي ونار القرآن فلا يزالان.. أما القرآن و المختصر فميدانهم القديم. ثم قال: وللشيخ حمد النيل أولاد كثيرون كلهم على خير، عرفنا منهم تلامذة الشريف محمد الأمين الهندي في القرآن وقد قرأوه معنا ومع أخيهم عبدالباقي بيعقوب ونواره، وهم الطريفي والسيد جعفر ومحمد علي وأبو إدريس وقد نجحوا نجاحاً عظيماً في حفظ القرآن[1].

ومن تلاميذ الشريف محمد الأمين المشاهير الفكي الطيب ود بحر أبيض وكانت له خلاوي في نواحي جبال النوبة (كلوقي وأم سعدة) أما خلوة ابنه محمد فما تزال بحمد الله قائمة بمدينة الرهد (رهد أب دكنة) في شمال كردفان عند ضريح الشريف محمد الأمين نفسه وقد رأيناها مرات. وقد خرجت مئات الحفاظ ويزورها أتباع الشريف في شهر يوليو من كل عام إحياءً لذكرى قطب القرآن عليه رحمة الله ورضوانه.

(١) ملحق تاج الزمان المخطوط.

ومنهم أبناء الشيخ الهميم من جلاس وهم من قبيلة رفاعة قال عنهم الشريف يوسف: ولهم نار قرآن وأحمد البشير ولد الهميم أخو الشريف محمد الأمين لأمّه، شاهدناه وكان أولاده يقرأون القرآن معنا[1].

ومنهم الفكي إبراهيم أب جلفة الذي مرّ ذكره في خلاوي الشريف يوسف التي أسسها وقد ذكره الشيخ بابكر بدري في مروره لإحياء الخلاوي بمنطقة رفاعة مرافقاً المفتش الإنجليزي المستر كراوفورت وذكر أنه مر بخلوة الفقيه إبراهيم أحمد المجود على الشريف محمد الأمين الهندي[2] وهي التي أشرنا إلى أنها خرَّجت الآلاف من الطلاب.

ومن مشاهير تلاميذه مجموعة الأربعة الذين كتبوا المصحف الفحل (الإمام) اختارهم الشريف من مشاهير تلاميذ والده من أهل الخط الحسن والضبط الجيد. وقد مرّ ذكرهم.

وأشهر من هؤلاء الكتاب جميعاً الفكي ضرار بن الحاج الدنقلاوي الذي كتب مصحف ضرار المشهور الذي ذكرناه في تركة الشريف محمد الأمين وآثاره الموجود لدى خليفة بيت الهندي الشريف الصديق حفظه الله[3].

ومن مشاهير تلاميذه الفكي العباس بن الفقيه محمد الهادي من أهالي فداسي، لازم الشريف محمد الأمين زماناً وذكره الشريف يوسف الهندي ضمن من هاجر مع الشريف محمد الأمين إلى الرهد للقاء الإمام المهدي وهو صاحب خط نفيس وضبط جيد كتب الكثير من المخطوطات والتصانيف والمصاحف، منها كتاب عمدة البيان للشيخ عبدالرحمن الأغبش

---

(1) كتاب الشعر والغُنا: و٨٦.

(2) تاريخ حياتي ٢/ ١٢٨.

(3) آل إليّ بفضل الله أحد مُصْحَفَيْ والدي الخليفة القرشي –رحمه الله– تلميذ الشريف يوسف. وكان أحدهما قد قابله له الشريف يوسف بخط يده على مصحف ضرار المذكور.

وقد جاء في آخر صفحاته: "... العباس بن الفقيه محمد الهادي بن الفقيه أحمد بن الحاج عبدالحميد الصوفي، البديري نسباً والمالكي مذهباً والأشعري عقيدة والشاذلي طريقة غفر الله له ولوالديه ولمشايخه خصوصاً شيخ الطريقة والحقيقة ومرشد الروح بالقرآن سيدي وسندي الوارث النبوي الأستاذ أبا يوسف محمد الأمين ابن الهندي نور الله ضريحه وأسكنه فسيح عالي الجنان مع جده سيد ولد عدنان آمين ثم آمين"[1]. (جمادى الآخرة ١٣١٨هـ).

وكتب أيضاً مصباح الدُّجا في شرح منظومة الخراز في الضبط والهجا للشيخ عبدالرحمن الأغبش في سنة ١٣١٩هـ كما خط كتاب العقد الفريد في حل ألفاظ سلم المريد للشيخ أحمد بن إبراهيم بن شرف الدين في سنة ١٢٩٧هـ.

وعلمت أن له مكتبة مخطوطة ضخمة اهتم بها حفيده ابن بنته الدكتور الطاهر الدرديري رئيس قسم السنة بجامعة أم درمان الإسلامية.

ومن أقدم الخلاوي المذكورة خلوة الفكي الفضل بود نعمان ريفي الحوش التي زارها الدكتور علي العوض وحصل منها على مخطوطات نادرة هي بعض منظومات الشريف محمد الأمين في علوم القرآن ومنظومات وكتب أخرى. وذكر أن هذه الخلوة كسابقاتها ما تزال عامرة يؤمها مئات الطلاب. وكان الفكي الفضل قد أسس خلوته في سنة ١٢٨٧هـ أي في حياة أستاذه الشريف محمد الأمين وتوفي سنة ١٣٥٧هـ. وقال عن ابنه وتلميذه الشيخ المكاوي الفكي الفضل: أحد أعلام ولاية الجزيرة في تدريس القرآن الكريم. درَّس القرآن بخلوته منذ سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وإلى يومنا هذا[2].

---

(١) القراءات والرسم: ص ٦٣.

(٢) القراءات والرسم: ص ٢٨٦.

وزاد بعضهم على ذلك بيتا في عددها فقال

ابياتها قاف وزاي في العدد ... من يتقن التجويد يظفر بالرشد

يعني ان ابيات هذه المقدمة عدد ابياتها بعدد القاف

بالقلم الهندي وهي مائة وبعد الزاي وهي سبعة ومعنى

كلامه ان هذه المقدمة مائة وسبعة ابيات قال في الدقائق

هذا على ما في اكثر النسخ ومائة وثمانية على ما في اقلها قوله

من يتقن التجويد فالاتقان هو التحقيق اي ومن يحقق

التجويد يظفر اي يتصف بالرشد يعني بطريق الهدى

وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن

ذكره الغافلون ورضي الله تعالى عن اصحاب رسول الله

اجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم

الدين والحمد لله رب العالمين قد تم هذا الكتاب بعون

الملك الوهاب على يد كاتبه ومالكه محمد احمد محمد

طه [illegible] اللهم اغفر لكاتبه ومالكه وقاريه

ولوالديهما ولمشايخنا ولمشايخ مشايخنا

وللمسلمين اجمعين بحرمة سيد

الاولين والاخرين سيدنا

محمد صلى الله عليه

وسلم

انتهى

الصفحة الأخيرة من كتاب (القيود المفهمة) للشيخ عبدالرحمن الأغبش

بخط الفقيه محمد أحمد طه تلميذ الشريف محمد الأمين الهندي

وأفادني السادة أبناء الشيخ عوض الجيد الخدام بأن بعض إخوانهم درسوا في هذه الخلوة التي ما تزال نارها حيّة بتوجيه الشيخ المكاوي بارك الله في أيامه، والذي خدم القرآن على طريقة سلفه، يعاونه ابنه الأستاذ الشيخ الجيلي حفظهم الله ووفقهم.

ومن الخلاوي التي سمعنا بها ووقفنا على آثارها وأخبارها خلوة الفكي محمد ود الإمام بالبرياب. وهو من الصواردة من مشاهير تلاميذ الشريف محمد الأمين وسار ابنه الحسن على دربه وأحيا نار القرآن زماناً وهو شاعر مجيد له في الشريف محمد الأمين وابنه الشريف يوسف قصائد مستحسنات[1].

ومن تلاميذ الشريف محمد الأمين الذين دخلوا حقل التعليم النظامي وأفادوا الأستاذ محمد أحمد هاشم ناظر مدرسة بربر وقاضي الخرطوم وإمام جامعها قرأ التجويد على الشريف محمد الأمين بكمير ود عبود وكان شاعراً ومؤرخاً نظم تاريخ السمرقندي وكان عالماً ناسكاً طاهر العرض. توفي سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩١٠م[2].

---

(١) درس عليه والدنا عليه رحمة الله بالبرياب كما مرّ واستمرت خلوته حتى عهد قريب. وكان الوالد قبل ذلك قد حفظ شيئاً على الفكي صالح ود الأمين العبدلابي من أهالي جزيرة مرنات أحد تلاميذ الشريف وعلى أبيه الفكي عثمان الذي علّم القرآن في حلة أبو الحسن (الحديبة) ونواحيها، كما درس الوالد على الفكي البشير – تلميذ الشريف محمد الأمين بقرية الشبارقة. وعلى الفكي محمد ود أبو الرخا بجزيرة الفيل من أحياء مدينة ود مدني.

(٢) نفثات اليراع، محمد عبدالرحيم ص ١٠٩.

بشفاعة النبي المنير فهو العباس بن الفقيه محمد الهادي بن الفقيه احمد بن الحاج عبد الحميد
صوفي البديري نسبا والمالكي مذهبا والاشعري عقيدة والشاذلي طريقة غفر الله
ولوالديه ولمشايخه وخصوصا شيخ الطريقة والحقيقة ومرشد الروح
لذي ان سيدي وسندي الوارث النبوي الاستاذ ابا يوسف الشريف محمد الامين
الهندي نور الله ضريحه واسكنه فسيح عالي الجنان مع جده سيد ولد عدنان عليه ثم
امين وكان الفراغ من نسخه نصف النهار عشرين من جمادى الاخر سنة الف وثلاثمائة
ثمانية عشر من هجرة المكرم صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين وسلام على جميع الانبيا
والمرسلين والحمد لله رب العالمين
ملك العباس بن الفقيه محمد
الهادي بن الفقيه
احمد الحاج عبد
الحميد
الصوفي

الصفحة الأخيرة من كتاب عمدة البيان للشيخ عبدالرحمن الأغبش
بخط الفقيه العباس محمد الهادي تلميذ الشريف محمد الأمين

وأورد هنا نموذجاً لواحد من تلاميذ الشريف محمد الأمين توافرت لي عنه بعض المعلومات[1] وهو الفكي عبدالله محمد ردّاد المشهور بود رَدَّاد سمعنا عنه بمنطقتنا ويجري ذكره كثيراً على لسان والدي عليهم رحمة الله- وهو من قبيلة الصواردة، حفظ القرآن على رجل صاردي يدعى (ود الراجل) ببلدة قَرِّي بالسافل. وسافر إلى الحبشة مع شقيقه الأكبر عبدالرحمن وفي طريقهم مروا بمسيد ود العماش فتخلف الفكي عبدالله عنده وأكمل معه ثلاث عودات ثم سمع بالشريف محمد الأمين ورغب في تجويد القرآن عنده فلحق به في قرية نوارة ومكث مع الشريف عامين ثم استقر مع أهله بقرية الربوة غرب النيل الأزرق جنوب ود مدني إلى أن طلب منه الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين التوجه إلى قرية ملولحة (فم الدندر) لتعليم القرآن وبقي بها خمساً وثلاثين سنة يعلم القرآن وكان يردد دائماً:

الأخذ بالتجويد حتم لازمُ ... من لم يجود القرآن فهو آثمُ

وكان يحفظ منظومات علوم القرآن كمنظومات ابن الجزري وغيره. وكان صاحب سيرة نقية والتزام شديد بالشرع. توفي في أواخر الثلاثينات الميلادية ودفن بقرية ملولحة. ومازال القرآن متوارثاً في ذريته. علم الفكي ود رداد الألوف من الطلاب من نواحي السودان المختلفة. ومن تلاميذه المشاهير ممن عمل بتعليم القرآن الفكي محمد المصباح بقرية الحرقة شرق الجزيرة وكان ضريراً أتت به أمه إلى الشريف يوسف وشرحت له حاله فبعث به إلى الفكي ود رداد فيسر الله له حفظ القرآن وتجويده في مدة وجيزة عدّها من شاهده كرامة.

---

[1] زودني بهذه المعلومات حفيده – ابن بنته آمنة – الأستاذ أحمد الفكي عبد الله الشيخ النذير فجزاه الله عن جده وعني خيراً.

ومنهم الفكي عبداللطيف ود آدم من حلة الشيخ السماني قيل كان إذا قرأ القرآن يكاد يطرب الحجر الأصم[1].

وممن حفظ عليه وجلس للتدريس الفكي قدورة بقرية أب سقرة نواحي مدينة الحاج عبدالله والفكي حاج المكي من الدويم والفكي مصطفى محمد أحمد طه من كبار خلفاء الشريف يوسف الهندي. قلت: شاهدت الخليفة مصطفى واستمعت لتلاوته فيالك من ضبط وجودة أداء وحسن صوت. وهو مع اشتغاله بالسياسة إلى الآن وعضوية الجمعية التأسيسيَّة منذ الخمسينات لم تفارقه بركة القرآن ولا هيبة حامليه بارك الله في أيامه.

ومنهم أيضاً الفكي عوض الكريم أحمد طه والفكي أحمد ود عجيب والفكي الزبير من قرية ود ديومة بالجزيرة ومن العرب الرحل حفظ عليه الفكي قمر وهو مشهور له قصة. ومنهم الفكي إدريس من شبشة وله مع ود رداد قصة أيضاً[2].

أما من أهل بيت ود رداد فقد حفظ عليه الفكي عبدالله ود النذير زوج ابنته آمنة. والفكي أحمد والفكي محمد، وابن أخيه الفكي الأمين عبدالرحمن والفكي محمد أحمد وهو الذي خلفه في إمامة مسجد ملوحة لعدة عقود حتى وصل الأمر الآن إلى حفيده الفكي عبدالرحمن الفكي محمد أحمد رداد. وما تزال نار القرآن بخلوته إلى اليوم.

وذكر راوي هذه النبذة أنه رأى مصحف جده مع خاله الفكي أحمد وهو مخطوط بخط جميل وله هوامش واسعة مليئة بأحكام التجويد علقها جده الفكي ود ردّاد. قال وأخذ هذا المصحف العمدة أحمد ود حسوب عمدة الكواهلة الباقية وانتقل من ود حسوب إلى الفكي

---

(1) هو جد المادح المنشد الصيِّت الشيخ إسماعيل محمد علي.

(2) فصلت أخبار هؤلاء وقصصهم وكراماتهم في كتاب الأشراف وهو مخطوط.

مصطفى محمد أحمد طه الذي تقدم ذكره قال وأظنه الآن بحوزته. قال: وسمعت خالي الفكي محمد أحمد يقول إن الشيخ السماني ود نور الدايم المعروف بقرية طابت الشيخ السماني جهات مدينة الحاج عبدالله أرسل إلى الفكي عبدالله ود ردّاد مصحفاً لمراجعته وضبطه ليكون مرجعاً لهم كحال كثير من أصحاب المساجد والخلاوي الذين يفزعون إلى تلاميذ الشريف محمد الأمين ومصنفاته والمصاحف المنسوبة له لشهرتها بالضبط والإتقان والتجويد – رحمهم الله وأحسن إليهم.

اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم
ذكرني منه ما نسيت وفهمني منه وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته
آناء الليل واطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين وقد تم
هذا القرآن المجيد بعون الله الصمد على يد كاتبه عبد القادر عمر
محمد ابن الطيب اللهم اغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات والحمد لله رب العالمين
[illegible]
١١ رمضان ١٣٥٠ [illegible]

الصفحة الأخيرة من مصحف والدي (من تلاميذ تلاميذ الشريف محمد الأمين) ويظهر تاريخ كتابته

جريدة مختصرة ببعض تلاميذ الشريف محمد الأمين:

على الرغم من شح المصادر المكتوبة جمعت نحواً من مائة تلميذٍ[1] من تلاميذ الشريف محمد الأمين المعروفين المشهود لهم بالتجويد والإتقان ممن قاموا بتعليم القرآن بعد رجوعهم إلى أهلهم واشتهروا بذلك، أسردهم في هذه الجريدة المختصرة التي اعتمدت فيها على رواية الخليفة أحمد ود المادح -عليه رحمة الله- والتي جمعتها في سنة ١٩٨١م وكان مع قوة حافظته قد تقدمت به السن وأنسي الكثيرين منهم كما أنسي آباء بعضهم وأجدادهم وجهاتِهم وقبائلَهم ولكنه كان مُصِراً على أنهم معروفون وكان يقول لي حين أسأله التفصيل: هؤلاء كانوا من الشهرة بحيث لا يحتاجون إلى تعريف. وبعضهم طغت عليهم ألقاب وأسماء بلدان فأصبحت أعلاماً لهم مثل الفكي محمد ود الخرطوم والفكي عبدالله ود أم مرحي وهكذا. كما اعتمدت على ما ورد في بعض مصنفات الشريف يوسف المخطوطة مثل كتاب الشعر والغُنا وملحق تاج الزمان، وروايات والدي عليه رحمة الله، ووجدت فئة قليلة ذكرها الدكتور على العوض في رسالته المنوه بها. كل هؤلاء كما تقدم هم ممن عرف بتدريس القرآن وكانت لهم (خلاوي) وطلاب وشهرة في أوطانهم؛ منهم:

١/ الشريف علي بن الشريف محمد الأمين الهندي. كان أكبر أعوان والده. وكان المسؤول المباشر عن تلك الألوف المؤلفة التي تدرس في مسيد والده خصوصاً في منطقة يعقوب ونوارة قال عنه أخوه الشريف يوسف: "ولما احتجب والده بنوارة أربع سنوات كان إماماً للصلاة وشيخاً للصحة (يعرض عليه الطلاب ألواحهم لتصحيحها) وقراءات العلوم وأغلبها التجويد فقام بمقام والده خير قيام.

[1] ذكرتهم بالتفصيل في كتاب الأشراف (مخطوط).

٢/ الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين الهندي الذي عاش في الجزيرة واستقر أخيراً ببري إحدى ضواحي الخرطوم وهو من أعلام السودان المعدودين مؤسس الطريقة الهندية، وأتباعها آلاف لا تحصى في كل أنحاء السودان. اهتم بالقرآن والقراء اهتماماً بالغاً ذكرنا طرفاً منه فيما تقدّم.

٣/ الشيخ عبدالباقي بن الشيخ حمد النيل، بطيبة الشيخ عبدالباقي بالجزيرة، وقد مرّ ذكره.

٤/ ٥/ ٦/ ٧/ أبناء الشيخ حمد النيل الأربعة سوى الشيخ عبدالباقي، قال الشريف: وللشيخ حمد النيل أولاد كثيرون، كلهم على خير عرفنا منهم تلامذة الشريف محمد الأمين الهندي في القرآن وقد قرأوه معنا ومع أخيهم عبدالباقي بيعقوب ونوارة وهم الطريفي والسيد جعفر ومحمد علي وأبو إدريس وقد نجحوا نجاحاً عظيماً في حفظ القرآن.

٨/ الخليفة حسب الرسول ود بدر بأم ضواً بان والقرآن عندهم ميراث قديم وهم أهل القرآن إلى يومنا هذا.

٩/ الشيخ عبدالماجد راجل الغبش - منطقة عبدالماجد بالجزيرة.

١٠/ الفكي علي ود عويضة –منطقة القبوب شرق القطينة– وخلوته ما تزال قائمة.

١١/ الفكي عبدالله الأغبش – منطقة غرب القطينة.

١٢/ الفكي الطيب ود بحر أبيض – كلوقي وأم سعدة – جبال النوبة.

١٣/ محمد بن الفكي الطيب – رهد أب دكنة بولاية شمال كردفان البقعة التي توفي بها الشريف محمد الأمين ودفن فيها وما تزال نار القرآن فيها مشتعلة بحمد الله وقد زرتها مرتين.

١٤- الحاج أحمد الكردفاني - أبو شطير - جهة الغبشة ولاية كردفان.

١٥/ الفكي عبدالله ود أم مرحي أحد كتاب المصحف الفحل - المدينة عرب.

١٦/ الفكي الفضل أحمد سليمان - قرية ود نعمان ريفي الحوش جنوب مدني. وما تزال خلوته عامرة.

١٧/ الفكي محمد أحمد الحاج طه. أحد كتاب المصحف الفحل.

١٨/ الفكي عبدالله ود رَدَّاد - ملولحة - فم الدندر - (عَلَّم الألوف).

١٩/ الأستاذ محمد شريف نور الدايم - العلم المعروف وأستاذ الإمام المهدي.

٢٠/ الفكي إبراهيم أحمد - ود أب جلفة - أبو جلفة - منطقة رفاعة.

٢١/ الفكي النصيح - دنقلا.

٢٢/ الفكي عبدالله الكتيابي - الكتياب والدامر - وما تزال خلوته قائمة. ذكره إبراهيم عبدالدافع في قصيدته التي وصف فيها رحلة أحمد بيك أبو سن إلى مصر- والتي ذكرها الشريف يوسف وأوردها في كتاب الشعر والغنا.

٢٣/ الفكي ود الدفاري - دنقلا.

٢٤/ الفكي الطاهر - منطقة الزيداب.

٢٥/ الفكي فضل السيد – حجر العسل وجزيرة مرنات من أحفاد الشريف. قال ود المادح رحمه الله: أنجب الشريف كرار بنت اسمها (ست النِّسا) تزوجها (الديّوماب) ومن أحفادها الفكي فضل السيد تلميذ الشريف محمد الأمين وما زالت خلوته يعمرها أبناؤه بالقرآن.

٢٦/ الفكي البشير – الشبارقة – شرق مدني. قال والدي عليه رحمة الله: قرأت عليه الألفات.

٢٧/ الفكي صالح الحاج موسى أحد كتاب المصحف الفحل – الدناقلة شرق مدني لازم الشريف علي بن الشريف محمد الأمين – وكان كاتبه.

٢٨/ الفكي الدقوني العالياني – العالياب. وله أخبار مع الشريف يوسف. وكان الشريف يُجِلُّهُ ويدعوه بخالي.

٢٩/ الفكي محمد سعيد الحلاوي – المحيريبا.

٣٠/ الفكي آدم الحاج فضل الله الحلاوي – من مشاهير كتاب المصاحف وهو كاتب منظومة الفوائد للشريف. وأحد كتاب المصحف الفحل.

٣١/ الفكي القرشي – والد الشيخ محمد الأمين القرشي – الحلاويين.

٣٢/ الفكي علي عبدالسلام السرورابي – الثمانيات – الجيلي – علّم أولاد الإمام المهدي. ذكره الشريف في كتاب الشعر والغنا وفي تاج الزمان وفي قصة حجه.

٣٣/ الفكي الطيب ود الإزيرق – الحِرَيِّز شرق الجزيرة.

٣٤/ الفكي محمد الشهير بود الخرطوم – توفي بالفعج – شرق الجزيرة حيث كانت خلوته.

٣٥/ الفكي فضل السيد – جزيرة مرنات.

٣٦/ الفكي عبدالماجد ود أحمد المسيكتابي – الدوينيب – درس عليه أكبر أبناء الشريف يوسف وهو الشريف الأمين كما درس عليه أخوه خليفة بيت الهندي الحالي الشريف الصديق بارك الله في أيامه.

٣٧/ الفكي خوجلي – بري المحس. وفي آثار خلوته قام مسجد بري المحس الحالي.

٣٨/ الفكي علي – الجريف شرق وكركوج.

٣٩/ الفكي الفضل – الجريف شرق وقِمِر.

٤٠/ الفكي محمد ود الضو – بري المحس.

٤١/ الفكي الصادق ود أبو سليم – منطقة أب ريش – حاج عبدالله شمال سنار.

٤٢/ الفكي محمد ود أبو النجا – أبو النجا – القضارف.

٤٣/ الفكي طه وَدْ نَوَّة – عبود – ريفي المناقل. مشهور وله أخبار مع الشريف يوسف. حين كان صغيراً بمسيد والده بشرق الجزيرة.

٤٤/ الفكي عثمان ود محسن – البشاريين.

٤٥/ الفكي العباس محمد الهادي الكاتب المشهور – فداسي.

٤٦/ الفكي محمد ود خوجلي – الخوجلاب – بحري.

٤٧/ الفكي محمد ود الإمام – البرياب – درس عليه والدي رحمهم الله جميعاً.

٤٨/ الفكي ضرار بن الحاج الدنقلاوي – كاتب مصحف ضرار المشهور والموجود إلى الآن في آثار الشريف محمد الأمين.

٤٩/ الفكي إبراهيم أرباب – البشاقرة.

وهذه طائفة حمل عنها ابنه الشريف يوسف نفقة المعيشة وبعث بهم إلى القرى والبوادي لتعليم القرآن وهم من خيرة تلاميذ والده وهم:

٥٠/ الفكي محمد أحمد ود سنيطة – بعثه في قبيلة الكواهلة.

٥١/ الفكي عبدالرحمن ود الضو – معلم قبيلة الكواهلة.

٥٢/ الفكي الخليفة البدوي البادري – قبيلة البوادرة.

٥٣/ الفكي الشريف أحمد ود قرشية – قبيلة الأحامدة.

٥٤/ الفكي حامد البغدادي – في قبيلة كنانة.

٥٥/ الفكي عبدالرازق فضل الله – من أهالي خور المطارفة جنوب مدني – بعثه إلى البطانة ومات هناك وله قصة.

٥٦/ الفكي محمد ود بعشوم – عرب البادية والمغاربة.

وطائفة أخرى ذكرها الشريف يوسف في سيرة أخيه الشريف علي بن الشريف محمد الأمين ومنهم:

٥٧/ الفكي جاد الله ود حمد السيد أوصاه الشريف علي عند استشهاده على أخيه الشريف يوسف وكان الأخير دون العاشرة. وهو الذي كان برفقته حين قابل الإمام المهدي بديم أبي سعد.

٥٨/ الفكي محمد ود البشير السرورابي.

٥٩/ الفكي أحمد الترمزجي.

٦٠/ الفكي نور الله العقلي.

٦١/ الفكي عجيب ود دفع الله الشبرقي – المصلح الاجتماعي من أهالي الشبارقة شرق مدني.

وذكر الشريف يوسف جماعة من خواص تلاميذ والده الذين رحلوا معه لمقابلة الإمام المهدي منهم:

٦٢/ الفكي الطيب ود الدسوقي – وكان من المسؤولين عن إطعام الفقرا (القراء).

٦٣/ الفكي عباس محمد الهادي.

٦٤/ الفكي حسان ود القلع.

٦٥/ الفكي عبدالله ود الحاج العباس.

٦٦/ الفكي أحمد ود الفِعِج البطحاني.

٦٧/ الفكي حمد التويم المسيكتابي كان حجة في القرآن.

٦٨/ الفكي إبراهيم ود مختار.

٦٩/ الفكي محمد ودكُرْمِنُّو الذي حمل الشريف على زاملته (حمارة) إلى الأبيض.

وجماعة ورد ذكرهم متفرقاً في مصنفات الشريف ومرويات أتباعه منهم:

٧٠/ أولاد الهميم من جلاس من قبيلة رفاعة قال الشريف يوسف قرأوا معنا القرآن بنوارة ولهم نار قرآن.

٧١/ الفكي صالح الأمين العبدلابي من تلاميذ الشريف محمد الأمين القدامى من أهالي جزيرة مرنات، نزح إلى الصعيد – رشحه الفكي عثمان الكاهلي تلميذ الشريف محمد الأمين لحاج علي ود سالم وكان حاج علي أميراً في المهدية – فاستقر العبدلابي معهم بحلة قنب حاج علي يدرِّس أبناء حلال البحر (النيل الأزرق) – جنوب ود مدني وعليه درس والدي.

٧٢- الفكي علي ود مساعد، من الكواهلة الباقية (العرديبة) مرّ ذكره في الحديث عن المصحف الفحل الذي كتب بفداسي. وقد وجدت مصحفه بخط الفكي عبدالقادر محمد موسى، لدى أسرة الخليفة علي ود مساعد –وهو غير الفكي- بالعرديبة. وهو بخط جميل مضبوط وعلى حواشيه تعليقات مفيدة.

٧٣/ الفكي عثمان ود أحمد الكاهلي – والد والدي- درَّس بنواحي حلة أبو الحسن (الحديبة). وكان الشريف يوسف يطلب منه تبريكهم بقرآن ود الهندي فيقرأ عليهم سورة مريم[1].

٧٤/ القاضي محمد أحمد هاشم الذي درس على الشريف في خلاوي الشمال وعمل بالقضاء والتدريس زماناً وهو مصنف بارع ذكره صاحب نفثات اليراع.

٧٥/ الشيخ صالح فضل صاحب المخطوطات التي اعتمدنا عليها. ذكره مالك هذه المخطوطات الشيخ محمد التهامي الحسن إمام مسجد العمارات والمأذون الشرعي. وأفاد في مذكرة خاصة أنه أستاذه وتلميذ الشريف محمد الأمين وأن مصحفه مكتوب بأقلام التجويد

[1] انظر الحاشية (١) و (٢) ص ٧٦.



مصحف الخليفة علي ود مساعد، تلميذ الشريف محمد الأمين،
وبالحاشية بيت من أرجوزة الشيخ عبد العاطي

الأربعة. يعني الكُحلة والحمرة والخضرة والصُّفرة. ولد في (قنتي) بالشمالية وأسس خلوته في ساقية (رحمة) في (مودة) وفي سنة ١٩٢٤ نقلها إلى ساقية (ود السقد) وبلغ عدد تلاميذها (٧٢٢) تلميذاً توفي سنة ١٩٣٣ وخلفه ابنه أحمد وحفيده صالح وما تزال خلوته قائمة[١].

وفي مقال للشريف أحمد الشريف الصديق الهندي بمجلة الفيض ورد ذكر اثنين من تلاميذ الشريف محمد الأمين، هما:

٧٦/ الشيخ أحمد الحاج الفضل الركابي تلميذ الشريف محمد الأمين تلقى عليه القرآن والتجويد قال: ومازال القرآن مستمراً على يد حفيده الشيخ صالح الصغير وذكر أنهم وجدوا عنده مخطوطة من مخطوطات الشريف محمد الأمين لم يسمها[٢].

٧٧/ وفي المقال نفسه ذكر الجاك ودالصراف، وكان والده يلقب بالصراف لأنه يصرف للفقرا (دباليب الكسرة) والدبليبة هي القطعة من العصيدة وهي حصة الطالب لوجبته. والصراف كان صاحب خلوة في العيكورة أحياها الخليفة الشريف الصديق ليدرس فيها أبناؤه وأبناء القرية[٣].

وما زالت المطالعة العابرة والمصادفة توقفني على عدد من تلاميذ الشريف محمد الأمين النابهين منهم:

٧٨-٨٧ منهم أحمد محمد علي يوسف التميرابي الجعلي الذي مرّ ذكره، والحاج يوسف بن علي بن محمد دهاشة البطحاني مؤسس بلدة الحاج يوسف أكبر أحياء شرق النيل بالخرطوم،

---

(١) انظر: أصحاب الوقت، يحيى العوض: ٢٤٣.

(٢) مجلة الفيض ٤٢.

(٣) مجلة الفيض ٤١.

درس التجويد على الشريف محمد الأمين بنوارة (صحيفة الانتباهة ٢٨/ ٩/ ٢٠١٢م).

والفكي حمد ود التّويم العوضي والفكي العقلي بالقضارف والفكي الخضر ببلدة عِبدلا شرق مدني، والمادح الكبير صالح الأمين الذي ذكر شيخه الشريف محمد الأمين في إحدى قصائده النبوية في قوله:

متوسّل يا الصمد	ليك بالرسول أحمد
طوّل عُمُر أحد	ساداتنا العمد
ذاك الشريفي ود	الهندي في الرهد
في إرشادنا اجتهد	زيد سهمو في المدد

ومنهم أيضاً المادح طيفور الدقوني درس عليه مختصر خليل والرسالة، كما جاء في ديوان الدقوناب [1]. ومنهم الفكي الطاهر الفكي عمر، والد الفحل المؤرّخ النسابة، ذكر ذلك في كتابه الضخم (تاريخ وأصول العرب بالسودان ص ٣٢٢).

ومنهم المادح العالم الشيخ محمد بن أحمد ود تمين من بلدة الحوش جنوب ود مدني المقبور بأبي روف بأم درمان (انظر مقدمة ديوانه بتحقيقنا).

وذكر لي الحافظ/ محمد الزبير أبو حياتي أن الشيخ علي ود حمّاد من فقهاء أب حراز درس على الشريف محمد الأمين الهندي وإليه يرتفع سند الشيخ الأمين محمد أحمد مصطفى مؤسس خلوة الشّليخة بالمايقوما بالخرطوم بحري.

هذا بعض ما وقفت عليه من تلاميذ الشريف محمد الأمين ممن ثبت لي أنهم قاموا بتعليم القرآن بعده ومنهم من علم الآلاف من الحفاظ المجودين. ولست من بعد راضياً عن هذه

(١) التعارف والعشيرة، عثمان حمد الله ص ٩٧. ديوان الدقوناب ص ٥٣.

الحصيلة لأن علماً وإماماً في حجم الشريف محمد الأمين لابُد أن تكون آثاره أكبر من هذا، لكن كان لحركة المهدية أثر كبير في تفرق الناس ومات في حروبها كثير من تلاميذه. وأمر الوقوف على تلاميذ الشريف يحتاج إلى رحلة واستقصاء فهم كما رأيت في هذه الجريدة المختصرة ينتشرون في بقاع السودان من جبال النوبة إلى كردفان إلى دنقلا إلى السافل (الشمال) إلى البطانة ويتمركزون في الجزيرة ووسط السودان. وقد ذهب ذوو الأسنان الذين يمكن الاستفادة منهم في هذا الشأن ولكن ذلك لن يَثْني العزم ولن يثبط الهمم عن التتبع والاستقصاء إن وفق الله وكانت في الأيام فسحة.

مع الإمام المهدي:

كان الإمام المهدي قد مرّ على الشريف محمد الأمين الهندي بمسجده برهد الجزيرة قرب حلة الشريف يعقوب سنة ١٢٩٩هـ في جملة من مرّ عليهم من أهل الخير والصلاح قبل أن يجهر بدعوته واستأذن له عليه الشريف الريح من أشراف اليعقوباب- بقوله: رجل من أهل الطريق يدعى محمد أحمد ونسبه شريفي حسني وهو ابن عمنا يريد مقابلتك فخرج إليه الشريف من الخلوة ولم تكن عادته، وكان لا يخرج لرفيع ولا وضيع ولا يقوم له من مجلسه مطلقاً، فقابله، وأطلعه المهدي على أمر دعوته والرآوي التي رآها والبشارات التي حصلت له[1].

---

(١) ملحق تاج الزمان (المخطوط).

رسالة الإمام المهدي للشريف:

لما ظهرت دعوة المهدي كاتب الشريف[1] في سنة ١٢٩٩هـ طالباً منه اللحاق به في الأبيض فأمر تلك الجموع الحاشدة التي كانت تعمر خلاويه بنوارة بالتفرق، ولبّى دعوة المهدي.

وفيما يلي نص رسالة الإمام المهدي التي بعث بها للشريف محمد الأمين في شعبان سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٠م:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم، وبعد جزيل السلام ومزيد الاحترام من عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله إلى الحبيب عالي الهمة وأستاذ المكرمة وفيَّ العزمة شيخ الجماعة والسنة النقي التقي الشريف محمد الأمين بن يوسف الهندي.

إنه يا حبيبنا قد وصلنا جوابكم وما تضمنه من التصديق بمهديتنا والمحبة والاشتياق قد عُلم لدينا. وقبلناك كل القبول وأحببناك كل المحبة وصرت عندنا من المحبوبين المقربين وأن أمر خلافتنا بالمهدية من الله ورسوله أمر حقق عندنا وعند كل ذي بصيرة ومن وفقه الله على ذلك من الذين يؤمنون بالغيب وأن ظهور المهدية من الأمور المكتومة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ولم يطَّلع على تعيينها وتوقيتها أحد من المخلوقين. وكذلك قد اختلفت فيها الروايات الكثيرة من الأحاديث والآثار وكلام المتفنِّنين وكشف الأولياء العارفين ومعلومٌ أن

(١) مكاتباته بطرف أسرته في مأثورات الشريف وبدار الوثائق.

علم الله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة بل على الحال التي أرادها الله سبحانه وأن علم الله تعالى لا ينضبط بالقوانين ولا بعلوم المتفنِّنين بل يَمْحُ الله ما يشاء ويثبت ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وقد قال محي الدين بن العربي في تفسيره على القرآن العظيم: علم المهدي كعلم الساعة، والساعة لا يعلم علمها إلا الله تعالى. وقال الشيخ أحمد بن إدريس كذبت في المهدي أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها، وعلى حالة ينكرونها. هذا ولما حصلت خلافتي من الله ورسوله ﷺ بالمهدية أمرني بالهجرة إلى (ماسة) بجبل (قدير). وأمرني أن أكاتب به جميع المكلفين. وأكد عليَّ في هذا الأمر عليه الصلاة والسلام في ذلك وهي لا يخفاك واجبة بالكتاب والسنة وفضلها وارد كتاباً وسنة وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ ﴾ النحل: ٤١. وقال ﷺ : من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض ولو شبراً في الأرض فقد استوجبت له الجنة وكان رفيق إبراهيم خليل الله ونبينا محمد ﷺ ومع ذلك يا حبيبي إن الصحبة في القلة لها فضل لا يخفى. وقد بشرني النبي ﷺ أن من صاحبني قبل تمام المسلمين اثني عشر ألفاً دخل في الضمان الخاص وقال لي عليه الصلاة والسلام أصحابك كأصحابي وإن علمتهم لهم مقام كمقام الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ولهم من الضمانات والبشارات ما لا يدخل تحت حصر والله ذو الفضل العظيم. ولكن يا حبيب قد شحنت كتب القوم في بعض التفاسير أن خروج المهدي كقيام الساعة. فكما أن الساعة تكشف حال المنافق والفاسق فكذلك ظهور المهدي يكشف حال من كان متظاهر بالإيمان من غير حقيقة فينفضح ويتضح نفاقه حمانا الله وإياك والمسلمين من ذلك فإذا فهمت ما ذكر فسارع إلينا للهجرة لإجابة داعي الله ورسوله أنت ومن معك من التلامذة والأحباب وأن تعرض

عليكم أعداء الدين فقاتلوهم واستعينوا عليهم بحول الله وقوته وأفنوا نفوسكم في عظمة الله ولا تشاهدوا إلا ذاته فإن من فعل ذلك لا يقدر عليه أحدٌ بسوء فقد جاء في الحديث القدسي: أما وعزتي وجلالي وعظمتي لا يستنصرني عبد من عبادي دون خلقي علم ذلك يقيناً من قلبه فتكيده السموات السبع والأرضون السبع إلا جعلت له مخرجاً. وقد وعد الله أيضاً في كتابه العزيز نصر من يظلم في دينه ومن ينصر الله. لذلك قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج: ٣٩. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ الحج: ٤٠. ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: ٧. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة: ٢٢. فإذا تقرر كل ما ذكر فإن تعرضوا عليكم الأعداء ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ١٤. وقد أمرنا ﷺ بقتال الترك وسماهم كفار حيث أنهم ساعون في إطفاء نور الله وجاحدون بما أخبر به سيد الوجود ﷺ فقد حَضَّنا على جهادهم ورغَّبنا فيه ببشارات وضمانات لم تكن لمن قبلنا والسلام. وأيضاً يا حبيبي السيد الشريف محمد الأمين الهندي أنه يا حبيبي فقد خَلَّفْتُكم نيابة عني في مبايعة المسلمين بتلك الجهة وأن تكاتب جميع المسلمين بالطاعة فالمستطيع فليهاجر معك إلينا فإن الهجرة مع الصبر على مشاقها فيها بشائر كثيرة. ومن جملة ثواب من هاجر إلينا سبعون حجة مبرورة مع الضمان مع شرط الاتباع ظاهراً وباطناً. وأجزناك بالسلوك والعمل بالكتاب والسنة. وعدم تعلق الأئمة وكل ما ورد في الكتاب والسنة فاعمل به على جميع من معك والسلام ألف ألف مرة"[1].

---

(١) الفيوضات الوهبية/ ج٢ ف ٢.

ويبدو أن هذه الرسالة لم تكن الوحيدة من المهدي للشريف. قال نعوم شقير: قيل إن المهدي كتب إليه يأمره بالانضمام إلى عامله أحمد المكاشفي أو الهجرة إليه في الأبيض فاختار الهجرة إليه وأتاه إلى الأبيض بعد فتوحها في شوال سنة ١٣٠٠هـ فأنزله مع الشريف حمد النيل قرب ديوان المديرية فلما خبره أنكر عليه أشياء كثيرة ولم يكن له القدرة على ردعه ولم يطاوعه رأيه بالمظاهرة بنصرته فقال للمهدي في بعض زياراته له: إني أستحلفك بالله أن تتركني وشأني فلا تزورني ولا تدعوني إلى زيارتك[1]. قال الشريف يوسف: ولما قام للمهدي تركنا ببلدات حفيرة[2] أنا ووالدتي وزوجة أخي وبنتها وقال: تركتكم لله. أما الفقراء ففرقهم.. يقول الدكتور علي العوض: "ولم تَخْبُ النار التي كانت متقدة قرابة نصف قرن من الزمان إلا بعد أن تحرك الشريف محمد الأمين في سنة ١٢٩٩هـ حيث لحق بالمهدي في الغرب... وكان المهدي قد زاره قبل إعلان دعوته ووقف على ما يقوم به الشريف الهندي من مجهود كبير في خدمة القرآن الكريم. وهكذا ترك الشريف نوارة مخلفاً بها أعظم الآثار العلمية التي تشهد بعلمه وإمامته التي ما زالت باقية إلى يومنا هذا بالمكتبات الخاصة التي تحوي العديد من مؤلفات الهندي الخطية بالإضافة إلى آلاف التلاميذ الذين حملوا عنه القرآن وقاموا بنشره في الكثير من بقاع السودان وأصبح قرآنه مضرب المثل في الخلاوي إلى وقتنا هذا"[3].

هذا، ولما سمع الناس بقيامه إلى لقاء المهدي تهيب أهل المشارع -جمع مُشرع وهو محل العبور- على النيل الأزرق أن يعدوه إلى الشاطئ الغربي خوفاً من سطوة الأتراك فتصدى لهذه

---

(١) تاريخ السودان، نعوم شقير، تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم: ص ٦١٨-٦١٩. وسأقف عند هذه الحادثة بتفصيل أوفى في كتابي (مناقب الشريفين) إن شاء الله.

(٢) قرية بين الرهد والدندر شرق الجزيرة. والبِلْدات جمع بلاد وهي الأرض التي تزرع بالمطر.

(٣) القراءات والرسم: ص ٢٧٨.

المهمة جماعة من الكواهلة الحميدانية (ود شرف الكاهلي وجماعته) فعبروا بـه النيـل الأزرق بالقِرَب (جمع قربة) وحين وصل إلى المهدي سأله عن كيفية مجيئه فقال لـه عبارتـه المشـهورة: "جابوني ناساً مشيهن ضلام وأكلهن حرام" فدعا لهم الشريف والمهدي بخير. وقال الشريف يوسف: قابل المهدي الشريف خارج الأبيض والخلفاء على خيولهم يرمحون مرحاً بمقدمه وقيل إن المهدي هزَّ الشمسية حتى كسرها وقال: اليوم تم أمر المهدية[1].

(1) مخطوط تاج الزمان.

رسالة الإمام المهدي إلى الشريف محمد الأمين الهندي

شعبان ١٢٩٩ هـ

بقية رسالة الإمام المهدي للشريف

قال الشريف يوسف في ملحق تاج الزمان: بايع الشريف المهدي عليه السلام وقال له بخطه الموجود عندي "أجزتك في السلوك والعمل بالكتاب والسنة ورفض المذاهب بالكلية فما ورد في الكتاب والسنة فاعمل به". ثم قال الشريف: "وأرسل المهدي –عليه السلام– عَلَمَهُ الأول لوالدي –يعني الشريف محمد الأمين– وبه: [بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم، ذي الجلال والإكرام، لا إله إلا الله محمد رسول الله، محمد المهدي خليفة رسول الله] وبطرف العلم أسماء عظيمة مكتوبة بالخيط، فإن عدمنا معرفتها إن شاء الله لا نحرم بركتها، آمين يا رب العالمين"ثم قال الشريف في سيرة أخيه الشريف علي: وفي واقعة سنار فقدت الراية الأولى التي كان المهدي أرسلها إلى الشريف محمد الأمين مع علي عبدالسلام. ومعها جبة المهدي وسرواله وعمامته وكرابته وسبحته واستشهد فيها الشريف علي ودفناه بها بعد هذه الواقعة كوصيته.

كان الإمام المهدي يجل الشريف ويكرمه وقد زاره يوماً وجلس أمامه على عنقريب حبال لا فرش عليه، جلس على الوسادة وأنزل رجليه على الأرض ولم يجلس على طول العنقريب كالعادة وكان يحمل الطعام للشريف بنفسه فقال له الشريف "الناس الحق عليهم أن يأتوك ولا يحق لك أن تأتيهم".

وأفرد الشريف يوسف باباً سماه (الوصية المهدية على السادة الهندية) جاء فيه أن الإمام المهدي قال: إن سيد الوجود أمرني أن أستلم أمانات الأولياء إلا أمانة ناس ود الهندي .. أمرني أن أتركها لهم وأزيدهم عليها ... وقال: الشريف ود الهندي أمير الأشراف من هنا إلى مكة ... وقال: راية ود الهندي لا يدخل تحتها منافق... وقال له: أخبرني سيد الوجود أن

أقوالك وأفعالك جميعها منه ... وللخليفة عبدالله أقوال في الشريف يوسف بن الشريف محمد الأمين تسير في هذا الاتجاه تضمنها ذلك الباب الذي أشرت إليه"[1].

وللشريف مع أتباع المهدي مواقف، فقد اختلف مع الخليفة عبدالله التعايشي حين سمع بإعدامه عجيل الجنقاوي وجماعة وهم أبرياء فأنكر ذلك وقال له "ده ما الأمر الجينا ليهو" ووقعت بينهما مشادة فحكاها الخليفة عبدالله للمهدي فقال للخليفة: اتركوه، الشريف دخل بحر الفن".

وذكر نعوم شقير أن الشريف هو أحد ثلاثة قالوا للمهدي ما في نفوسهم ولم يخشوا في الله لومة لائم. ونص عبارة نعوم شقير: "لم يبق في السودان من شَكٍّ في دعوى المهدي إلا نفر قليل من الأدباء العقلاء... إلا ثلاثة من العلماء خطأوا المهدي في وجهه قصد إراحة ضميرهم مع الله فسلموا وهم: الشريف محمد الأمين بن الشريف يوسف الهندي من سكان رهد النيل الأزرق... والشيخ محمد ود الزاكي... والشيخ محمد نور أحمد من عُمَد بارة... قال نعوم: وقيل طلب الشريف محمد الأمين من الله تعالى أن يقبض روحه وينجيه من هذه الضلالة فلما زحف المهدي من الأبيض لغزو الخرطوم خرج معه فتوفاه الله في رهد كردفان في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٠هـ[2] ودفن هناك. وقد رأيت نجله الشريف يوسف الهندي في مصر فأكد لي هذه الرواية وقال إنه سيبني قبة فوق قبره في وقت قريب"[3].

---

(1) المصدر السابق.

(2) يجعل الطيب محمد الطيب وفاته سنة ١٣٠٢ ونعوم شقير يجعلها سنة ١٣٠٠ والمعروف أن وفاته كانت سنة ١٣٠١هـ حسب ما رواه ابنه الشريف يوسف في (تاج الزمان).

(3) تاريخ السودان، نعوم شقير: ص ٦١٩.

وفاته:

كاتب الإمام المهدي الشريف محمد الأمين مرتين يطلب منه الانضمام إليه في الأبيض، كما مر بنا فقام لمقابلته. قال الشريف يوسف: ولما وصل إلى كردفان ونزل الرهد –ولم يسمع به من قبل– قال: "سبحان الله... في رهد غير رهدنا؟" يعني رهد كردفان، قال أُعْلِمْتُ أني أموت بالرهد وكنت أتنقل بين يعقوب ونوارة للموت فظهر لي رهد آخر فبيوم السبت انقلوني على المحل العالي داك وهو تلٌ عالٍ. وكان نزوله في بطن وادي الرهد المنخفض وكانت تجتمع به المياه؛ فظنوا أنه يخاف من مياه الخريف المقبل. ولما أحس بدنو أجله طلب من الإمام المهدي حضور ابنه علي الذي كان مشاركاً في حرب جبل الداير فأرسل له المهدي خَيَّالَةً أحضروه في يومين فجمع ابنه علي وخاصة تلامذته وأوصاهم قائلاً "كنت أؤمل أن أعيش وأنزل البحر (منطقته التي جاء منها بالجزيرة شرق النيل الأزرق) وأعمر مسجدي وأَجَرْجِرْ قُدَاحْتي ولكني رأيت أن المهدي ينتقل في مقرن البحرين..." يعني الخرطوم، إلى آخر ما جاء في وصيته كما أثبتها ابنه الشريف يوسف في تاج الزمان. فلما جاء السبت انتقل إلى جوار ربه، وحملوا جنازته حسب أمره ودفنوه بالقوز العالي محل قبره اليوم. وكان ذلك في يوم السبت ٢٧ رجب ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) وصلى عليه الإمام المهدي وأنزله في اللحد ابنه الشريف علي والخليفة عبدالله. رحمه الله بقدر ما أسدى لكتابه وخلقه.

تركته ومأثوراته:

كانت تركة الشريف محمد الأمين –عليه رحمة الله– مصحفين اسم أحدهما "القِصَيِّر" وهو استانبولي الخط كان دائماً بصحبته وآخر بخط الفكي ضرار بن الحاج محمد الدنقلاوي وقد ذكرنا خبره. قال الشريف يوسف عن مصحف ضرار: كتبه (ضرار) برواية ورش فرده الشريف بخطه

إلى رواية أبي عمرو. ومن مخلَّفاته سبحة كان أهداها له الإمام المهدي ووثيقة نسبه[1] والصلاة الأنسية ورسالة الإمام المهدي له وبضعة ريالات بزجوري[2] بين الخمسة والسبعة ريالات. وضعت في حقيبة جلدية قياسها (٣٠ × ٣٠) كما خلّف سيفاً وقدحاً اسمه "قدير" ما يزال موجوداً. وأخرجت الريالات من بين المحفوظات وعزلت تبركاً وكان الشريف يوسف يخرجها إذا دعت مناسبة ينظر إليها تبركاً ويستدل بها على أن والده لم يخلف له مالاً وأن ما عنده هو من عند الله.

رحمهم الله جميعاً وأحسن إليهم بقدر ما قدموا من نور وإشراق في ظلمات الجهل المُطْبِقَة[3].

---

(١) نقله الفحل الفكي الطاهر في كتابه (تاريخ وأصول العرب بالسودان) ص ٨١ وقال " وهذا النسب وجد في مصحف الشريف محمد الأمين الهندي محي الدين ومعلم آيات الكتاب المبين."

(٢) بزجوري وبجزوري: عُملة تركية كانت مستعملة في السودان أيام الحكم التركي. قال د. عون الشريف في قاموس العامية: قال شقير: إن الخليفة عبد الله حين أنقص الريال سماه التجار (بداجورو) [يعني ظهر ظلمه] وحرفوها إلى (بجزوري).

(٣) حين وصل الدكتور سر الختم الحسن إلى نهاية هذا المبحث كتب معلقاً: وفقك الله ونفع بعلمك وأدبك وذوقك الرفيع ؛ فقد أطلعتني على ما لم أكن أتوقع الوقوف عليه طيلة حياتي فجزاك الله عني خير الجزاء. ٢٢/ ٥/ ١٤٢٥هـ.

المبحث الثاني

مصنفات الشريف محمد الأمين

في علوم القرآن

أ/ ما وقفت عليه من مصنفاته:

أولاً: منظومة الصيانة:

ثانياً: منظومة المعارف في مشكلات الرسم والمواقف

ثالثاً: مقدمة الأحكام

رابعاً: منظومة الفوائد في علل الهمز والزوائد

ب- مصنفات لم أقف عليها:

خامساً: النَّورانية

سادساً وسابعاً: مجموعة البيان وعقيلة أتراب القصائد

ج- المفقود من مصنفاته.

د- المنسوب إليه.

المبحث الثاني

مصنفات الشريف محمد الأمين في علوم القرآن

تمهيد

لم يكن الشريف محمد الأمين شيخاً يقرئ القرآن مجوداً وحسب بل كان عالماً كبيراً نادر النظير من علماء القراءات القرآنية، قضى خمساً وسبعين سنة من عمره المديد في خدمة القرآن متعلماً ومعلماً وكان في ثلثيها عالماً من الطبقة الأولى فتح خلاويه لكافة أهل السودان، لا يطلب أجراً من أحد ولا يردّ طالباً قصده ولا يقبل راتباً من حاكم ولا هدية من متعلم أو غيره كما بيناه في سيرته. وكان من أبرز علماء السودان الذين اهتموا بالقرآن وتعليمه منذ قيام دولة الفونج وإلى عصرنا الحاضر، "بل كان من أبرز المؤلفين في علوم القرآن عامة ومن السودانيين، خاصة تلك المؤلفات التي تتحدث عن رسم القرآن وضبطه وفقاً لرواية الدوري عن أبي عمرو التي يقرأ بها السودانيون، وقد كان كل من كتب قبله يتحدث عن هذه المسائل وفقاً لرواية ورش عن نافع التي حظيت باهتمام علماء هذا الفن القرآني وهذا ما يميز شخصية [الشريف] الهندي عن غيره من علماء السودان الذين اهتموا بالشرح والتأليف في علوم القرآن خاصة علمي الرسم والضبط، أمثال الشيخ عبدالرحمن الأغبش، والشيخ عبدالعاطي، والشيخ الدنفاسي، وبهذا أصبحت مؤلفات الهندي أحد المصادر التي يعتمد عليها قراء السودان في خلاويهم، وفي تلك المصاحف المخطوطة التي كتبت برواية الدوري؛ فقد كان الخطاط والكتاب يسترشدون بمؤلفاته ويستشهدون بها في هوامش تلك المصاحف

التي كتبت في عصره وبعده مشيرين إلى مـــا عليه رواية الدوري في تلك المواقـع التـي يكـون رسمها مخالفاً لما عليه رواية ورش "[1].

اشتهر الشريف محمد الأمين بأنه صاحب (قرآن وداهندي المجوَّد) وكان يعرف مقدار ما عند الطالب من التجويد حين يفد عليه من قراءته البسملة فقط. ولكـن الـذي لا يعرفـه إلا خواص المطلعين على سيرته أن الشريف محمد الأمين كان عالماً كبيراً ضليعاً متمكناً في علـوم القرآن كلها وفي القراءات خصوصاً، كان يعرف الضبط والرسم والأداء والتجويـد ويعـرف القراءات السبع ورواياتها الأربع عشرة ومواضع الخلاف بين القراء بتفصـيل دقيـق وتحريـر محكم وكان يعرف القراء السبعة بأسمائهم وألقابهم وكُنـاهم ويعـرف قـراءاتهم حرفـاً حرفـاً وكان يعرف رواتهم الأربعة عشر معرفة حقة ويضبط حروفهم ضبطاً لا يخالف شيئاً مما نقـل عن أهل هذا العلم. كما كان يعرف مصنفات أئمة القراءات من المغاربـة والمشـارقة ويعـرف المصنفين في علم القراءات تفصيلاً وإجمالاً ولا نلقي هذا القول جزافاً ولا نرسله على عواهنه وإنما سنفصله بالحرف في ما سنعرضه من نصوص بعض منظوماته التي وقفنا عليها.

وكانت تأتيه وفود الطلاب ممن ختموا القرآن في خلاوي بلـدانهم ومسـاجدها لشـهرته التي طبقت الآفاق في تجويده الفائق ومعارفه المتنوعة في علـوم القـرآن. لـذا كـان لابـد مـن تصنيف مصنفات تناسب هذه الجموع تفصل المجمـل وتكـون بلغـة ميسـورة تغنـيهم عـن الرجوع لمصنفات السابقين التي لا تخلو من صعوبة وإجمال.

وبالجملة صنف الشريف محمد الأمين مجموعة من الكتـب بعضـها مفقـود، ومـا يـزال الموجود منها مخطوطاً وقد تميزت تصانيفه بالضبط والإتقان والشـمول والتفصـيل والإفـادة

---

[1] القراءات والرسم: ٢٧٩.

والتوثيق واليُسر، انتفع بها طلاب القرآن وعلومه منذ العصر التركي وظلت مرجعاً في خلاوي تدريس القرآن إلى يومنا هذا.

والذي ميز مصنفات الشريف أنها اشتملت على تفريعات وتفصيلات للكتب المجملة والمختصرة في علم القراءة والضبط والرسم فجاءت كتبه كالحواشي لتلك الكتب المختصرة التي نظمت في علوم القرآن مثل مورد الظمآن للخراز والسلم لود مدلول وما حوته هذه المصنفات من تفصيل لهذه المسائل لم تحوه إلا الشروح الكبرى على تلك المنظومات مثل عمدة البيان للشيخ عبدالرحمن الأغبش في شرح مورد الظمآن للشيخ ابن عاشر الأندلسي[1].

وهذه المؤلفات التي لقيت الإشادة من علماء السودان كافة ذكر ابنه الشريف يوسف أنها عشرة مؤلفات، قال في حديثه عن شقيقه الشريف علي أمير راية الأشراف في المهدية والذي استشهد في واقعة سنار: "قرأ القرآن بالروايات (القراءات) السبع وعرف علوم التجويد فكان يدرس الشاطبي والخرازي والجزري ومؤلفات والده العشرة"[2]. وأكد هذا العدد ابنه وخليفته الشريف الصديق الهندي وذكره الأستاذ الطيب محمد الطيب[3]. وقد عرض الدكتور علي العوض بعض هذه المخطوطات في رسالته للدكتوراه وعلق تعليقاً منفصلاً على منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) فيما وقفت عليه من جهده المشكور. والذي وصل إلينا من مصنفات الشريف رحمه الله ونستعرضه في هذه العجالة هو:

١/ منظومة الصِّيانة في علم القرآن.

---

(١) القراءات والرسم: ٢٨٢.

(٢) ملحق تاج الزمان (مخطوط).

(٣) المسيد، ص ٣٠٦.

٢/ منظومة المعارف في مشكلات الرسم والمواقف.

٣/ منظومة مقدمة الأحكام.

٤/ منظومة الفوائد في علل الهمز والزوائد.

وقد بلغت أبيات هذه المنظومات الأربع فقط ألفاً وثمانمائة وثلاثة وثمانين بيتاً (١٨٨٣ بيتاً) مع ما فيها من إتقان وضبط وتجويد رغم صعوبة النظم في مثل هذه العلوم. وله كتب ومنظومات أخرى سمعت بها ولم أقف عليها منها منظومة (النورانية) في مدود القرآن. ونسبت إليه كتب أخرى مثل (الفوائد) و(التنبيه) ما زلت أتحرى في صحة نسبتها إليه وسيجد القاريء الكريم كل ذلك مبسوطاً في هذا المبحث.

وكنت أود أن أبدأ بمنظومة (المعارف في مشكلات الرسم والمواقف) للمؤلف لأنها الدليل الناصع على تمكن الشريف من علوم الرسم والضبط والتجويد والقراءات ولأن منظومة المعارف تبين مدى علو منزلة الشريف في القراءات السبع ورواياتها وقرائها ورواتها وضبطه وتمييزه الدقيق لمذاهبهم وحروفهم ومواطن اتفاقهم ومواقع اختلافهم بما لم أجد له نظيراً إلا عند الجلة من الأئمة الأعلام المتقدمين. والذي لا يعرفه أكثر المعاصرين من العلماء -وليس العامة- أن هذا العالم العلم كان يدرّس طلابه القراءات السبع كما ألمحت إليه في سيرته. ولكن منهج الاستعراض اقتضى أن أقدم منظومة الصيانة وأستعرضها كاملة ليقف القارئ منها على علم الشريف وعلى أسلوبه في شرح الأحكام وعلى طريقته الدقيقة الشاملة في التمثيل وعلى منهجه في استقصاء الوجوه وتفصيل المجمل وتبيين المبهم وعلى مذهبه وطول نَفَسه في النظم. ثم أعرج على منظومة المعارف مستعرضاً معظمها مركزاً على ما تشتمل عليه من حروف السبعة واختلافاتهم وأبين كيف أن الشريف أتقن رواية الدوري من قراءة أبي عمرو ورواية ورش عن نافع بما لا مزيد عليه ولكنه كان دقيق المعرفة محيطاً ببقية

قراءات السبعة كلهم واختلافاتهم واتفاقهم. ثم أمر سريعاً بمنظومته (مقدمة الأحكام) لأنها كالتمهيد لبقية منظوماته، وقد يبدو معظم موادها وفصولها كالمكرر في بقية منظوماته ولكن تكراره لم يخل من إضافات أو اختلاف معالجة. ثم أقف قليلاً عند منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) لأن أحد الباحثين وهو الدكتور العوض قد استعرضها في رسالته المذكورة وأفرد لها استعراضاً آخر وتعليقاً يمكن الرجوع إليه. ثم أمر ببقية مصنفاته الموجودة التي لم أقف عليها والمنسوبة إليه والمفقودة حتى يقف القارئ الكريم على جهود هذا العالم العلم في خدمة الكتاب العزيز وعلومه ويقف على العلوم والمعارف التي ضمنها المؤلف هذه المنظومات في ذلك الزمان الذي يندر فيه وجود عالم بهذا الحجم في مجاهل السودان، حتى أصبحت المرجع الأول لأصحاب الخلاوي وكتاب المصاحف والمشتغلين بعلوم القراءات والرسم والضبط.

وموضوع منظومات الشريف التي نستعرضها هنا هو علوم الرسم والضبط والتجويد والقراءات. أما الرسم لغة فهو الأثر والمراد به مرسوم القرآن أي حروفه المرسومة وما يعتمد في كيفياته عليه ويرجع عند اختلاف المقارئ إليه. أي هو العلم الذي يعرف به مخالفة المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي في أمور كالحذف والزيادة والبدل والهمز والفصل والوصل ووجوه القراءات[1]. وأما الضبط فهو العلم الذي يعرف به ما يدل على عوارض الحروف التي هي الفتح والضم والكسر والسكون والشد والمد ونحو ذلك وهو يرادف الشكل. وأما النقط فيشمل الضبط والشكل أيضاً ويطلق على الإعجام الدال على ذات

---

[1] انظر: دليل الحيران ١٠، مع المصاحف ١٣٠.

الحرف وهو النقط أفراداً وأزواجاً المميز بين الحرف المعجم والمهمل[1]. أي هو العلم الذي به تعرف الحركات والسكون والساقط والزائد. والتجويد لغة هو التحسين واصطلاحاً هو علم تعرف به كيفية النطق بكلمات القرآن. وأما القراءات فهي الوجوه التي يقرأ بها القرآن وأركان صحتها ثلاثة: أن تكون متواترة بسند صحيح عن رسول الله ﷺ وأن توافق اللغة العربية بوجه وأن توافق رسم المصحف العثماني.

وقبل الشروع في استعراض منظومات الشريف لابد من إلمامة موجزة بالقراءات السبع وقرائها ورواتهم. فالقراءات السبع[2] هي كل وجه يقرأ به القرآن نقله الثقات عن الرسول ﷺ بالسند المتواتر وصحّ وجهه في اللغة العربية ووافق رسم المصحف العثماني.

يقول ابن الجزري:

وكل ما وافق وجه النحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة[3]

وكل قراءة اجتمعت فيها هذه الخلال الثلاث قرئ بها وقطع بصحتها وصدقها ودخلت في قول الرسول ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا بما شئتم وقوله ﷺ نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافٍ شاف][4] "والقراءات التي يقرأ بها الناس اليوم في أقطار العالم

---

(1) انظر دليل الحيران: ٢٤٣.

(2) ملخصة من كتاب الإبانة لمكي بن أبي طالب القيسي٢٩ وما بعدها.

(3) النشر في القراءات العشر: ١/ ١١.

(4) انظر الإبانة عن معاني القراءات: ص٢٩.

المختلفة كقراءة عاصم برواية حفص وقراءة أبي عمرو برواية الدوري وقراءة نافع برواية ورش وغيرها هي مما صحت روايته عن الأئمة بالشروط المتقدمة. فهي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافقت خط المصحف الذي جمعه عثمان رضي الله عنه وأجمع عليه الصحابة ومن بعدهم. وقد كتب مصحف عثمان على حرف واحد وخطه محتمل لأكثر من حرف إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية، كذا قاله مكي القيسي[1].

ولا ينبغي أن يعتقد معتقد أن قراءات القراء السبعة هي الأحرف السبعة المشار إليها في حديث الرسول ﷺ بل هي جزء منها. والناس منذ القدم مختلفون في الأحرف السبعة وأرجح ما قيل في ذلك أن "الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي لغات متفرقة في القرآن ومعانٍ في ألفاظ تسمع في القراءة كوضع كلمة مكان أخرى وصورة الخط واحدة نحو ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [٢٢/ يونس] وكالاختلاف في إعراب الكلمة بما لا يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡ ﴾ "[٢/ المجادلة] بالرفع والنصب. أو أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو ﴿ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[٢٥/ البقرة]" ﴿ جَنَّٰتٍ تَجۡرِى ﴾ [٢٥التوبة ١٠٠] وكنحو القراءة بالإمالة والفتح والإدغام والإظهار والتفخيم والترقيق والمد والقصر والتشديد والتخفيف وتسهيل الهمز وتخفيفه فكل ذلك مما تجوز القراءة به لأن السند صحّ به والرسم يحتمله وهو جائز في العربية[2].

---

(١) انظر الإبانة: ص ٢٢.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٤ وما بعدها.

أما علة اشتهار هؤلاء السبعة دون من هم أشهر منهم وأكثر منهم كما يقول مكي[1] فإن الناس في القرن الرابع أرادوا الاقتصار على قراءات توافق المصحف يسهل حفظها وتنضبط القراءة بها فاختاروا من كل مصر من الأمصار إماماً في القراءة مشهوراً بالثقة وأمانة النقل وحسن التديُّن وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره وأجمع أهل بلده على عدالته ولم تخرج قراءته عن مصحفهم المنسوب إليهم فأفردوا قارئاً إماماً من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً، فكان أول من سبع السبعة هو الإمام أبوبكر بن مجاهد الذي جمع قراءاتهم في كتابه المعروف بكتاب السبعة وهو رأس أمهات كتب القراءات القرآنية. وهؤلاء القراء السبعة بإيجاز مع رواتهم هم:

١/ عبدالله بن كثير المكي قارئ أهل مكة وروى عنه البزّي وقُنبل.

٢/ نافع بن أبي نعيم المدني وروى عنه ورش المصري وقالون.

٣/ أبو عمرو بن العلاء البصري وروى عنه حفص الدوري وأبو شعيب السوسي.

٤/ عبدالله بن عامر اليحصبي قارئ أهل الشام وروى عنه هشام وابن ذكوان.

٥/ عاصم بن أبي النجود قارئ أهل الكوفة وروى عنه حفص وشعبة.

٦/ حمزة بن حبيب الزيات بالكوفة أيضاً وروى عنه خلف وخلاد.

٧/ علي بن حمزة الكسائي الكوفي وراوياه حفص الدوري والليث. وحفص الدوري هو الذي يروي عن أبي عمرو أيضاً وهو غير حفص الأسدي راوية عاصم.

---

(١) انظر الإبانة: ٦٣.

وقد نظمهم الشاطبي نظماً رائعاً ولكنه طويل يمكن التماسه في الشاطبية[1].

وهذا أوان البدء على بركة الله في استعراض مصنفات الشريف رحمه الله:

أ/ ما وقفت عليه من مصنفاته:

أولاً: منظومة الصيانة:

منظومة الصيانة من منظومات الشريف الطويلة السلسة المشتملة على كثير من أحكام القراءات والضبط والرسم والتجويد. وقفت على نسختين منها، الأولى مصورة مخطوطة الشيخ المكاوي الفكي الفضل وقد أوفدت لهم فكتبوا جزاهم الله خيراً للدكتور علي العوض الذي كانت المخطوطات بحوزته فصوّر لي مشكوراً بعضها[2]. وعلى مصورته اعتمدت في

(1) انظر حرز الأماني ص ٣، وسراج القارئ: ٩-١٦ وقد وجدت على آخر ورقة من مخطوطة (الفوائد في علل الهمز) للشريف أبياتاً مختصرة منسوبة للفقيه محمد أحمد المشهور بالعمارة (أظنه ود العمارة) نظم فيها القراء السبعة ورواتهم قال فيها:

فنافع بطيبة قد نزلا	وعنه قالون وورش نقلا
وابن كثير مكة له بلد	وقنبل كالبزي عنه يعتمد
وابن العلاء إنه البصري	عنه روى الدوري والسوسيُّ
إن ابن عامر مأواه الشام	عنه ابن ذكوان كذا هشام
ثلاثة بكوفة يا رايم	حمزة والكسائي ثم عاصم
عن حمزة خلاد ثم خلف	قد رويا ما كان عنه يعرف
إن ابن عياش وحفص رويا	عن عاصم وتَمَّ ما قد نُحِيَ

=وقوله نُحي: أي قُصِدَ. ولعله لم يتم ما قصده مع إحسانه لأنه سها عن رَاوِيَيْ الكسائي وهما حفص الدوري والليث، هذا إذا لم يُسقط الناسخ البيت الذي شملهما.

(2) زارهم بخلوتهم العامرة بقرية ود نعمان جنوب ود مدني لهذا الغرض الشيخ الأستاذ مأمون تميم والشريف زين العابدين الشريف عمر الهندي وأشقائي محمد أحمد والهندي -جزاهم الله خيراً- وكتب لهم الأستاذ الجيلي الشيخ

هذا الاستعراض. وهي بخط جميل واضح مضبوطة ضبطاً تاماً وإن كان بعض ضبطها يحتاج إلى المراجعة وأبياتها أربعمائة وثمانون وتسعة أبيات في إحصاء الدكتور العوض وهذه المنظومة ثابتة الملكية لآل الفكي الفضل أحمد سليمان عليه رحمة الله وهو أحد تلاميذ الشريف محمد الأمين الذين جودوا عليه القرآن ونقل معه هذه المخطوطة من نوّارة في شرق الجزيرة إلى قرية ود نعمان جنوب ودمدني وبقيت كنزاً محفوظاً عند أسرته يرجع إليها أهل هذا الشأن إذا نشأ خلاف بين المشايخ في ضبط شيء من حروف القرآن[1].

أما النسخة الثانية فمجموع أتحفتني به دار الوثائق المركزية بعد الإذن الكتابي من مالكه الشيخ محمد التهامي الحسن الأحمدي وفيه منظومة الصيانة تنقص نحو تسعة أبيات وأظنها صفحة نقصت في التصوير ومعها جزء من منظومة المعارف ناقصة من أولها ومن آخرها وبالمضاهاة استطعت إكمال هذه من هذه ولم أجد بين النسخ فروقاً جوهرية إلا سقطاً قليلاً في بعض الأبيات من هنا وهناك وإلا الاختلافات الطفيفة في بعض الألفاظ. والنسخة جيدة الخط وبعض ألفاظها مضبوط بالشكل.

تبدأ المنظومة بالبسملة ثم الصلاة الأنسية. وقد استهل الشريف عليه رحمة الله ورضوانه نظمه بما اعتاد الاستهلال به في بقية منظوماته من الحمد لله والثناء عليه والثناء على كتابه العزيز وبيان فضله ثم الصلاة والسلام على رسوله ﷺ فقال:

=المكاوي خطاباً موجهاً للدكتور علي العوض –معي أصله– يطلب تسليمهم المخطوطات المذكورة فزاره السيد الشريف الأمين الشريف عبدالرحمن الهندي مع ابن أخي الهندي فاعتذر لهما بأن أصول المخطوطات ليست معه، وزودهما جزاه الله وجزاهم خيراً ببعض المصورات منها.

(١) انظر: القراءات والرسم: ٢٨٩.

١- الحمـــدُ لله الـــذي كتابُـــهْ ... أَجـــلُّ مـــا اعتَنَـــى بـــه أَحْبَابُـــهْ

٢- وبَـــيَّنَ الحـــلالَ والحـــرامَ ... بِـــهِ وكـــان شَـــافِيَ الأَســـقَامَ

٣- وشـــافعاً مُشَـــفَّعاً عظـــيما ... ومـــا حِـــلاً مُصَـــدَّقاً كـــريما

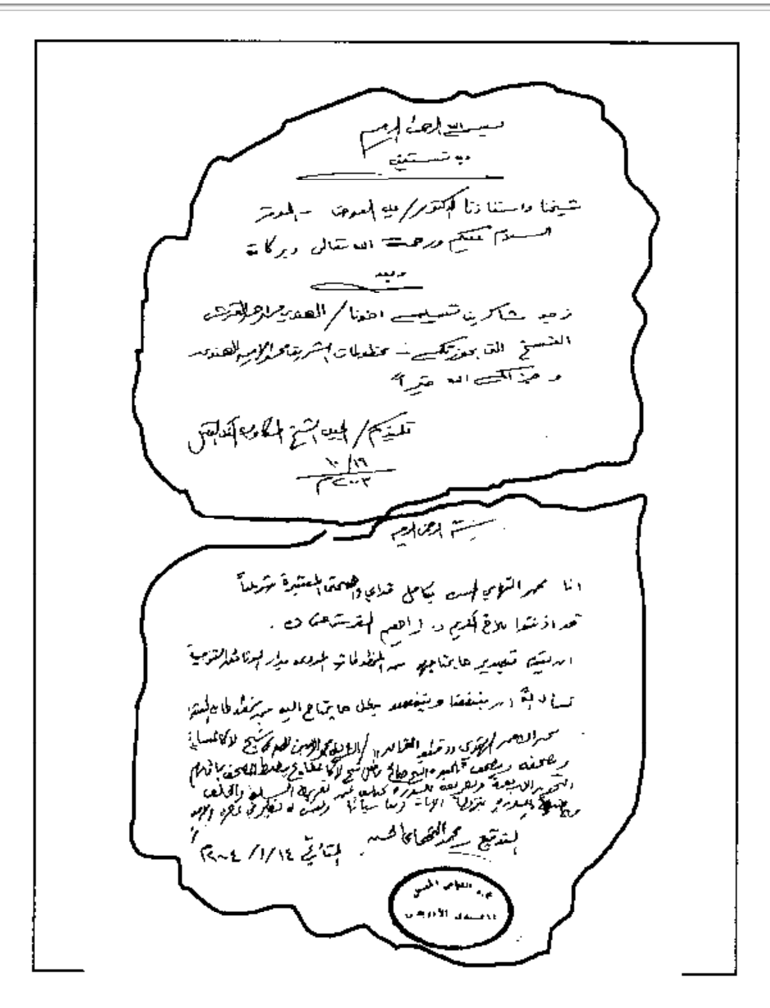
٤- حِـــرْزاً مـــن الشـــيطانِ والأشرارِ ... وزايـــلَ الأَسْـــوَاءِ والأَضْرَارِ

٥- وكُـــلُّ مـــن تَبعَـــهُ يَجُـــوزُ ... خَـــيراً كثـــيراً فايضـــاً يجـــوزُ

٦- وَهُـــو أفضَـــلُ كتـــابٍ أُنـــزِلا ... صـــاحِبُه خـــيرُ نبـــيٍّ أُرسِـــلا

٧- محمـــدٌ خـــاتمُ رســـلِ الله ... الآمـــرُ المُطَّلـــعِ الأوَّاه

٨- ســـلامُهُ عليـــهِ مـــع صَـــلاةِ ... وآلِـــه وصَـــحْبِهِ الثِّقَـــاتِ



بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

شيخنا وأستاذنا الدكتور/ علي العوض [illegible] المحترم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد

نرجو [illegible] تسليم أخونا / [illegible]

النسخ التي بحوزتكم من مخطوطات الشريف محمد الأمين الهندي

وجزاكم الله خيراً

تلميذكم / [illegible]

١٩/١٠/٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا محمد [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

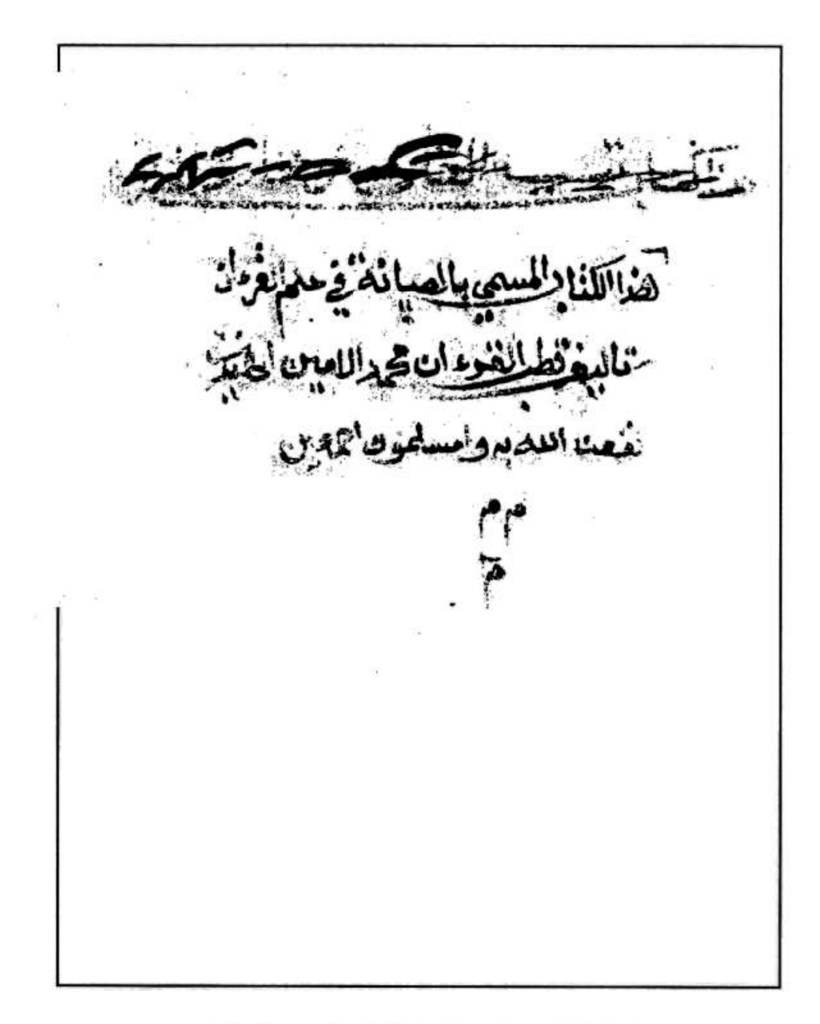
[illegible]

[illegible]

التوقيع [illegible]

التاريخ ١٤/١/٢٠٠٤م

رسالتا تفويض من ملاك مخطوطات الشريف محمد الأمين الهندي.



هذا الكتاب المسمى بالصيانة في علم القرآن

تأليف قطب القرآن محمد الأمين أحمد

نفعنا الله به والمسلمين آمين

صفحة الغلاف من منظومة (الصيانة) للشريف محمد الأمين الهندي

نسخة الشيخ محمد التهامي (دار الوثائق)

ثانياً يحيى ١٠٤ - ١٠٥

ثم انتقل في الأبيات التالية طالباً العون من الله تعالى في منظومته التي سماها (الصيانة) ومراده من تأليفها أن يقي الطلاب من الخطأ في رسم القرآن وضبطه حتى تستقيم تلاوته ويتحروا الأمانة في أدائه ويحفظهم من الضلال والخطأ في الأبواب التي حددها في الأبيات التي تليها فقال:

٩- وبعدُ فالعَوْنُ من المجِيدِ أطْلُبُهُ في نظمِيَ المُفِيدِ

١٠- أيْ الذي سَمَّيْتُه الصِّيَانَهْ وِقايَةَ الطُّلاَّبِ والأمانَهْ

بعد ذلك أورد الناظم الأبواب والفصول التي يرى أن فيها خفاءً على الطلاب فكأنها مغطاة عنهم فأراد إيضاح أحكامها في منظومته هذه فقال:

١١- يَصُونُهُمْ من الضَّلالِ والخَطاَ في حُكْمِ تَنْوينٍ ونونٍ في غِطَا

١٢- ولامُ تعريفٍ وما يَلِيهْ وكُنْ لما أقولُهُ نَبِيهْ

١٣- وبعضُ مُدْغَمٍ من الحروفِ عن التَّمِيمِيِّ الرَّضِي المعروفِ

١٤- وسببُ التَّجرِيدِ والإمالةْ ومُلْحقٍ وغيرُه دِلالةْ

١٥- والهمزُ وهْوَ ذُو اختلافٍ جمّا وَصُورٌ له وُقِيتَ الهمَّا

١٦- وصِلَةٌ كذا ابتداءُ نَقْلِ وزايِدُ اليَاءِ كما في النَّقْلِ

١٧- والأَلِفُ والوَاوُ وحُكمُ المدِّ والتاءُ مُطْلقاً تمامُ العَدِّ

إذن موضوعات هذه المنظومة هي حكم التنوين والنون ولام التعريف القمرية والشمسية وبعض حروف الإدغام في قراءة الرضي التميمي وهو أبو عمرو بن العلاء البصري المازني النحوي وخصه هنا لأن الشريف نقل طلابه من قراءة ورش عن نافع التي كانت سائدة في السودان إلى قراءة أبي عمرو، لأسباب نذكرها في موضعها. ومن موضوعات المنظومة أيضاً الفتح والإمالة والإلحاق ثم أحكام الهمز وصوره والصلة والابتداء والنقل

وزوائد الياءات والألفات والواوات والمد وأحكامه والتاء المربوطة والمطلوقة في القرآن. وقد فصل هذه الموضوعات، التي أجملها هنا، في ثمانية وعشرين باباً وفصلاً. راوحت بين الضبط والرسم والقراءات والتجويد ثم قال:

١٨- ورُبَّما أَدْخَلْتُ نَظْمَ الغَيْرْ فيهِ لموجبٍ كُفِيْتَ الضَّيْرْ

وهذه أولى الإشارات الدالة على الأمانة العلمية في علم الشريف وعمله، يقول الدكتور العوض: "وهذا ما يبين لنا أمانة الهندي رحمه الله إذ كان كثيراً ما يشير إلى مصادره التي اعتمد عليها في كتابة منظوماته التي تحدثت عن كثير من علوم القرآن"[1].

وهذه هي السمة المميزة لمنهج الشريف فهو لا يروي حرفاً إلا بسند ولا يذكر حكماً إلا بدليل ولا يقرر قاعدة إلا بالنقل عن أعلام هذا الفن. ولم يكن الشريف بدعاً في الأخذ عن غيره وإنما يسير على مثال، فالعلماء كلهم يأخذ بعضهم عن بعض ولكن للأخذ شروطه وأولها الأمانة العلمية وعزو المقتبس إلى مصدره. وقد سبقه إلى ذلك الأئمة. وسأبين هذا وأفصله في المبحث الثالث في حديثي عن شخصية الشريف العلمية.

ثم ينتقل الشريف بعد ذلك بتواضع العلماء وأخلاق المتمكنين فيقول:

١٩- وأَطْلُبُ العَوْنَ منَ الإخوانِ منْ خَلَلٍ فيهِ ومِنْ نُقْصَانِ

٢٠- بالذُّلِّ والخُضُوعِ وانكسارِ وأَسْأَلُ اللهَ العَلِي الغفارِ

٢١- لِمَنْ رَأَى لِعَيْبِهِ وَصَارَا كَاتِمَهُ أَوْ كَنَسَ الغُبَارَا

٢٢- مَغْفِرةً ورحمةً دَوَامَا وعِزَّةً غِنًى بلا انفصام

٢٣- وأَصْلَحَ الفاسِدَ بعدَ النَّظَرِ بالنَّصِّ لا مُجَرَّداً للخَطَرِ

---

[1] القراءات والرسم: ٢٩١.

٤/٣

وكلما خرج مما سلفا ... فالتاء للتأنيث يا من عرفا

إثباتها في مفرد الأسماء ... وجعلها بالهاء لا امتراء

وبعضها بالتاء في المرسوم ... بيانها يأتيك في المنظوم

فنعمت في واحد وعشره ... وجنت في موضع مسطره

وفطرت بقيت وكلمت ... في أربع علمت وبينت

ثمرت وقرت كذاك ابنت ... وامرأت في سبعة كرحمت

وسنت في خمسة واثنين ... ومعصيت كلفتها تبين

شجرت في موضع وكلما ... حوى خلافا مثل ما تعدما

بالجمع والإفراد عند القرا ... وانكشف البلاء زال الضرا

قد انتهى مملي للعلوم ... مقربا للقصد والمفهوم

والحمد لله على الكمال ... وسابر الإحسان والإفضال

ثم الصلاة والسلام العال ... على شفيع الخلق في الأهوال

محمد نخبة رسل الله ... لكونه شاهد للإله

وآله وصحبه الهداة ... بهم رجوت الأمن في الممات

تمت

فائدة عظيمة اعلم يا الطالب أن الصفات منها ما هو قوية ومنها ما هو ضعيفة وما هو متوسط فالجهر والشدة والإطباق والاستعلاء والاستطالة والقلقلة والصفير والانحراف والتفشي والجرس منه والضم والهتف هذه من صفات القوة والصفات الضعيفة إذا كثرت في الحرف صفات الضعف يتفرع

الصفحة الأخيرة من منظومة (الصيانة) للشريف محمد الأمين الهندي

نسخة الشيخ المكاوي الفكي الفضل

هذه دعوة إلى النقد البناء كما نقول. فهو يطلب العون من إخوانه في أشرف ما يطلب فيه العون وهو خدمة كتاب الله. ويطلب العون على إقامة الخلل في منظوماته وسد النقص فهو بشر والكمال لله. ويطلب ذلك بروح العلماء العباد بذل وخضوع وانكسار لأن عمله لله العلي الغفار الذي يسأله المغفرة والرحمة الدائمة والعزة والغنى المتصل لمن رأى عيباً في هذه المنظومة ففعل إحدى الحسنيين؛ إما كتمان ذلك العيب أو إصلاحه، وقد كنى عن الأخير بكناية لطيفة في قوله (أو كنس الغبار) أي نفض الغبار ببيان وجه الصواب وإصلاح ما قد يقع فيه من خطأ، ولكنه يشترط فيمن يقوم بهذه المهمة أن يكون إصلاحه بعد إنعام النظر اعتماداً على النصوص وليس اجتهاداً أو نظراً مجرداً لأن القراءة القرآنية سنة ولأن رسم القرآن توقيفي لا تجوز مخالفته، وهذا هو النهج العلمي الموثق والعمل الموفّق. ثم قال بعد ذلك قاطعاً الطريق أمام من ليسوا من أهل هذا الشأن ومبيناً حاله:

٢٤- ومــا أنــا بطالــبٍ إنصــافَا ... مــن حاســدٍ يَقْصِــد الانْحِرَافَــا

٢٥- أو نــاظرٍ بَسَــخْط أَوْ رِيَــاءِ ... أو كِــبْرٍ أو تَمَشْــدقٍ قَــلاَّءِ

٢٦- والكُــلُّ لا يَقْصِــدُ وَجْــهَ الله ... لكونِــهِ يَلْتَــذُّ بِــالملاَهِي

٢٧- ولَسْــتُ قاصــداً بــه افتخــارا ... ولا علــوّاً لا ولا اشــتِهارا

٢٨- ضَــمَائرُ القَلْــبِ لَــدَى العَلِــيمْ ... يَعْلَمُهَــا وَهْــوَ لَنَــا الحَلِــيمْ

فهو لا يريد ولا ينتظر إنصافاً من حاسد يميل عن الجادة ولا من ناظر إليه بعين السخط من غير وجه حق ولا من مراءٍ يداهنه ويثني على عمله وهو يبطن خلاف ما يظهر ولا من متكبر لا يعترف بجهد الآخرين ولا من متمشدق يقول ولا يفعل ولا من جافٍ؛ فهؤلاء كلهم لا يقصدون وجه الله لأنهم بصفاتهم هذه لَهَوا عن ذكره ووجدوا في ذلك لذة. أما هو

نفسه فإنه لا يقصد بعمله هذا فخراً ولا علواً ولا شهرة وإنما هو عمل خالص لوجه الله الذي يعلم ما تضمره القلوب وهو الحليم الرءوف بعباده.

ثم ينتقل عليه رحمة الله ورضوانه بعد ذلك إلى بيان الأسباب التي حدت بـه إلى ركـوب هذا المركب الصعب وسلوك هذا الطريق الوعر الذي لا يسلكه إلا مخلص لله مؤمن به متوكل عليه فيقول:

٢٩- وإنَّـما رَأَيْـتُ أمْـراً كَانَـا　　إِشْـكالُهُ يُحَـيِّرُ الإِخْوَانَـا

٣٠- أَيْ الـذين وَصْـفُهُم بالأبتِـدا　　لا العُلَـماءَ المَـاهِرين بـالأَدَا

٣١- أردتُ الايضَـاحَ والانْشِـراحْ　　لهُـمْ وكُنـتُ رَاجِـيَ الفَـلاحْ

إذن الذي حدا بهذا العالم الرباني إلى تأليف هذه المنظومات رغم صعوبة انقياد الشعر في مثل هذا المضمار هو أنه رأى أشياء تشكل على الطلاب وتحير إخوانه من طلبة العلم وحملة كتاب الله، وقال إنه وضع هذه المنظومة للمبتدئين من الطلاب لا للمهرة من العلماء بالأداء وغيره من علوم الكتاب العزيز. وهو يرجو الفلاح بإيضاح المشكل لهم وانشراح صدورهم به.

ثم مضى الناظم في بيان ما أراده من الخير لإخوانه وطلابه، من فوز وإنعام وعفو وقبول ونحوه بوضع هذه المنظومات وهو قوله:

٣٢- والفَـوْز والإنعـامَ والغِنَـا　　مـن الحميـدِ دائـماً هَنَـا

٣٣- والعَفْـوَ والقَبُـول والشِّـفاءَ　　والعِلْـمَ والعَمَـلَ والـذَّكَاءَ

٣٤- مَغْفـرةً ورحمـةً نَجَـاتِي　　مـن السُّـؤالِ ولَـدَى المـماتِ

٣٥- والحُـبَّ للرسـولِ والأبـرارِ　　والمـوتَ في مدينـةِ المُخْتَـار

٣٦- وأَنْ يُجِيْرَنَـا مـن الشَّـقَاءِ　　والكِـبْرِ والعُجْـبِ ومِـنْ ريـاءِ

٣٧- وأَنْ يُقِيْتَنَا مِنَ الحَلاَلِ وأن يعِيْذَنَا مِنَ الخَبَالِ

٣٨- وكلّ ما يعلَمُهُ من خَيرِ نطالبُ منه وانْصرافَ الضَّيْرِ

٣٩- بجاهِ سَيِّدِ الوَرَى الوَحِيدِ مُحَمَّدِ المحترمِ المجيدِ

٤٠- صلى عليه اللهُ مع سَلامِ وآلِهِ وصَحْبِه الكِرَامِ

وبعد هذه المقدمة الطويلة التي بلغت أربعين بيتاً كما ترى شرع في تفصيل الأحكام وبيان مسائل التجويد والرسم والضبط والقراءة فبدأ بأحكام النون عند حروف المعجم كلها في أحوالها الأربعة وهي الإظهار عند حروف الحلق الستة (الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء) المجموعة في قول أوائل بعضهم: (أخي هاك علماً حازه غير خاسر) والإدغام الكامل بغير غنة والناقص بغنة في حروفه المجموعة في قولهم (يرملون) والأول يسميه العلماء (الإدغام الخالص). والإقلاب في حرف (الباء) الموحدة والإخفاء في بقية حروف المعجم. فقال: (باب في حكم النون عند سائر حروف المعجم) وشرح ذلك في نحو ستة وعشرين بيتاً، قال فيها:

٤١- وَصَوِّرن سُكُونَها يا صَاحِ أيْ عند حَرْفِ الحلقِ للفَلاَحِ

٤٢- وَحَقُّه التحريكُ وَهْوَ خَالِ عن شَدَّة بُعَيْدَ نُونٍ حَالِ

٤٣- (إنْ أَنَا) (ءَآمن) في المِثَالِ (يَنْهَوْنَ عَنْهُ) جَا بِلا إشْكالِ

٤٤- (من عَلَقٍ) و(من حميم آنِ) (من غيرِ شَيءٍ) فاعْتَبِرْ بَيَاني

٤٥- (من خَافَ) (وهُوَ خَائِفٌ) يخافْ أما تَرَى لِوهْمِكَ انصرافْ

٤٦- كذاك عندَ الواو ثم الياءِ وَشَدِّدَنها بلا تَنَاءِ

٤٧- أو عَرِّيَنْهُا وعَرِّ النُّونا لكِنَّ للأوَلِ يرْتَضُونَا

٤٨- ولا تعرِّهـــا مـــع التَّشْـــديدِ — للـــواوِ واليـــاء وذا التَّســـدِيد

٤٩- (كمِـــنْ ورَائِـــهِ) و(مِـــنْ وَلِيٍّ) — (مـنْ يـوم) (مـن يشاء) يـا صـفيٍّ

٥٠- وعـــوِّض السكون مـيماً صـفرا — أمـــارةً للقَلْـــبِ وَهْـــيَ حَمْـــرا

٥١- مـــن قبـــلِ بَـــاءٍ وَهْـــوَ في المثـــالِ — (مـن بَعْـدهم) و (الأَنبيـاءُ) تَـالِ

٥٢- وَرَاعِ تَـــرْكَ شَـــدّةٍ للبَـــاءِ — بالشِّـينِ أو بالـذال وهـو نـاءِ

٥٣- وَجَرِّدُوهْـــا أيْ مـــن السُّـــكونْ — فـيما سـوى ذي وَهُـوَ المصُـونْ

٥٤- منهـا حـروفُ نُسِـبَتْ للإِخْفَـا — وَعُـــدُّها لِكُلِّهِـــمْ لمْ يَخْفَـــا

٥٥- تَـــاءٌ وثَـــا مُثَلَّثـــاً والجِـــيْمُ — والـــذَّالُ ثـــم أَخِـــهِ الفَخِـــيْمُ

٥٦- والـــزَّايُ مُعْجَـــماً وَحَـــرْفُ السِّـــينِ — والشِّـينُ بَعْـدَهُ عـلى اليَقـينِ

٥٧- والصَّـــادُ مُهْمَـــلاً أَخُـــوهُ الضَّـــادُ — طَـــاءٌ وظَاؤُهَـــا ولا عِنَـــادُ

٥٨- والفَـــاءُ ثابِـــتٌ وحَـــرْفُ القَـــافِ — وكـــان خَـــتْمُ عَـــدِّها بالكَـــافِ

٥٩- وهـــي تُحَـــرِّكُ بِـــلا تَشْـــدِيدِ — حَسَـــبِمَا تُقْـــرا وَلا عَنيـــدُ

٦٠- (مِـن تَحْـتِ) (مِـن ثمـرةٍ) (مِـن جنَّـةٍ) — (مِـن دُونِ) يـا أخـي و(مـن ذُرِّيَـةٍ)

٦١- (مِـن زينـةِ القَـوْمِ) و(مِـنْ سُـلاَلَهْ) — نَسْـــأَلُهُ الأَمْـــنَ مـــن الضَّـــلاَلَهْ

٦٢-(من شـجَرٍ) (أنْصَـارُ مَـنْ ضَـلَّ) و(مَـنْ — طَغَـى) و(مِـنْ ظُهُـورِهَـا) لِـتَفْهَمَنْ

٦٣-(والمُنْفِقِـــينَ) ثُـــمَّ (مِـــنْ قـــرار) — (مـن كَـان) والحمـدُ لَـهُ يـا قَـارِ

٦٤- وعَرِّهـــا عنـــد حـــروف (لمْ نَـــرَ) — والشَّـدُّ ثَابِـتٌ عَلَيْهَـا لاَ امْـتِرَا

٦٥- أَقُـــولُ في المثـــالِ (مِـــن لَـــدُنَّا) — (مِـن مَلَـك) (مِـن نَـاصِرين) عَنَّـا

٦٦- (مِـــن ربِّنـــا) إيَّـــاهُ نَسْـــتَعينُ — لِكُـــلِّ شيءٍ وَهُـــوَ المُعِـــيْنُ

٦٧- إدغامُهَا يُوصَفُ بالخلُوص هُنا كَما قَدْ صَحَّ في النُّصُوصِ

بدأ حديثه في الأبيات من (٤١ – ٤٥) عن وضع السكون على النون إذا لاقت أحد أحرف الحلق الستة وشفع ذلك بالتفصيل والتمثيل بالمثال والمثالين لكل حرف مستشهداً بالآيات الكريمة ليكون رسمه علماً وعملاً تطبيقياً كما ترى في الأبيات. وما ذكره الشريف هنا مفصلاً ممثلاً له ورد في منظومات السابقين موجزاً مختصراً فلم يزد الخراز في منظومته الشهيرة على خمسة أبيات في أحكام ضبط النون[1] وهذا أحد مميزات منظومات الشريف وهو ما سنقف عنده لاحقاً في بيان شخصية الشريف العلمية من واقع منظوماته.

وتكلم في الأبيات من (٤٦ إلى ٤٩) ومن (٦٤ إلى ٦٧) عن ضبط النون في حالتي الإدغام فهي ساكنة مع تشديد ما بعدها في حالتي الواو والياء وبين مذاهب كتاب المصاحف في ذلك والوجه المرتضى عندهم وهو الأول. وعارية من السكون مع تشديد ما بعدها مع بقية حروف الإدغام المجموعة في قولهم (لم نر). وهو في كل ذلك يمثل تمثيلاً دقيقاً. وقد فصل بين قسمي النون مع حروف الإدغام بذكاء العالم المستوعب لما يعالج فهو يتحدث عن النون المعراة والتي عليها السكون وهذه هي علة الفصل بين القسمين.

ثم عاد في الأبيات من (٥٠ إلى ٥٣) لبيان وضع النون عند الإقلاب. وهو من بعد بيان الحكم في الرسم يبين لون قلم الرسم. وألوانهم المستخدمة في الضبط أربعة هي الأكحل (الأسود) والأحمر والأخضر والأصفر وكانوا لا يرون المصحف كاملاً ما لم يشتمل في ضبطه على هذه الألوان الأربعة.

---

(١) دليل الحيران: ٢٧٣.

ثم وقف وقفة مطولة عند بقية حروف المعجم وهي الحروف التي تُخْفَى عندها النون الساكنة فشرحها وفصل أحكام ضبطها في الأبيات من (٥٤ – ٦٣) فنظم الحروف أولاً وهي الخمسة عشر حرفاً التي جمعوها في أوائل كلمات البيت القائل:

صِفْ ذَا ثَنَاً كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا   دُمْ طَيِّبَاً زِدْ فِي تُقَىً ضَعْ ظَالِمَا

ثم نظم التمثيل لكل حرف من حروف الإخفاء بما لا مزيد عليه، ولم يَفُتْه أن تشتمل أمثلته على الإخفاء حين يكون الحرفان في كلمة واحدة مثل (المنفقين) أو في كلمتين كما في بقية أمثلته الوافية الشافية. وتلاحظ حسن الخروج وفن الدعاء في قوافي أبيات الشريف حين يفرغ من الحكم في الأبيات (٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٦) بما يدل على أن الشريف رضي الله عنه جعل عمله هذا ثناء على الله وعبادة خالصة لوجهه تعالى والدعاء مُخُّ العبادة كما في قوله (نسأله الأمن من الضلالةْ) و(الحمد له يا قارئ) وهو في كل ذلك معتمد على الله مستعين به، يمزج التمثيل بالاستعانة: (من ربنا إياه نستعين لكل شيء وهو المعين). وأشباه لهذا كثيرة لنا فيها وقفة في المبحث الأخير.

وعقد بعد ذلك فصلاً قصيراً لحكم التنوين عند حروف الهجاء قال فيه:

٦٨- وَبَعْدَ تَنْوِينٍ كذا تُشَدَّدُ   وَهُوَ فِي مَوْضِعِهِ مُؤَيَّدُ

٦٩- (حليمٌ للذين) أيضاً قُل (أذى   مِن مَّطر) (هدىً من رّبهم) خُذَنْ

٧٠- كذاك (قوماً نكثوا) (غفورُ   رَّحيمٌ) لا فَارَقَكَ السُّرُورُ

٧١- إن سَبَقَ التَّنْوينُ يا ذا القَصْدِ   للواوِ واليَاءِ فَتَرْكُ الشَّدِّ

٧٢- في كلِّ واحدٍ من الحرفين   وذا المؤيَّدُ بِغَيرِ مَيْنِ

٧٣- تقول في الواو (كثيراً وَسَعَهْ)   و(عدنٍ يدخلونَهَا) مُتَّسِعَهْ

٧٤- في اليَاءِ والوا بَانَ غايةَ البيانِ   والحمدُ لله كما هَدَانِ

يقول إن التنوين إذا وقع بعده حرف من حروف (لم نر) التي ذكرها في أحكام النون فإن ذلك الحرف يشدّد بعلامة التشديد، ومثل لذلك بأبعاض الآيات (حليم للذين) [وهو آخر الآية ٢٢٥ وأول الآية ٢٢٦ من سورة البقرة] لمن درج القراءة. و(أذى من مطر) من الآية ١٠٢ من سورة النساء و(هدى من ربهم) [من الآية ٥ من سورة البقرة [و(قوماً نكثوا) من قوله تعالى ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾.[١٣/ التوبة]. و(غفور رحيم) في آيات كثيرة. أما إذا سبق التنوين الواو والياء فالحكم المؤيد في الضبط هنا هو التعرية من التشديد نحو ما مثل به من قوله (كثيراً وسعة) و(عدن يدخلونها) الأول من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴿١٠٠﴾ ﴾ [١٠٠/ النساء] والثاني ثلاثة مواضع في القرآن [٢٣/ الرعد، ٣١/ النحل، ٣٣/ فاطر] والذي فصله الشريف هنا مع التمثيل في ستة أبيات ذكره الخراز في بيت واحد وهو قوله:

والشدُّ بعد في هجاء لم نرا وغَيْرَه فَعَرِّهِ كيف جرا[1]

قال المارغني: ووجه تشديد حروف (لم نر) بعد التنوين التنبيه على أن التنوين أدغم في ذلك الحرف إدغاماً تاماً قلب لأجله التنوين وصار من جنس ذلك الحرف ولأجل ذلك سمي هذا النوع بالإدغام الخالص. ولما لم يدغم التنوين في غير هذه الأحرف الأربعة إدغاماً تاماً عري ذلك الغير يعني ما سوى حروف (لم نر) من علامة التشديد تنبيهاً على ذلك[2].

(١) دليل الحيران: ٢٥١.

(٢) دليل الحيران: ٢٥١.

ومما يدلك أيضاً على أن الشريف مال إلى بسط الوجوه والإكثار من التمثيل حتى ييسر على طلابه استيعاب الرسم والضبط أن الخراز حين تكلم عن الحركة والتنوين اختصر بيان أحكامهما في بيت واحد هو قوله:

وقبل حرف الحلق رَكَّبْتَهُمَا وقبل ما سواه أَتْبَعْتَهُما[1]

ولكن الشريف تناول ذلك في ثمانية أبيات على عادته في الشرح والتفصيل والتمثيل فقال:

٧٥- يُرَكَّبَانِ عِنْدَ حروفِ الحَلْقِ لِغَرَضٍ وَهْوَ بَيَانُ النُّطْقِ

٧٦- تَتَابُعا في غَيرِهِ بالجَزْمِ أَيْ لا خلافَ عِنْدَ أَهْلِ الفَهْمِ

٧٧- أي مُطْلَق المُدغَمِ أَو ما (يَنْمُو) للقَلْبِ والإِخْفَاءِ وهو الاسمُ

٧٨- وإن يكن منوناً مرسُوماً بألفٍ عليه لا لزوما

٧٩- وإن أَتَى بالواوِ أو بالياءِ هُمَا على الواو وحرف الياءِ

٨٠- علياً مُفْتَرَى مع المُضَاهِي والواو في (ربوا) لقولٍ واهي

٨١- وإن يكن بغير أَلْف رُسِما يُلاَزِمَانِ الحرفَ وهو كيفما

٨٢- بالجَرِّ أو بالرَّفْعِ أو بالنَّصْبِ مِثَالُه حَسَنَةٌ في الكَتْبِ

قال المارغني في شرح بيت الخراز السابق -وهو مضمون أبيات الشريف: يريد أن علامتي الحركة والتنوين إذا وقعتا قبل حرف من حروف الحلق فإنهما تركبان أي تجعل علامة التنوين فوق علامة الحركة وإذا وقعتا قبل حرف غير حلقي فإنهما تجعلان متتابعتين أي: تجعل علامة التنوين أمام علامة الحركة[2].

---

[1] دليل الحيران: ٢٤٩.

[2] دليل الحيران: ٢٥٠.

وزاد الشريف هنا بذكر السبب وهو إرادة بيان النطق. أما إذا كان التنوين تنوين نصب يرسم ألفاً فإن العلامتين، علامة النصب وعلامة التنوين، توضعان معاً على الألف. وإذا كان التنوين مما يرسم واواً أو ياءً فإن العلامتين توضعان على الواو والياء ومثل لذلك بقوله (عليماً حكيماً). وإذا كان التنوين مما يرسم بغير ألف فإن علامتي الحركة والتنوين تلازمان الحرف. وقوله (والقول في ربوا لقول واهي) إشارة إلى الخلاف المروي هنا عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة فيما قرأ به من حرف منسوب للإمام نافع في الإخفاء وصفه المارغني بأنه حرف شاذ[1]. ولذلك ما قلت إن الشريف يقف عند حروف السبعة وغيرهم.

عقد الشريف بعد ذلك باباً للام المعرفة أي لام التعريف وجعلها قسمين اثنين: اللام المظهرة واللام المدغمة فأوضح أن علامة السكون توضع في القسم الأول وهو اللام المظهرة على اللام القمرية ويحرك الحرف الذي يليها. وذلك عند حروف سهلة العدّ (خمسة ومثلها واثنين مكررة) يعني أربعة عشر حرفاً مجموعة في قولهم (أبغ حجك وخف عقيمه). ثم شرع في التمثيل لكل حرف منها. أما القسم الثاني فعدد حروفه هو نفس عدد حروف الأول وهي الحروف الأربعة عشر الشمسية وبين أن الحكم فيها هو تعرية اللام من السكون، والتشديد والحركة على الحرف الذي يليها. وقد جمعها بعض المتقدمين في أوائل كلمات البيت التالي:

طِبْ ثُمَّ صِلْ رحماً تَفُزْ، ضِفْ ذا نِعَمْ ... دَعْ سُوءَ ظَنٍّ، زُرْ شريفاً للكرم[2]

أما الشريف فقد ذكرها في أوائل كلمات بيتين ثم مثل لها في أربعة أبيات جارياً على عادته في التفصيل والتمثيل فقال عن القسمين جميعاً:

---

(1) دليل الحيران: ٢٥١.

(2) حق التلاوة: ٦٦.

٨٣- وَلاَمُ تَعْرِيـــفٍ عـــلى قِسْـــمَين ... فَمُظْهَـــرٌ ومُـــدْغَمٌ اثنِـــيْنِ

٨٤- فـــأوَّلٌ ســـكونها يكـــونُ ... لـــدى حـــروفٍ عَـــدُّها يَهُـــونُ

٨٥- وَهِـــيَ خمســـةٌ بِغَـــيْر مَـــيْنِ ... ومثلُهـــا واثنـــانِ مـــرتين

٨٦- جميعُهـــا في (أَبْـــغِ حَجَّـــكَ) أَتَـــى ... (وَخَـــفْ عَقِيمَـــهُ) كـــما قَـــدْ ثَبَتَـــا

٨٧- كـــالأرضِ والبُيـــوتِ والغُيـــوب ... والحِجْـــر والجَحِـــيم والكُـــرُوب

٨٨- الوالـــداتُ في المِثَـــال الـــدَّاني ... والخَـــاسِرُ الفاسِـــقُ في هَـــوَانِ

٨٩- والعِلـــم والقتَـــالِ واليَتـــيم ... والمـــؤمنين وكشـــرب الهِـــيمِ

٩٠- وَصَـــوِّرَنْ سُـــكُونَ هـــذا الـــلاَّمِ ... وقَـــدِّمِ الصَّـــالحَ في الأَيَّـــامِ

٩١- وحَـــرِّكِ الحَـــرْفَ الـــذي يَليـــهْ ... واجتَنِـــبِ الشَّـــدةَ يَـــا نَبيـــهْ

٩٢- نِسْـــبَتُها للقَمـــرِ المنـــيرْ ... وكُـــن لمـــا أَقولُـــهُ خَبِـــيرْ

٩٣- وآخـــرُ القســـمين في الحِســـابِ ... كـــأَوَّلِ تفـــوزُ بالصَّـــواب

٩٤- وجمعُهـــا أوائـــلٌ مـــن كلِـــم ... بَيْتَـــيْنِ فَـــافْهَمَنْهُمَا في الـــنَّظْمِ

٩٥- تســـأَلُ ثَابِتـــاً دَلـــيلاً ذَاعَ ... رَوَى وزان ســـائراً وشَـــاعَ

٩٦- وصـــحَّ ضَـــعْفي طايعـــاً ظَنينـــا ... لَغْـــوٌ نَمـــى إلَيَّ في سِـــنِينَا

٩٧- كالتّايـــب الثابـــت طُـــولَ الـــدهر ... والـــذَّاكِرُ الراكـــع حـــاز الفَخـــر

٩٨- والزُهـــد نعـــمَ وهـــو أَصْـــل السِّر ... والشـــاكِرُ الصَّـــابِرُ نَـــالَ الخَـــيْر

٩٩- والضَّـــارع الطَّـــاهِرُ جَـــافَ الظُّلْـــمَا ... يكـــونُ آمنـــاً كـــما قَـــدْ تَمَّـــا

١٠٠- واللَّهْـــوُ آفَـــةٌ وذكـــرُ النَّـــارِ ... يَهْـــدِم لَـــذَّةً مِـــنْ الأَبْـــرَارِ

١٠١- والـــلاَّمُ جَـــاءَ عَاريـــاً في الكُـــلِّ ... مـــن السُّـــكون جَامِعـــاً للفَضْـــلِ

١٠٢- والشَّـــدُّ والتحريـــكُ يلزمـــانِ ... فـــيما يـــلي الـــلامَ ويُكْتَبَـــانِ

١٠٣- ونسِبَتْ جَمِيعُهَا للشَّمْسِ نَسْأَلُهُ عَافِيَةً فِي الرَّمْسِ

ثم انتقل الشريف إلى باب من أطول أبواب منظومة الصيانة وهو باب الإدغام في قراءة أبي عمرو البصري. والإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً. وهو قسمان كبير وصغير، أما الإدغام الكبير فهو إدغام الحرف المتحرك في ما يماثله أو يقاربه أو يجانسه نحو ﴿مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ [٤٢/ المدثر] وهذا مما اختصت به رواية السوسي عن أبي عمرو لذلك قال الإمام الشاطبي:

ودونك الادغام الكبير وقطبه أبو عمرو البصري فيه تحقّلا[1]

ولم يقف الشريف عنده لأنه إنما يقرأ برواية الدوريّ وهي الإظهار في هذا الباب. ثم شرع في بيان المشهور من إدغام أبي عمرو برواية الدوري وهو الإدغام الصغير وسار فيه على نفس أبواب السابقين كما وجدته عند القيسي والغافقي والداني والخراز والشاطبي وأضرابهم؛ فبدأ بإدغام الذال من (إذ) فقال:

١٠٤- والذَّالُ في (إِذْ) ذُو حُرُوف سِتَّهْ (سَتْجِزِ دَصّ) عَرِّيَنْهُ بَتَّهْ

١٠٥- (كإذ سَمِعتُموه) (إذ تّراءى) (إذ جَّاءهم) (إذ زّيّن السَّماءَا)

١٠٦- (إذ دّخلوا عليهِ) (إذ صَّرَّفْنَا) وأَعَرِفِ الكُلَّ كما بَيَّنَّا

١٠٧- وبعضُهم ذَكَر ذالاً في الظّا وذاكَ في (إذ ظَّلموها) حَظَّا

١٠٨- والشَّدُّ في المُوالِ أمرٌ جارْ جرياً كما حرّره الأَخْيَارْ

---

[1] حرز الأماني: ١٠.

ذكر أن من مذهب أبي عمرو إدغام ذال (إذ) في ستة أحرف هي (السين والتاء والجيم والزاي والدال والصاد) المجموعة في قولهم (ستجز دص) وهي التي جمعها الشاطبي في قوله:

نَعَمْ إذ (تَمَشَّتْ زَيْنَبٌ صَالَ دَلُّهَا سَمِيُّ جَمالٍ) واصلاً من توصلا [1]

وهي أوائل الكلمات المحصورة. والحكم فيها أن يعرى الذال ويجعل التشديد على الحرف الذي يليه وهو قول الشريف (والشدُّ في الموالي).

أما قوله (وبعضهم ذكر ذالاً في الظا) فلعله يشير إلى بيت الشاطبي:

(ولا خلف في الإدغام إذ ذل ظالم)[2].

ثم انتقل الناظم إلى دال (قد) لبيان ضبطها، بناءً على حكم الإدغام والإظهار فيها فقال:

١٠٩- ودال (قد) كَهُوَ يا ذَا النُّورْ	أَتَى في أَحْرف نظمها مسطور
١١٠- في (سُلَّم) ومِنْهُ نَسْتَعِيرُ	كَغَيْرِهِ والله نَسْتَخِيرُ
١١١-و(قَدْ بجصّ) شذّ صاد الماضِيَهْ	والزّايُ سِين ظاؤها الثمانيه
١١٢- (قد جّاء)(قد صرّف)أيضاً(قد شّغف)	و(قد ذَرأنا) ثم (قد ضّل) الشرف
١١٣- (وقد زيَّنا السماء) النائي	و(قد سرى) وفاز بالهناءِ
١١٤- (قد ظّل) صائماً وزاد غَيْرُهُ	تاءٌ (لَقَد تَّاب) وطاب ذِكْرُهُ

(١) حرز الأماني: ٢١.

(٢) سراج القارئ: ١٢٣.

هذا أحد المواضع التي تتجلى فيها الأمانة العلمية عند الشريف بعزوه ما نقله من مصادره إلى أصحابه فأشار في البيتين (١٠٩ – ١١٠) إلى أن أحكام إدغام الدال استعار أبياتها من كتاب (سُلَّم المريد إلى علم التجويد)[١] للشيخ حمد ود مدلول الذي صرح بأنه أخذ منه ومن غيره على عادة العلماء في ذلك وسأقف مطولاً عند هذا المبدأ في الحديث عن مصادر علم الناظم في المبحث الأخير.

والحروف التي تدغم فيها الدال من (قد) ثمانية هي (السين والشين والضاد والصاد والظاء والزاي والذال والجيم) جمعها الأندلسي صاحب كتاب العنوان في أوائل كلمات البيت القائل:

شَهِدْتُ ضُحًى ظِبَاءً سَانحاتٍ ذكرتُ زَمَانَ جُرْدٍ صَافِنَاتِ[٢]

ثم شرع الشريف في التمثيل لكل حرف بمثال على عادته، أما قوله (وزاد غيره تاءً لقد تاب) فإشارة إلى الخلاف عن نافع فيما رواه المسيبي عن أبيه في نحو (قد تبين)[٣].

ثم انتقل إلى أحكام تاء التأنيث وأنها تُعَرَّى من الحركة عند ستة أحرف لأنها تدغم فيها، جمعها صاحب العنوان في قوله[٤]:

صَدَّ جائراً ظهراً ثم زارني سحرا

أما الشريف فقد جمعها في أوائل الكلمات من (سل صاحب زهد ظلا ثواب جد) وهي هي ثم شرع في التمثيل لكل حرف بآية فقال:

---

(١) القراءات والرسم: ٢٩١. ولم أقف على هذا الكتاب.

(٢) العنوان في القراءات السبع ص ٥٦.

(٣) انظر: التبصرة: ٣٥٥، ورواية أبي عمرو للغافقي: ٥٨.

(٤) العنوان: ٥٦.

١١٥- والتـــاءُ تُعْـــرَى عنـــدنا في الـــذِّكْرِ	لَـــدَى حُـــرُوفٍ نَظْمُهَـــا كالـــدُّرِّ
١١٦- وهــي (سَــلْ صَــاحِبَ زُهْــد ظَــلاً	ثَـــوَابَ جُـــذْ) أوَّلَ حَـــرْفٍ حَـــلاً
١١٧- (كَأَنْبَتَـــتْ سَـــبْعَ) كـــما في البِكْـــرِ	و(حَصِـــرَتْ صُـــدُوُرهُم) في الـــذِّكر
١١٨- أيضـــاً (خَبَـــتْ زِدْنَـــاهُمُ سَـــعيرا)	وكُـــنْ لَـــهُ ذَا فطْنَـــةٍ بَصِـــيرَا
١١٩- و(حُرِّمَـــتْ ظُهُورُهـــا) و(كـــذَّبتْ	ثَّمـــودُ) للرُّسْـــلِ كـــما قـــد (وَجَبَـــتْ
١٢٠- جُنُوبُهـــــا) ونعـــــم ذا المِثَـــــالْ	لكَونِـــــــهِ أَزَالَ للإشْـــــــكَالْ
١٢١- وزّادَ في (لُؤلُـــــــو المَنْثُـــــــورِ)	حـــرفَيْنِ حَـــرْفَ الـــدالِ في المسْـــطُورِ
١٢٢- والطّـــا وذاك (قـــدْ أُجِيبَـــتْ دَعْـــوا)	(وآمَنَـــــت طَّائفـــــةٌ) ونَحْـــــوَا

وستستوقف القارئ على أيامنا هذه أسماء السور عند هؤلاء الأئمة فهي ليست مما درسناه في أسمائها في التعليم الحديث ولا في مصاحفنا المتداولة، فهو هنا يقول في التمثيل لإدغام التاء في السين (كأنبتت سبع كما في البكر). فهم يسمون سورة البقرة (البكر) ويسمون سورة الواقعة (المزن) ويسمون سورة المائدة (العقود) وهو أمر قديم جمعته في المبحث الأخير وشفيت النفس منه. ثم زاد الشريف بأن نبه على إدغام التاء في الدال والظاء لأن الأحرف الستة أدغمها أبو عمرو في رواية الدوري وإن اختلف معه بعض السبعة في ذلك[1]. ولكنهم اتفقوا جميعاً على إدغام التاء في الدال والطاء كما ذكره الشريف ومثل له بقوله تعالى ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴿٨٩﴾ ﴾ [٨٩/ يونس] من قوله تعالى: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴿٨٩﴾ ﴾ [٨٩/ يونس] ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [١٣/ الأحزاب] من الآية ١٣ من سورة الأحزاب وهو الذي أشار إليه الشاطبي رحمه الله في قوله:

---

[1] انظر: التبصرة: ١١٣.

(وقامت تريه دمية طيب وصفها)[1].

أما حكم لام (هل وبل) مع التاء فذكر الغافقي أن أبا عمرو "يقرأ ذلك كله بالإظهار إلا في موضعين فإنه أدغمها وهما في سورة الملك (هل ترى من فطور – ٣) وفي الحاقة (فهل ترى لهم – ٧) لا غير"[2] هذا قول الغافقي جامع قراءة أبي عمرو فماذا قال الشريف؟ قال رحمه الله:

١٢٣– ولام (هَلْ) في مَوْضِعَيْنِ جُرِّدَا ... وثقَّلُوا (تَرَى) كما قدْ وُجِدَا

١٢٤– أَيْ الذِي بِحَاقَّةٍ والمُلْكِ ... وغَيْرُهُ مُسَكَّنٌ لا شكّ

وهو ما ذهب إليه الغافقي.

ثم عاد إلى الإدغام الناقص وأخذ في بيان حكم الطاء عند التاء فقال:

١٢٥– والطَّاءُ عند التّاء سَكّنوها ... وشدِّدُوا للتَّا وأَتْقِنُوهَا

١٢٦– وذا هُوَ المُخْتَار عند القَوْمِ ... وَلَسْتُ زائداً لَهُ في النَّظْمِ

١٢٧– (أَحَطْتُ) مَكّيٌّ له قد ضَمّا ... (نَخْلُقكُمْ) في المُرْسَلاتِ عَمّا

١٢٨– لكونه منقَّص الإِدْغَامِ ... ومالَ بعضٌ من ذَوي الأَفْهَامِ

١٢٩– لخالصِ الإِدْغامِ وهو الأَوْلَى ... كما ارتَضَاهُ سَيِّدُ الأَجِلاّ

١٣٠– أعني به الإمامَ شمسَ الدينِ ... كما أَخَذْتُهُ عَنْ المُبِيْنِ

١٣١– والقّافُ جَاء عارياً بالجَزْمِ ... والشَّدُّ في الكافِ وُقِيْتَ الهم

فأبان أن الطاء تسكن في الضبط عند التاء أما التاء فحكمها التشديد نحو (أحطت وبسطت) وهذا هو الاختيار عند أهل الضبط ولكنه وقف عند الخلاف في (أَحَطْتُ

---

[1] حرز الأماني: ٢٣.

[2] رواية أبي عمرو: ٦١.

ونخلقكم) الأول في قوله تعالى: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴿٢٢﴾﴾ "[٢٢/ النمل] والثاني من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[٢٠/ المرسلات] وذهب إلى أن هذا من باب الإدغام الناقص عند جماعة ومال بعض ذوي الأفهام إلى قراءته بالإدغام الخالص وهو الأولى كما ارتضاه سيد الأجلة وهو الإمام شمس الدين ويعني به ابن الجزري. وحين رجعت إلى كلام هذا الإمام وجدته بالحرف الواحد: أجمع رواة الإدغام عن أبي عمرو على إدغام القاف في الكاف إدغاماً كاملاً يذهب معه صفة الاستعلاء ولفظها، ليس بين أئمتنا في ذلك خلاف وبه ورد الأداء وصح النقل وبه قرأنا وبه نأخذ ولم نعلم أحداً خالف في ذلك وإنما خالف من خالف في (ألم نخلقكم) ممن لم يروا إدغام أبي عمرو والله أعلم"[1].

ألا ترى دقة نقل الشريف وأمانته وكمال علمه؟

أما الخلاف الذي أشار إليه ابن الجزري ونص عليه الشريف في أبياته وعزاه لمكي ابن أبي طالب القيسي فهو كما قال تماماً. قال الخراز:

صور سكون الطاء إن أردتا   وشَدِّدَنَّ بَعْدَهُ حرف التّا
أو عرّ إن شئت كلا الحرفين   والأول اختير من الوجهين

قال المارغني في شرحه: ومن المدغم إدغاماً ناقصاً القاف في الكاف في (نخلقكم) بالمرسلات على أحد الوجهين فيه وهو إدغام ذات القاف في الكاف مع بقاء الاستعلاء الذي هو صفة للقاف وإليه ذهب مكي وجماعة. وعليه يكون ضبطه كضبط (أَحَطْتُ) ونحوه. والوجه الآخر فيه إدغام القاف في الكاف ذاتاً وصفةوهو مذهب الجمهور. وحكى الداني الإجماع عليه. وعليه يكون الإدغام تاماً ويضبط... بأن تعرى القاف من علامة السكون

[1] النشر ١/ ٢٩٩.

وتجعل علامة التشديد على الكاف[1]. هذا نص كلامهم رواه بصدق ونقله بأمانة وحفظه بإتقان واستوعبه بوعي ونظمه بمعرفة تامة وبراعة أسلوب رائعة.

وكثيراً ما يصلح الشريف رحمه الله الفساد وينبه على أوهام القراء والرُّسّام والمصنفين ممن لم يكن صاحب تمكن في هذا الفن. وله في منظوماته المتعددة آراء صائبة وتصويبات مسددة كلها اعتمد فيها المروي والمنقول عن الثقات وسنفرد لذلك جزءاً في المبحث الأخير؛ ومثاله هنا قوله عن ضبط حرف الضاد إذا وقع قبل الطاء حيث أفاد أن الحكم هنا تحريك الطاء والدال، والقارئ المحقق لا يشدد الضاد. وذلك قوله:

١٣٢- والضَّادُ إن ذُكِرَ قبل الطَّاءِ ... مُسكَّنٌ وقَبْلَ حَرْفِ التَّاءِ

١٣٣- هُمّا يُحَرَّكانِ والتَّشْدِيدُ ... يَتْرُكُهُ المُحَقِّقُ المُجِيْدُ

١٣٤- وَوَضْعُه نَوْع من الضَّلالِ ... والجَهْل والفَسَادِ والخَبَالِ

١٣٥- مِثالُهُ (اضْطُر) وفي (مَرِضْتُ) ... (أَفَضْتُم) اِقْرَأْهُ كما بَيَّنْتُ

وستجد تفصيله حيث أشرت إليه إن شاء الله.

ثم قال عن مذهب أبي عمرو في الراء إذا سكنت ووليها اللام:

١٣٦- والراءُ إن تسْكُنْ قَبْل اللاَّمِ ... وَعَكْسُهُ تَجْرِيدُ كُلِّ سَامِ

١٣٧ وشرحُهُ (يَغْفِر لَّكم) بالفَضْلِ ... (قُل رَّبِّ) لا تُعَذِبَنْ بالعَدْلِ

يعني تجريد السابق من اللام أو الراء من الحركة ووضع التشديد على الحرف الثاني في نحو قوله تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴿٤﴾ ﴾[٤/ نوح] و(قل رب) في غير آية. والرواة يختلفون في

---

(١) دليل الحيران: ٢٧١.

ذلك عن أبي عمرو، فالسوسي يدغم كل ذلك والدوري روي عنه الوجهان: الإدغام في رواية اليزيدي – وهو مذهب الشريف – وروى غير اليزيدي الإظهار[1]. قال ابن الجزري: والأكثرون على الإدغام والوجهان صحيحان عن أبي عمرو[2].

واستمر في بيان أحكام القراءة ويتبعها الضبط في بقية حروف الإدغام فوصل هنا إلى الباء الساكنة التي تليها الفاء والحكم هنا تجريد الباء من الحركة دلالة على خلوص الإدغام وهو قول الشريف:

١٣٨ – والبَاءُ إنْ تَسْكُنُ قَبْلَ الفَاءِ   فَجَرِّدَنْهَا بِلا خفَاءِ

١٣٩ – (يَغلِب فَسَوْفْ) بالنِّسَا و(تَعْجَبْ)   بالرَّعْدِ والإسَرا وَطه (فاذْهَبْ)

١٤٠ – والحُجُرات (لم يَتُبْ) لِتَعْرِفْ   وعَكْسُها مَسَكَّنٌ (كَنَخْسِفْ)

مثل لمواضعها من القرآن تمثيلاً دقيقاً وحدد الآيات بسورها، ﴿يَغْلِبْ فَسَوْفَ ﴿٧٤﴾﴾ [٧٤/ النساء] و(تعجب بالرعد) يعني قوله تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ ﴿٥﴾﴾ [٥/ الرعد] و(الإسراء) يريد قوله تعالى: (اذهب فمن) [٦٣]، و(طه فاذهب) يريد قوله تعالى: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ ﴿٩٧﴾﴾[٩٧] و(الحجرات لم يتب) أراد قوله تعالى(فمن لم يتب فأولئك)[١١]. وهي المواضع الخمسة التي نصّ عليها الأجلة. قال ابن الجزري "الباء الساكنة عند الفاء وذلك في خمسة مواضع"[3]. ثم ختم الشريف حديثه بقوله (وعكسها مسكن كنخسف) يعني إذا وقعت الفاء الساكنة قبل الباء فالحكم الإظهار وهو كما ذكر؛ قال

---

(1) رواية أبي عمرو: ٦٤.

(2) النشر: ٢/ ١٣.

(3) النشر: ٢/ ٨.

الغافقي "وأما الفاء عند الباء في قوله عزّ وجلّ: ﴿ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ﴾ [٩/ سبأ] لا غير فهو بالإظهار عند أبي عمرو"[1]. قلت: بل كلهم يظهر إلا الكسائي.

أما الباء عند الميم فقد ذكر أنه بينه في نظمه وذلك قوله:

١٤١- كـذاكَ حُكْـمُ البـاءِ عنـد المِـيمِ	وشرْحُـهُ مُبـيَّنٌ مَنْظُـومِي
١٤٢- وهـو (يُعَـذِّب) آخـراً في البَقَـرَهْ	و(كَارْكَـبِ) السَّـفينة المُهَـاجرهْ

والأمر على ما ذكر؛ قال ابن الجزري: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [٤٠/ المائدة] في البقرة أدغم الباء منه في الميم أبو عمرو والكسائي وخلف... ﴿ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾[٤٢/ هود] في هود أدغمه أيضاً أبو عمرو والكسائي ويعقوب..."[2].

ثم تابع الحديث عن بقية الأحرف المتقاربة التي يقع فيها الإدغام فمر بالذال عند التاء والثاء عند التاء والذال في التاء والدال في التاء وأبان أن كل ذلك يشدّد منه الحرف الثاني دلالة على خلوص الإدغام. وختم باب الإدغام بالأربعة الأبيات التي تضمنت هذه الأحكام وهي قوله:

١٤٣- والـذالُ عنـد التـاء في (أَخَـذْتَ)	ونحـوه والثَّـاءُ في (لَبِثْـتَ)
١٤٤- ونحـوه للتَّـا ودّالٌ في الثَّـا	و(مَـنْ يُـرِد ثَّوَابَهَـا) قَـدْ بُثَّـا
١٤٥- وعِنْـدَ حَـرْف التَّـاءِ في (أَشْـهَدْتُ)	ونحـوُه لِفَضْـلِهِ انْتَظَـرْتُ
١٤٦- وشـدُّ ذاكْ جَـا بِـنَصّ كـافِ	وبُـيِّن الكُـلُّ بيانـاً شَـافِ

---

[1] رواية أبي عمرو: ٦٤.

[2] النشر: ٢/ ١٠.

ولم يبرح الشريف باب الإدغام قبل أن يعقد فصلاً يبين فيه سبب الإدغام بها دل على أنه قارئ متمكن يعرف صفات الحروف ويضبط مخارجها وأحيازها ويتقن العلاقة الصوتية بين حرف وحرف واقفاً على المروي والمنقول في ذلك فصاغ هذه المعرفة في أبيات سلسلة مع تمثيل دقيق شامل فقال:

١٤٧- وَكُلُّ حَرْفٍ مَعْ أخيهِ عَارِ   من السُّكونِ هَاكَهُ يَا قَارِي

١٤٨- لكونِهِ مماثِلاً للثَّاني   وَهْوَ مُشَدَّدٌ عظِيمُ الشَّانِ

١٤٩- كَقَوْلِهِ (اضْرِب بِّعَصَا) وَ (زَالَتْ   تلْكَ) و (كَأمَكُث ثَّابتاً) وقَالَتْ

١٥٠- (اخْرُج جَّرا) عليهِ البَاقي   وأَلْحِقِ الغَيْرَ بِهِ إلحَاقي

١٥١- وَهُوَ المُقَارِبُ كَما في الرَّاءِ   في لَفْظِ (بل رَّانَ) بِلا امتِرَاءِ

١٥٢- كما إذا جانس ذُو ظَرَافَهْ   كالتَّاء عند الطَّاء ذُو انصرافَهْ

١٥٣- (كآمَنَت طَّائِفَةٌ) و (قالَتْ)   وَ (كَفَرتْ طَّائِفَة) أسَاءَتْ

١٥٤- فاتّحد المثلان في المقاطع   وفي الصفات خذ بنصّ قاطع

١٥٥- والمُتقارِبَانِ مَا تَقَارَبَا   يَهْلَكُ مَن للظّالِمِينَ قَارَبَا

١٥٦- في مخرجٍ، والمُتَجَانِسَانِ   اشْتَرَكَا فيهِ وَيَجْرِيَانِ

١٥٧- واختلفا في صِفَةٍ يا صَاحِ   وإنَّمَا ذكَرْتُ للإِيضَاحِ

بدأ في البيت الأول بالإدغام الخالص وهو الذي يُعَرَّى فيه الحرف الأول من السكون ويوضع التشديد على الثاني والسبب هنا المماثلة. والمثلان هما الحرفان المتفقان صفة ومخرجاً كالباء مع الباء وهو ما مثل له الشريف بقوله (اضرب بعصا) يريد الآية ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [٦٠/ البقرة]، والتاء مع التاء في (زالت تلك) إشارة إلى الآية

﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ [١٥/ الأنبياء]. واستطرد في التمثيل للثاء مع الثاء والجيم مع الجيم فمثل لهما من غير القرآن للتوضيح وليس ذلك من عادته. ثم انتقل إلى المتقاربين وهما الحرفان اللذان يتقاربان مخرجاً وصفة أو مخرجاً فقط أو صفة فقط كالراء مع اللام في (بل ران) من قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ ﴾ [١٤/ المطففين] أما المتجانسان فهما المتفقان مخرجاً والمختلفان صفة مثل التاء والطاء في نحو (آمنت طائفة) هذه الصفات عرفها الشريف في الأبيات الأربعة الأخيرة (١٥٤ – ١٥٧) كما ترى، ومثّل لها قبل ذلك خير تمثيل وكان قد ذكر حكم الضبط والقراءة في أول الأبيات.

بعد فراغه من الإدغام دخل الشريف عليه رحمة الله في فصل آخر هو الإمالة، بين فيه طريقة ضبط الأحرف الممالة وأسند كلامه في ذلك إلى الرواة الموثوقين (بعض ذوي الجلالة) ومثل لمواضعها وطريقة رسمها وفنّد أوهام بعض الجهال في الضبط والنقط فقال:

١٥٨ – وإن تَسَلْ عَنْ مَوْضِعِ الإمالَهْ ... بَيَّنَهُ بَعْضُ ذَوِي الجلالَهْ

١٥٩ – فذاك تَحْتَ الفَاءِ في (الكُفَّار) ... وتَحْتَ حَرْفِ الرَّاءِ في (الأبرارِ)

١٦٠ و(الكافِرين) تحتَ حَرْفِ الكافْ ... و(النَّاسِ) تَحْتَ النُّونِ لا خِلافْ

١٦١ – وكـ(افْتَرَى) (التَّوْرَاةِ) تَحْتَ الرَّاءِ ... وفي (رَأي) مِنْ تَحْتِ هَمز نَاءِ

١٦٢ – وتَحْتَ أَلْفٍ في (رَأَى) (مما رَأَى) ... والهمزُ فَوقَه وسُخْطُهُ نَأَى

١٦٣ – وفي (البَوَارِ) تَحْتَ حرف الوَاوِ ... وكُلّ ما يُمَالُ قِسْ يَا رَاوِي

١٦٤ – وإنّما بَيَّنْتُه للنَّاسِ ... لِمَا رَأَيْتُهُ من الْتِباسِ

١٦٥ – فَرُبَّما تَرَى الجَهُولَ الغَاشِي ... يَجْعَلُهَا أَسْفَلَ أَلْفٍ نَاشِي

١٦٦ – بل رُبَّما غَيَّرَها وَجَاءَ ... بالكَسْرِ في مَكَانِهَا أَسَاءَ

١٦٧- كَجَعْلِــهِ الكَســْرَةَ تحــتَ الشَّــدِّ وانظُــرْ لَــهُ أَخِــي بعَــين الــرَّدِّ
١٦٨- والكَســْرُ لا يَصْـعَدُ فـوق الحَـرْفِ نَعَــمْ وإنْ شُــدِّدَ أَيْ في العُــرْفِ
١٦٩- وَلاَ يَسُـــوغْ جَمْعُهُــم لِلْفَــتْحِ مَــعَ الإِمَالَــةِ، وَأَهْــلُ الفَــتْحِ
١٧٠- اقتصـــرُوا عليــه لا مَحَالَــهْ أيْ وَضَــعُوا وتَرَكُــوا الإمَالَــهْ
١٧١- وَهِـــي نقْطَــةٌ ولكــنْ حَمْــرا كأنهَــا قُطْيعَــةٌ مِــن جَمْــرهْ

والإمالة هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالياء نحو الألـف. ويقـال لهـا الإضـجاع والبطح والكسر، فإذا كانـت قليلـة سـميت تقلـيلاً وتلطيفـاً وبـين بـين. وضـدها التفخـيم والفتح[1]. وموضع الإمالة كما بينه الشريف هو تحت الحرف المهال كالفاء من (كفار). وشكلها نقطة حمراء. ثم أشـــار إلى أن هذا النقط بينه بعض ذوي الجلالـة وهـو يشـير إلى الخـراز الذي يقول:

وعوّضـــن الفتحـــة المهالـــة بـــالنقط تحـــت الحـــرف للإمالـــة

وقال الشارح: "وأشار بقوله تحت الحرف إلى بيان محل النقط... وليس المراد تحت الألف الناشئ كماعند كثير من الجهلة"[2]. وهذا هو ما ذهب إليه الشريف قبل المارغني تماماً. والجهل بهذا قديم قال ابن خالويه: الإمالة لا تكون إلا في الألف وإنما يشم مـا قبلـه الكسـر لتصـح الإمالة. وقد قال قوم إنهما ممالان وهذا خطأ[3]. لذا فهم حين وضـعوا العلامـة تحـت الحـرف الأول فلأنه ابتداء الحركة والحركة بعض الحرف. وبعد التمثيل له أوضح السبب الذي جعله

(١) انظر النشر: ٢/ ٣٠.

(٢) دليل الحيران: ٢٥٨.

(٣) إعراب القراءات السبع لابن خالويه (رسالة دكتوراه غير منشورة د. إبراهيم القرشي). الورقة ١٢٩.

يسهب في البيان والتمثيل وذلك أنه رأى الأمر ملتبساً على بعض النـاس وأن بعـض الجهلـة منهم ربما وضعوا نقط الإمالة تحت الألف الناشئ بل ربما وضع بعضهم كسرة محضـة مكـان نقط الإمالة. فهذا كما يقول الشريف مردود غير مقبول عند أهل الضبط. ثم أبان أنه لا يسوغ الجمع بين التفخيم والإمالة وأن الذين يقرأون بالتفخيم أو الفتح كما في رواية قالون عن نافع يقتصرون على الفتح فيضعون حركته ويتركون الإمالة ونقطها. ثم بين أن ضبط الإمالة يكون نقطة حمراء كأنها قطيعة (تصغير قطعة) من الجمر.

وانتقل الشريف إلى فصل قصير في واو الصلة ويائها وطريقة رسمها وأبان أن الصلة تمنع إذا جاء السكون قبل هاء الضمير أو بعدها وأن الصلة إنما تثبت إذا جاءت بين محـركين نحـو (قولهُ إِن) و(لهُ أَصحاب) فقال:

١٧٢- وامْنَـعْ لِـوَاوِ صِـلَةٍ واليَـاءْ   إنْ سَـبَقَ السُّـكُونُ لا امـتْرَاءْ

١٧٣- علـيهمَا كنحـوِ (فِيـهِ) (عَنْـهُ)   و(كاجْتَبَيْـهِ) و(اصْـطَفِيْهِ) مِنْـهُ

١٧٤- وَعَقَلُـوهُ عَلِمُـوهُ وَكَـذَا   إذا تَـأخر السُّـكُونُ فَخـذا

١٧٥- نحـو (بـهِ اللهُ) (لـهُ العَـذَابُ)   وانصـرف الـبلاءُ والعِتَـابُ

١٧٦- والحِقْهُـما بـينَ مُحَـرَّكَيْنِ   (كَقَوْلِـهِ إنّ) بِـدُونِ مَـيْنِ

١٧٧- (لَـهُ أَصْـحَابٌ) وقِـسِ النظـيرا   و(رَبُّـهُ كـانَ بـهِ بَصِـيْرَا)

وتناول باباً قصيراً في الرسم ذكر فيه الألف التي تلحق في الرسم، والتنوين الذي يكون ياءً في الرسم، وأبان أن الألف الحمراء لا تلحق فوق هذه الياء وأن الألف لا تلحق أيضاً في الألف الذي رسم ياءً ومثل لكل ذلك، وهو إجماع أهل الأداء(1). وقد ذكر ذلك في قوله:

١٧٨- وَكُلُّ تَنْوينٍ أَتى في الرَّسْمِ — يـاءً فلا تُلْحَقُ أَيْ كَالجَزْمِ

١٧٩- الأَلِفَ الحمراءَ فوق الياءِ — وَذَاكَ إجماعُ ذَوي الأَدَاءِ

١٨٠- مثالُه: سُدىً هُدىً ومُفْتَرىً — سِوَى فَتَى أذىً مُسَمَّى وقُرَى

١٨١- إن وَقَعَ العِوَضُ قَبْلَ السَّاكِنِ — إلحاقُهُ يَمْنَعُ في الأَمَاكِنِ

١٨٢- نَحْو (تَرَى الشَّمْس) (ترى الذين) — (حتى نَرَى الله) ونعم الدين

١٨٣-(على الذي) (موسى الكتاب) عيسى — مع (ابنِ مَرْيَمَ) النَّبي النَّفِيسَا

وفي أطول أبواب منظومة الصيانة تناول الشريف الهمز وأحكامه على قراءة أبي عمرو بن العلاء التميمي -وهو شديد الإعجاب به- وذكر أن هذا الباب مما ينبغي الاعتناء به لكونه أكثر إشكالاً على الطلاب. وقد صرف فيه همته وبينه أحسن بيان جاعلاً ذلك وسيلة لرضا ربه ليكون جزاؤه الجنة إن شاء الله. وهذا ما تضمنته الأبيات الخمسة التي تقول:

١٨٤- وَهَاكَ مَا أَبْسُطُهُ في الهَمْزِ — في مُحْكَمِ النَّظْمِ العَظِيمِ العِزِّ

١٨٥- مِنْ بَعْدِ أَحْكَامِ عُلُومِ الضَّبْطِ — وَجَاهِلٍ يَكُنْ أَخِي بالخَطِّ

١٨٦- على قراءة الرضي التميمي — ذي المجد والمحترم العظيم

١٨٧- وينبغي اعتناءُ هذا البابِ — لكونِهِ أَشْكَلَ للطلابِ

---

(1) دليل الحيران: ٢٩٢.

١٨٨- وهـا أنـا صَرَفْتُ فيه هِمَّتي   مُؤَمِلاً بـه دُخُولَ جَنَّةِ

ثم شرع الشريف بعد ذلك في تفصيل هذا الباب وشرح ما جاء منه مجملاً في كتب السابقين ولعله أحس بالصعوبة الناجمة عن أن الناس كانوا يقرأون برواية ورش الذي له مذاهب في الهمز تختلف عن بقية مذاهب القراء، والشريف إنما يعلم الناس وينظم لهم برواية الدوري عن أبي عمرو. لذلك كانت المسؤولية عظيمة والجهد أعظم ولكنه فصل في هذا الباب تفصيل العالم الضليع العارف بالخطر العظيم المقبل عليه، تعينه ثقته بالله ويقينه في علمه الذي جعله يقتحم هذا البحر اللجي غير هياب. قال الدكتور العوض: "ثم نرى الشريف الهندي يتحدث عن باب يحتاج إلى معرفة دقيقة واعتناء أعظم، وهو أكثر أبواب الضبط تأصيلاً وتفريعاً. فهو يتكلم في هذا الباب بماله من تمكن ومعرفة بهذا الفن من علوم القرآن ورسوخ فيه. ويتناول الحديث من الواقع الذي يعيشه قراء السودان. فإذا كان جميع من تكلم في هذه المسائل من علماء الرسم والضبط قد تناولها بما عليه رواية ورش بحكم أن نظم الخراز (مورد الظمآن) في هذا العلم كان على هذه الرواية، فإنا نرى الشريف الهندي قد بين ما عليه ضبط الهمزات على قراءة أبي عمرو البصري الذي يقرأ بها عامة قراء السودان. وقد سهل الهندي بهذا على قراء السودان كثيراً من المسائل في علم الضبط التي كانت تحتاج إلى خبير بهذا الفن ليطبقها على رواية الدوري حتى يسهل عليهم استيعابها ومعرفتها، فالهندي بما له من تضلع ومعرفة بهذا الفن القرآني قد اقتحم لجة هذا البحر الواسع، وبذلك كان أول عالم سوداني نعرفه يبين مسائل الهمزات، وكيفية ضبطها على قراءة البصري"[1].

بدأ الشريف رحمه الله بالهمزتين المتفقتين المجتمعتين في كلمة واحدة ولكنه قبل ذلك قال:

---

[1] القراءات والرسم: ٣٠٣.

١٨٩- واعْلَمْ بأَنَّ الهمزَ ذو أحوالِ وها أنا بَيَّنْتُهُ في الحالِ

والأحوال التي يريدها هي الهمزة في الكلمة والكلمتين واختلاف ضبطها باتحاد الحركتين واختلافهما وهيئة رسم الهمزة هل هي نقطة أم غير ذلك، ولونها أهي صفراء أم حمراء لأن لكل لون ولكل هيئة دلالة وهل لها صورة أم أنها ليست لها صورة وما يطرأ عليها مع المد ونحو ذلك من الأحوال المختلفة.

أما الهمزتان المتفقتان المجتمعتان في كلمة فقال فيهما:

١٩٠- فهمزتانِ اتَّفَقا واجتَمَعَا في كلْمةٍ واحدةٍ فاسْتَمِعَا

١٩١- كنحو (ءاأَنْذَرْتَهُمْ) (ءاأَلِدُ) ولذة في ذا النظامِ توجَدُ

١٩٢- (ءاأنت) (ءاأَشْفَقْتمْ) (ءاأَمَنْتُم) ونحو هذه كما عَلِمْتُمْ

١٩٣- فضبطُ هذا النَّوعِ عند العُلَمَا هاكَ بَيَانَهُ كما قَدْ عُلِمَا

١٩٤- أن تجعلَ الهمزَ سَواءَ السّطْرِ وأَلِف كحْلاء فِيه تَجْرِي

١٩٥- وفوقَها عَلامةُ التَّسْهِيل مُنْفَرِداً بِنُقْطَةِ الدَّلِيلِ

١٩٦- بينهُما أَلِفٌ ولكنْ حُمْرَا ومِثْلُهَا في الطُّولِ يا مَنْ يَقْرَا

١٩٧- وبعْضُ أَهْلِ الضَّبْطِ يَتْرُكُونَ مَكانَها المَدَّةَ يَجْعَلُونَ

١٩٨- للجمعِ بينَ مَدَّةٍ وأَلِفِ فَلاَ تَكُونُ وَاجِداً للسَّلفِ

١٩٩- نَصّاً، ولكِنْ بعضُ مَنْ تَأَخَّرا أجازَ ذَلِك كَمَا قَدْ ذُكِرَا

وحاصل كلامه رحمه الله أن الهمزتين المتفقتين في كلمة فيهما وجهان: الأول أن تترك الهمزة الأولى على السطر وبعدها ألف حمراء ثم ألف كحلاء فوقها علامة التسهيل وهو

كذلك كما رأيته في مصاحفهم[1]. والوجه الثاني أن بعض أهل الضبط يجمعون بين المدة والألف قال وليس للسلف نص في ذلك ولكن بعض المتأخرين أجازه. وهذا بالطبع في الهمزة غير المصورة أي المحذوفة في رسم المصحف. قال ابن الجزري في هاتين الهمزتين: اختلفوا في تخفيف الثانية منهما وتحقيقها وإدخال ألف بينهما. فسهلها بين الهمز والألف ابن كثير وأبو عمرو[2].

وانتقل الشريف بعد ذلك إلى الهمزتين المختلفتين فقال:

٢٠٠- وفي اختلافِ الهمزتين الكَحْلا	يُقَدِّمُونَهَا كما قَدْ دخلا
٢٠١- وأَلِفٌ حمراءُ أي أمَامَهَا	ونُقْطَةٌ في السَّطْرِ في نِظامِها
٢٠٢- علامةُ التَّسْهِيل وَهْيَ هَمْزه	ومَعَهَا قد مَنَعُوا للحَرَكَهْ
٢٠٣- وما جَرى هُنَاك في الحَمْراءِ	يَجْرِي هُنَا عِنْدَ ذَوِي الأَدَاء
٢٠٤- وذاك في المكسور بعد الفتح	كما ارتضاه بعض أهل الفتح
٢٠٥- كنحو (أايذا) بِغَيْرِ المُزْنِ	(أاينَّا) في الأَعرَافِ قَوْلُ مُدْنِ
٢٠٦- وغيرُ الأَوَّلَيْنِ في (أاينَّا)	و(أ إِلَهٌ غيرُهُ) نَظَمْنَا
٢٠٧- (أائنكُمِ) في غيرِ أَرْبَعٍ أتى	(أ انَّك) المعْلُومُ خُذْهُ يا فَتَى
٢٠٨- وغيرُ ذَا المثالِ إن وجُدتَ	حَكَمْتَهُ عليهِ إذْ كَتَبْتَ
٢٠٩- وهذه الأمثلةُ البَدِيعهْ	مَحْذُوفةُ الصُّورَةِ يا مُطِيْعَهْ

ولخص المذهبين في الضبط والرسم الإمام الخراز في قوله:

---

(١) رأيت ذلك في مُصْحَفَيْ الوالد عليه رحمة الله وأقربهما تاريخاً مكتوب قبل خمس وسبعين سنة.

(٢) النشر ١/ ٣٦٣.

ففــــي اتفـــاق تُجْعَــــلُ المُبَيَّنَــــةْ مــــن قبلِهـــا وفوقَهـــا المُلَيَّنَــــةْ

وفي اخـــتلافٍ فوقَهـــا الصَّـــفراءُ ونقطـــــة أمامَهـــــا حمـــــــراءُ[1]

ويمتاز نظم الشريف بالتفصيل والتمثيل المستفيض حتى تستقر المسألة في أذهان الطلاب؛ فحين اكتفى الخراز مع تجويده، بقوله (مثل هذه) في بيته:

لكـــن بعـــد ألـــف ألحقتـــا حمـــراء (مثـــل هـــذه) إن أتتـــا[2]

قال الشريف في أبياته قبل:

بيـــنهما ألـــف ولكـــن حمـــرا ومثلهـــا في الطـــول يـــا مـــن يقـــرا

قال المارغني: ويعني بقوله (مثل هذه) أن الألف الحمراء تكون مساوية للألف الكحلاء في الصورة والقدر وإن كانت مخالفة لها في اللون. وهذا ما نص عليه الشريف رحمه الله في النظم مباشرة، والشريف أقدم زماناً من المارغني ولذلك ما كررنا أنه -رضي الله عنه- يميل إلى تفصيل المجمل وبسط المختصر. وحتى عند سابقيه من السودانيين فإنه امتاز عنهم بمزية التفصيل والبسط التي أشرنا إليها، يقول الدكتور العوض: "وهذا النوع -يعني الهمزات المسهلة- تحدث عنه الشيخ عبدالرحمن الأغبش من قبل حيث ذكرها فقط ولم يبين كيفية ضبطها كما ذكره الهندي هنا"[3].

---

(1) دليل الحيران: ٢٨٥.

(2) دليل الحيران: ٢٨٦.

(3) القراءات والرسم: ٣٠٤. ولم أقف على مصنف الأغبش المذكور.

والشريف في هذه الأبيات يقف عند الهمزات المسهلة المرسومة بالياء ويبين كيفية رسمها إذ ليس لها صورة في المصحف وكيفية ضبطها، فأحصى عشرة مواضع للمكسور بعد الفتح في قوله:

٢١٠- وَصَوَّرُوها في حُرُوفٍ عَشْرِ	أي كَتَبُوا بالياءِ يا مَنْ يَدْرِي
٢١١- وجعلوا النُّقْطَةَ تحتَ اليَاءِ	وَوَصَلُوا بِضِرْسِهَا يَا رَاءِ
٢١٢- وقَبْلَهَا في السَّطْرِ أَلْفٌ حَمْرَا	وَقَبْلَهَا الكَحلاءُ يا مَنْ يَقْرَا
٢١٣-وذَاكَ في (آاِنكُمْ) في أَرْبَعِ	فَأَوَّلٌ تَحْتَ العُقُودِ يُسْمَع
٢١٤- والثاني تحتَ الشُّعرا والثالث	وَرَدَ تَحتَ غَافِرٍ يَا وَارِثُ
٢١٥- وَرَابِعٌ وُجِدَ فَوْقَ الرُّوم	وَهْوَ الأَخِيرُ يا أَخَا العُلُومِ
٢١٦- (أ اينَ) في الظُّلَّةِ قُل (أ امنَّا)	في سورةِ النَّملِ كُفِيْتَ الظَّنَّا
٢١٧- وفَوْقَ صّادٍ وَهْوَ الحَرْفُ الثَّاني	(أاينْ) بياسِينَ كذا أَتَاني
٢١٨- (أايفكاً) (أايذا) بحرفِ المُزنِ	فَهَذِهِ عَشَرَةٌ في الوَزْنِ
٢١٩- وزِدْ (أَيمةً) على ذا العَدِّ	ولم نَجدْ في الذِّكْرِ غير الحدِّ
٢٢٠- ونَقْطُها كَنَقْطِها لكنَّا	بتركِ الحمراءِ وليسَ ظَنَّا

فصّل مذهب أبي عمرو في هذه المواضع وهو التسهيل قال ابن الجزري: اختلفوا في تسهيل الثانية منهما وتحقيقها وإدخال ألف بينهما فسهلها بين بين أي بين الهمزة والياء نافع وابن كثير وأبو عمرو[1]... وقد فصلها الشريف على النحو الذي سار عليه ابن الجزري ولكنه يستخدم إشارات لا تسهل على غير الحفظة وأهل الاختصاص ويسمي السور بأسماء ليست

[1] النشر: ١/ ٣٧٠.

مما هو معهود عند المعاصرين كما قدمنا وكما ترى في هذا المقطع من منظومته وهو ما سنقف عنده إن شاء الله في مبحث شخصيته العلمية من واقع منظوماته. فمن إشاراته قوله: (تحت العقود وتحت الشعراء وفوق الروم) ومن أسماء السور قوله (العقود) يريد سورة المائدة، وسورة (الظلة) يريد بها سورة الشعراء وسورة (المزن) يريد بها سورة الواقعة وأسماء كثيرة كهذه وقفت عندها وبينت سبب التسمية فيها وما يدعوهم إلى استخدامها ومن استخدمها من الأقدمين ونحو ذلك في المبحث المشار إليه.

وذكر الشريف كلمة (أئمة) في البيت (٢١٨) ولم أجد ابن الجزري ذكرها في هذا الموضع المشار إليه لكنه ذكرها في موضع آخر فهو الإمام الغاية في الإحاطة، أما الغافقي فقد ذكرها حين قسم الهمزات عند أبي عمرو إلى أحد عشر ضرباً وقال في الضرب الثالث الذي سماه الشريف في نظمه: (المكسور بعد الفتح): الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ثم مثل لها بأربع آيات ثم قال: وشبه ذلك فيحقق الأولى ويمدها ويلين الثانية شبه الياء.. وأضاف: وأما (أئمة) [١١/ التوبة] وشبه ذلك فيحقق الأولى بغير مد ويلين الثانية ياءً فيهن"[١]. وكأن الغافقي يفرق بين الموضعين؛ ويشير إلى مذهب واحد لأبي عمرو فيهما.

وعليه يكون بيت الشريف الذي قال فيه (وزد أئمة) فيه استدراك على الغافقي الذي جعل لها حكماً غير حكم الهمزات السابقات ويؤيد كلام الشريف قول الشاطبي:

وآيمة بالخُلف قد مدّ وحده وسهِّل (سما) وصفاً وفي النحو أبدلا

---

[١] رواية أبي عمرو ٧٩.

قال ابن القاصح: وقوله (وسهل سما وصفاً) أمر بتسهيل الهمزة الثانية المشار إليهم بـ (سما) وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو[1] فتكون إضافة الشريف لها هنا صحيحة. قال ابن الجزري عن (أئمة) بعد تحديد مواضعها من القرآن "وسهل الثانية الباقون وهم: نافع وأبو عمرو وابن كثير... وذهب آخرون منهم إلى أنها تجعل ياء خالصة نص على ذلك ابن شريح في كافيه وأبو العز القلانسي في إرشاده وسائر الواسطيين وبه قرأت من طريقهم"[2]. ولذلك جزم الشريف رضي الله عنه بأنه لم يجد في الذكر غير هذا الذي تحدد ويا له من ضابط متقن!!

واستمر الشريف عليه رحمة الله في حديثه عن الهمزتين المختلفتين من كلمة واحدة فجاء عند الضرب الثاني في تقسيم الغافقي وهو أن تكون الهمزة الأولى مفتوحة والثانية مضمومة، قال الشريف رحمه الله:

٢٢١-كما إذا حَصَلَ الاخْتلافُ	بالفتحِ والضَّمَّةِ لا انحرَافُ
٢٢٢-وهو مَوْضِعَانِ في القرآنِ	بالقُربِ في ذا النَّظْم يَأتيانِ
٢٢٣- (أَأُلقِيَ الذِّكرُ عليْهِ) في القَمَر	وقُل (عَلَيْهِ الذِّكْرُ) في صاد اشتهر
٢٢٤- وثالثٌ مُصَوَّرٌ بِوَاوِ	عليه نقط عندنا يا راوي
٢٢٥- وذاك للتسهيل وهو البادي	دلالة للفظه يا حادي

ينص الشريف على أنها ثلاثة مواضع في القرآن وهو كذلك عند الغافقي الذي يقول: ثلاثة لا غير[3] وابن الجزري الذي يقول: وأما الهمزة المضمومة فلم تأت إلا بعد همزة

---

(1) حرز الأماني: ١٦؛ سراج القارئ: ٨٤.

(2) النشر: ١/ ٣٧٨.

(3) رواية أبي عمرو: ٧٩.

الاستفهام وأتت في ثلاثة مواضع متفق عليها[1]. وهي التي ذكرها الشريف في قوله ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ ﴿٢٥﴾ ﴾ القمر: ٢٥ وهي الآية (٢٥) من السورة المذكورة و(قل عليه الذكر في صاد) يريد الآية (٧) منها وهي قوله تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴿٨﴾ ﴾ص: ٨ . أما الموضع الثالث فقد أشار إليه في البيت(٢٢٤) إشارة تحتاج إلى معرفة فهو قد ذكر الحرفين اللذين تكون فيهما الهمزة للاستفهام متلوّةً بأخرى مضمومة، وعَيَّن سورهما وآياتهما فلم يبق إلا موضع واحد في القرآن بهذه الصفة مما رسم واواً بعد همزة استفهام وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴿١٥﴾ آل عمران: ١٥" وهو الآية (١٥) من سورة آل عمران. وهذا من الإشارات الخفية التي تحتاج إلى معرفة بالقرآن كاملة، في زمان كانت معاجم أهله وقواميسهم هي صدورهم.

ثم ختم حديثه عن الهمزتين في كلمة واحدة ببيان رسم همزة الوصل وضبطها مع همزة الاستفهام وأشار إلى أن ذلك في القرآن في سبع كلمات فقال:

٢٢٦- وهمزةُ الوَصْلِ إذا أَبْدَلْتَا　　علامةَ المدِّ لها جَعَلْتَا

٢٢٧- وهمزةُ الاستفهامِ يرسمونا　　قُبَيْلَها في السَّطْرِ يكتُبونا

٢٢٨- وهي سبعٌ عندنا في الباب　　نظمَها بعضُ ذوي الألباب

٢٢٩- بقوله: ءَالِذْ وءالله وءالَ　　معاً و(ءالسِّحْر) به الإمامُ قَالَ

والحكم الوارد في البيت الأول هو الذي نص عليه صاحب المورد في قوله:

[1] النشر: ١/ ٣٧٤.

وهمـــز (ءالآن) إذا مـــا أبـــدلا وبابــــه مَـــطٌّ عليـــه جُعِـــلا[1]

وهنا يذكر الدكتور العوض كتاب (سلم المريد إلى علم التجويد) للشيخ حمد ود مـدلول -وللأسف لم أقف عليه- وكان قبل ذلك قد أشار إلى أن نص الشـريف عـلى هـذا الكتـاب وصاحبه من دلائل الأمانة العلمية عند الشريف، وقد صـدق. فالشريـف معـروف بالأمانـة وبالثناء على شيوخه المباشرين وغير المباشرين ممن أخذ عـنهم. وسـلّم ود مـدلول هـو أحـد مصادره كما ذكرناه في أول هذه المنظومة. قال د. العوض: ونقل الهندي هنا ما قاله الشيخ حمد ود مدلول في (السلّم) في هذا الباب إذ أورد بيتاً من السلم كما اعتمده من قبل مصدراً من مصادره، ووصف الهندي الشيخ حمد بأنه من ذوي الألباب[2].

ومن دلائل الضبط عند الشريف وإحاطته بقراءة أبي عمرو أنني راجعت مورد الظمـآن فوجدت شارحه يجعـل هـذه المواضـع سـتة قـال (الآن بموضـعي) يـونس وآلـذكرين معـاً بالأنعام، وآلله أذن لكم بيونس، وآلله خير بالنمل"[3] فهـذه سـتة أحـرف. ولم يـذكر السـابع (ءالسحر) وهو الآية ٨١ من سورة يونس وهو الذي قال عنه الشريف (قال به الإمام) ويعني به أبا عمرو بن العلاء. وكذلك فعل قبله ابن الجزري ولكنه ذكرهـا بـأُخَرَة لأنـه يجعـل هـذا الموضع قسمين[4] ولكن نص عليها الغافقي جامع روايـة أبي عمـرو وقـال (ءالسـحر بهمـزة

---

[1] دليل الحيران: ٢٨٩.

[2] القراءات والرسم: ٣٠٥.

[3] دليل الحيران: ٨٢٩.

[4] النشر: ١/ ٣٧٨.

مطولة)[1] وقال الداني: (أبو عمرو "به ءالسحر" بالمدّ على الاستفهام والباقون بغير مدّ على الخبر)[2]. فهذا الموضع مما تفرد به أبو عمرو وإلحاق الشريف له في نظمه يدلّ على يقظته وحضوره في تتبع حروف أبي عمرو وغيره. مع أنه يرجع إلى مصنفات تُعنى بشرح قراءة نافع مثل مورد الظمآن وشروحه.

وبمثل ما مضى من تفصيل وضبط يواصل الشريف حديثه فينتقل إلى الهمزتين من كلمتين فيقول:

٢٣٠- وهمزتان اختَلَفَا في الشَّكْل بيانُ كلٍّ منهما في الفَصْل

٢٣١- مفتوحةٌ وبعدها مكسورهْ أو بعدها مضمومةٌ مسطورهْ

٢٣٢- (كأولياء إن) و(كالدُّعاء) و(جاءَ أُمَّة) بلا امتراءِ

٢٣٣- في أول القسمين تحت الصُّورةِ علامةُ التَّسهيل وهْيَ نقطة

٢٣٤- والثاني في وَسَطِهَا والحَرَكَهْ تُمْنعُ في ذا الوجه يا مَنْ سَلَكه

٢٣٥- والهمزُ في السَّطر قُبَيْل الصُّورةِ نسألُه مغفرةً وجنة

٢٣٦- وإن أتاك الفتح بعد الضَّمْ أو بعد كسرة كفيت الهَمْ

٢٣٧- (نشا أصبنا) و(السما) (أو إيتنا) وغيرُه ضُمَّ عليه واتقنا

٢٣٨- فَنَقْطُه أجمعَن مع الحركةِ وذاك يا أُخَيَّ فوق الصورةِ

٢٣٩- وقِسْ عليه الهمزَ في (لأَهَبا) و(أُقِّتَتْ) بِوَسْطِهِ قد كُتِبا

٢٤٠- كما إذا انكسر بعد الضَّمِّ (يَشَا إلى صِراطه) المُهِمِّ

٢٤١- لكنَّ في ذا النوع ينزلان لأسفل الصُّورة يجريان

---

[1] رواية أبي عمرو: ١٢٣.

[2] التيسير: ١٢٣.

٢٤٢- وهـــو الموافـــق للفـــظ الجِـــلِّ   نســـــألُه مغفـــــرةً بالفَضْــــــل

٢٤٣- والهمــــزُ إن حُقِّـــقَ بالصَّـــفْراء   نَقْـــطٌ وإن سُـــهِّل بــــالحمراء

٢٤٤- وكُـــلّ مـــا ذَكَـــرْتُ في ذا البـــابِ   مُنْتَخَـــبٌ عنـــد ذوي الألبـــاب

٢٤٥- وبعـضُ أهــل الضَّــبْط يـذكرونَ   زيــــادةً فراجِعـــوا تَـــــدْرُونَ

فبدأ بالهمزة المفتوحة مع المكسورة ﴿أَوْلِيَآءَ إِنِ ﴿٢٣﴾﴾[٢٣/ التوبة] و(كالدعاء) يريد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[٨٠/ النمل، ٤٥/ الأنبياء] والمفتوحـــة مع المضمومة كما في قوله (جاءَ أُمَّة) يريد قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا ﴿٤٤﴾﴾ [٤٤/ المؤمنون] وأبان أن الأولى وهي المفتوحة مع المكسورة توضع النقطة علامة للتسهيل تحت الأولى والثانية تنقط من وسطها.

ومضى بعد ذلك في بيان الضبط في بقية الباب مع التمثيل لكل مـا يـذكره. وذكـر أن مـا نظمه هنا هو مذهب الجلة من العلماء وأن كل ما ذكره في هذا البـاب هـو المختـار عنـد ذوي الألباب من العلماء. ومع ذلك تراه يحض طلابه على البحث والتحقق والتحرير وألا يكتفـوا بما ذكر لأن بعض أهل الضبط يذكرون وجوهاً غير ما ذكر وفيها للمستزيد الزيادة فليطلبها. وهذا هو منهج الشيوخ المفيدين؛ يعطيك ما عنده ويحضك عـلى الـتماس مـا عنـد الآخـرين؛ ففوق كل ذي علم عليم، وما أحسبهم يجدون في ذلك الزمان نظيراً له لو التمسوه.

ثم عقد بعد ذلك فصلاً لصور الهمز الثلاث وهي الواو والياء والألف فقال:

٢٤٦- وصُـــوَرُ الهَمْـــزِ أتـــت ثلاثـــهْ   واوٌ ويـــــاءٌ ألـــــف وراثَـــــهْ

٢٤٧- والهَمْـــزُ إن أتـــى بِضَـــمّ أو فَـــتِحْ   يكـــونُ فَوْقَهــــا وكُـــلٌّ يَتَّضِـــحْ

٢٤٨- في الفـــتح مطلقـــاً بـــلا تفصِـــيل   في الضَّـــمِّ غـــير ألـــف جليـــل

٢٤٩- مثالــه (يبــدأ وينشــؤا كُفُــؤا ... وفئــــــة ومائــــــة وبـــــــدأ)

٢٥٠- وإن أتــى بالضــمِّ وَهْــو صُــوِّرا ... بـــــألفٍ في وَسْـــــطِهِ مُسَـــــطَّرا

٢٥١- لم يُــرَ في ذلــك مــن خــلافِ ... ويزعمـــــون أهـــــلُ الانحـــــرافِ

٢٥٢- بأنَّــه يكــونُ فــوق الصُّــوره ... وذاك محـــــــضُ جَهْلِهِـــــم ضَرُورهْ

٢٥٣- وبعضُــهم يقــول ذا عــن شــيخ ... أخذتُــــــه، ومـــــا أرى للشَّـــــيْخ

٢٥٤- نَصّــا، ويعــرض عــن الصــواب ... وأمـــــــــره آل إلى العتـــــــاب

٢٥٥- مُعْتَكِفــاً عــلى الضَّــلال البــادي ... مكتفِيـــــاً بالجهـــــل والعِنَـــــاد

٢٥٦- وربــا قــال فهــذا شــاع ... شُـــــيوعُهُ يزيـــــل الامتنـــــاعَ؟

٢٥٧- وذاك غــاوٍ ذو دليــل واهــي ... لكونـــــــه يَتَّبِـــــع الملاهـــــي

٢٥٨- وإن طلبــتَ منــه الــنَّصَّ قــالا ... العلـــــمُ واســـــعٌ كثـــــير مـــــالا

٢٥٩- نظــير هــذا يقــرأون الــرَّاءَ ... مـــن يـــونسٍ للحِجْـــرِ لا امـــتراءَ

٢٦٠- بهمــزةٍ ســاكنة ويكســرون ... الهـــاءَ في أول كـــافٍ يخـــسرون

٢٦١- بــل إنهــا مُمالــةٌ للــدوري ... واليـــاءُ مفتـــوح مُنِحْـــتَ النُّـــور

٢٦٢- والألْــفُ ناشــئٌ مــن الحــرفين ... وتركُـــــه يحـــــرُم دونَ مَـــــيْن

٢٦٣- كيــاء ياســين وهــاء طــه ... وطائهـــــا والشـــــعراء ضـــــاهى

٢٦٤- وَنَملُهــا وقَصَــصٌ وحــاء ... حـــم في الســـبع وحـــرف الـــراء

٢٦٥- في يــونسٍ ومــا يليهــا الجمــعُ ... في (حَـــيّ رَهْـــط) قصـــرُها والمَنْـــعُ

٢٦٦- وَرَدَ في إســقاطِ ألــفٍ نــاشي ... منهـــا وذاك في النُّصـــوص فَـــاشِي

٢٦٧- وَرَاءُ (رى) يُقْــرا كَــرَاءِ البُشْــرى ... وكــــ(افــترى عَــلَى) ونحـــو (ذِكْـــرَى)

٢٦٨- والهمــزُ لا يُسْــمَعُ عنــد الفُضَــلاَ ... قَطْعـــاً وإن أَشَـــاعَهُ مـــن جَهِـــلا

٢٦٩- وأَلِفُ الإلحاقِ ذو امتناع   في أول السُّورِ بالإجماع

ذكر الشريف عليه رحمة الله في هذه الأبيات أحكام الهمزة وصورها.ونبه فيها بها يكشف عن تمكن ودراية على ثلاثة مواضع يقع فيها الخطأ والوهم من أهل الضبط والأداء من غير المتمكنين في هذا الفن، وهي وضع الهمزة فوق الصورة وهو عنده جهل محض، والثاني أنهم يقرأون الراء بالفتح في أول السور الست: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر، يعني في قوله تعالى في فواتحها (الر، والمر) ويمدون بالفتح حتى تنشأ همزة ساكنة بعد الراء، وهذه الأحرف ممالة إمالة محضة في رواية الدوري عن أبي عمرو، وهو الذي عناه الشريف بقوله (وراء رى) أي الراء من (الر، والمر) تقرأ كما تقرأ الراء من كلمة (البشرى) ممالة إمالة خالصة وهو كما ذكر[1]. والحروف المقطعة في أوائل سور القرآن مجموعة في قولهم (طرق سمعك النصيحهْ) والذي يُمَدُّ منها مجموع في قولهم (نقص عسلكم) أما الذي لا يمدّ فهي المجموعة في قولهم (حي رهط) كما ذكر الشريف. والثالث أنهم يكسرون الهاء من قوله تعالى في أول سورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾مريم: ١ وتجد كل هذا مفصلاً في المبحث الأخير ضمن الأوهام والأخطاء التي نبه عليها الشريف –رحمه الله– فأغنى عن ذكره هنا.

واستمر الشريف في الأبيات التي تلي هذا في بيان ما له صور من الهمز فقال:

٢٧٠- يكونُ فوقَ الكُلِّ في السكونْ   جَزْماً ولا رَيْبَ ولا ظُنُونْ

٢٧١- كيومِنُون جيتم ويالمون   يَشَا ونأكُل ويامرون

٢٧٢- وإن أَتَى بالكسر تحت الكُلِّ   كـ(لولو) و(سُئلت) ذا الفضل

٢٧٣- (إلى) وإن خَالَطَ لامَ أَلِفِ   فحكمُهُ كَهُوَ عند السَّلَفِ

---

[1] سراج القارئ: ٢٨٤.

٢٧٤- يكـــونُ فـــوق قَرْنِـــه اليمـــينْ إن كـــان مفتوحـــاً ونِعْـــمَ الـــدِّينْ
٢٧٥- ويُجْعَـــلُ الســكونُ فـــوق الثـــاني كـــالأَرْضِ والأَنْفُـــسِ خُـــذْ بَيَـــانِي
٢٧٦- وإن أتـــى بالكَســـرِ تحتـــه جُعِـــلْ في غايـــةِ المـــذكورِ فـــافهم مَـــا بُـــذِلْ
٢٧٧- وكســـرةُ الـــلاّم مـــن اليمـــين وذاك تحـــــتَ قَعْـــــرِهِ المبـــــين
٢٧٨- كنحـــو قولـــه (لإِيْـــلاَفِ) وَمَـــا كـــان مُشَـــابِهاً عَلَيْـــه فاضْـــمُمَا
٢٧٩- والضَّـــمُّ في (لأُخْتِـــهِ) يكـــونُ في وَسْـــطِ يُمْنَـــاه أَمَـــا يَهُـــونُ
٢٨٠- وَكَسْرُـــهُ يُعْـــرفُ ممـــا سَـــلَفَا وَفَتْحُـــهُ كـــما السُّـــكون أُلِفَـــا
٢٨١- (لاَ أَنْـــتُمْ) واتَّضَـــحَ الجَمِيـــعْ وَكُـــنْ لمـــا أَقُولُـــه سَـــمِيعْ
٢٨٢- والأَلْـــفُ إن عـــانَقَ حـــرفَ الـــلاَّمِ وكـــان ذا مَـــدٍّ لهمْـــزٍ سَـــامِ
٢٨٣- فالمـــدُّ فـــوق قَرْنِـــه اليمـــين وللشِّـــمال فَتْحُـــهُ مبـــين
٢٨٤- وعَكْسُـــهُ وُهِّـــنَ عِنْـــد النَّـــاسِ فَـــلاَ تَكُـــنْ لِحُكْمِـــهِ بالنَّـــاسِي
٢٨٥- فَـــأَوَّل القَـــولينِ للخَليـــلْ والثـــاني للأخفـــشِ يـــا جليـــلْ
٢٨٦- كنحـــو (لا أُقْسِـــم) (هـــؤلاء) وغـــير ذلـــك عـــلى الوَفَـــاء

يقول إن الهمزة إذا كانت ساكنة وضعت فوق الحرف وفوقها علامة الجزم يستوي في ذلك ما جاء أولاً، أو وسطاً نحو (يؤمنون ويألمون) أو آخراً مثل (يشأ) ونحوه. أما إذا كان الهمز مكسوراً جعل تحت الكل إن وقع آخراً نحو (لؤلؤٍ) أو وسطاً نحو (سئلت) أو أولاً نحو (إلى). وإن كان مضموماً نحو (لأُخْتِهِ) جعل في وسطه. وهذا ما ذكره المارغني في شرح مورد الظمآن في بيتين للخراز فقط في قوله:

ومـــا بِشَـــكْلٍ فَوْقَـــهُ مـــا يُفْـــتَحُ مَـــعْ سَـــاكِنٍ ومـــا بِكَســـرٍ يُوضَـــحُ

مـن تحـت، والمضـموم فَوْقَـه ألـف لكنـه بِوَسَـطٍ مـن الأَلِـفْ[1]

وذكر الخراز الفتح في أول بيتيه هنا وجعل حكمه كحكم الساكن وهو ما ذكره الشريف في وسط أبياته في قوله (وفَتْحُهُ كما السكون أُلِفَا – ٢٨٠). وذكر أن وضع الهمزة المضمومة في وسط القرن اليمين في مثل (لأخته) هذا إذا صورت بالألف. أما إذا عانقت الهمزة حرف اللام وهو ممدود فالمد يكون فوق القرن اليمين وتكون الفتحة على القرن الشمال نحو (لا أقسم) قال والأول هو قول الخليل وبه يأخذ الشريف والخُطَّاط والنقاط، أما الثاني وهو قول الأخفش فقد وُهِّن عند الناس أي يرونه واهناً ضعيفاً فلا تأخذ به. والذي وَهَّنَ قول الأخفش وضعّفه هو الداني بعد أن ناقش القولين[2]. وفي هذا إشارة أيضاً إلى معرفة الشريف بأئمة اللغة والقويّ والضعيف من أقوالهم التي يبني عليها النقاط وأهل الضبط أحكامهم.

انتقل الشريف بعد ذلك إلى الهمز الذي لا صورة له والهمز الذي صور بحركة ما قبله فقال:

٢٨٧- والهَمْـزُ إن وقـع بعـد السـاكن يكـونُ في السَّـطر فَخُـذْهُ صَـاين

٢٨٨- مـا لم يكـن السـاكنُ حـرفَ الألـفِ والهمـزُ واقـعٌ بغـيرِ الطَّـرَفِ

٢٨٩- كـ(مـلءُ) (يسـألون) و(المسـيء) (دفء) و(خبء) (شيء) مع (بريء)

٢٩٠- (جاء)و(أساؤا السُّوءى(شَطْؤُهُ) ذُكِرْ و(جِايء) (سِيئَتْ) مع (هنيئاً) اُسْتُطِرْ

٢٩١- إلا حروفـاً خَرَجَـتْ مـن هـذا فصُـوِّرت بـألف يـا هـذا

٢٩٢- وَهْـيَ (تَبـوأ) مـع حـرف (السُّـؤْءَى أَنْ كَـذَّبُوا) ومثلُهـا (تَبُّـوءَا)

٢٩٣- أمـا إذا كـان السـكون ألفـا والهمـزُ وَسْـطَ كلمـةٍ فَلْتَعْرِفـا

---

[1] دليل الحيران: ٢٧٩.

[2] انظر المقنع: ١٤٥.

٢٩٤- يصـــــــوِّرونَه بــــــنفس الحركـــــــهْ	إن ضُـــمَّ بـــالواو فَخُـــذْ بِقَلْبِكَـــهْ
٢٩٥- وإن أَتَـــــى بكسرـــــــة باليـــــــاءْ	(ءآبـــــاؤُهم ءابـــــائهم) وفـــــاءْ
٢٩٦- وإن أَتَـــى بـــالفتح والضــــمُّ سَـــبَقْ	عليـــهِ صَـــوِّرَنْ بـــواوٍ أيْ بِحَـــقْ
٢٩٧- كـــ(كُفُـــؤا) (مُـــؤَجَّلاً) (يُؤَاخِـــذْ)	(سُـــؤَالنا) وكُـــنْ بقـــولي آخِـــذْ
٢٩٨- وإن أتـــى بـــالفتح بعـــد الكسرـــ	يُصَـــــوِّرُونه بيـــــاءٍ فَـــــادْرِ
٢٩٩- نحـــو (لِـــئَلاَّ) (مائـــة) و(فئـــة)	وبعـــد كســـر إن أتـــت بضـــمة
٣٠٠- نحـــــو (نُنَبِّئنـــــكَ أنبِّئُـــــك)	وبابـــه وقولـــــه (سَـــنُقْرِئُكْ)
٣٠١- إن ســبق الفــتحُ عليهــا صُــوِّرَتْ	بــــألفٍ ســــاكنة أو حُرِّكَـــــتْ
٣٠٢- كـــ(بـــدأ الخَلْـــقَ) ونحـــو (سَـــألا)	(يَشَـــأْ) (ويـــأمرون) يـــا مـــن عَقَـــلاَ
٣٠٣- وإن تكـــــن ســــاكنةً وسَـــبَقَتْ	عليهـــا ضَـــمَّةٌ بـــواوٍ رُسِـــمَتْ
٣٠٤- كـــ(يؤمنـــون تـــؤمرون تـــؤمن)	إن ســبق الكســرُ عليهــا فــافْطُنُوا
٣٠٥- يُصَـــــوِّرُونها بيـــــاءٍ نحـــــو	(جيــتم) و(شــيتم) فَاســألوه المَــأْوَى
٣٠٦- إلا بـــ(أرجئـــه) اســـقطن اليـــاء	والهمـــز في الســـطر بـــلا امـــتراء

يقول كن حافظاً وصايناً لوضع الهمز على السطر إن وقع بعد ساكن مـا لم يكـن السـاكن ألفاً والهمزة وسطاً فتصور بالواو أو الياء. أما إذا كان الساكن ألفاً ووقعت الهمزة وسطاً فإنها تصور بحركتها نحو (آباؤهم وآبائهم). واستمر في بيان أقسام الهمزة فذكر المفتوحة المضموم ما قبلها نحو (كفُؤا ومؤجلا ويؤاخذ وسؤالنا) وهي التي تصور بالواو. وإن فتحـت الهمـزة بعد كسرة صورت ياءً نحو (فئة ومئة ولئلا) وإن كانت مسبوقة بمفتوح صـورت ألفـاً نحـو (سأل وبدأ) وإن كانت ساكنة وسبقت بضم صورت بـواو نحـو (يؤمنـون وتـؤمرون) وإن سكنت وكسر ما قبلها صورت ياءً مثل (جئتم). إلا في (أرجئه) فرسمها بإسقاط الياء وتـرك

الهمزة على السطر. وهو يسير في هذا التقسيم على ما جاء عند الخراز في المورد بل وجدته يضمن بيتاً تاماً من نظم الخراز هنا وهو البيت رقم (٣٠٠) وهو قوله:

نحو نُنَبِّئُك نُنَبِّئهم أُنَبِّئُك   وبابه وقوله سنقرئك[1]

وهو يسير في هذا على المبدأ الذي ذكره في مقدمة هذه المنظومة في قوله (في البيت رقم ١٨):

وربما أدخلت نظم الغَيْر   فيه لموجب كفيت الضَّيْر

بعد هذا التفصيل الشامل لأقسام الهمز عقد الشريف رحمه الله باباً قصيراً في الصلة قال فيه:

٣٠٧- وَصِلَةَ تَتْبَعُ لَلْحَرَكَةِ   تكونُ فَوْقَ الأَلْفِ بَعْدَ فَتْحَةِ

٣٠٨- وَبَعْدَ كَسْرَةٍ تَكُونُ أَسْفَلَهْ   وَضَمَّةٍ في وَسْطِهِ لِتَعْقِلَهْ

٣٠٩- كـ(الْمُتَّقِينَ) بَعْدَهُ (الذينَ)   (في الأَرْضِ) قُلْ وَ(مِنْهُمُ الذينَ)

٣١٠- تَنَزَّلُ) إِنْ نُوِّنَ قَبْلَ الأَلِفِ   رَفْعاً وجَرّاً وانتِصَاباً فَاعْرِفِ

٣١١- كـ(قَوْماً اللهُ) و(خيرٌ اهبطُوا)   وَ(عَدْنٍ التي) لِكُلِّ اضْبطُوا

٣١٢- وعِنْدَ وَرْشِهِم لها تَفْصِيلْ   يُطْلَبُ في مَحَلِّهِ الجليلْ

٣١٣- وَهِيَ جَرَّةٌ ولكنْ حُمْرَا   كَجَرَّةِ النَّقْلِ كُفِيتَ الضُّرَّا

والصلة هي جرّة حمراء[2] تكون فوق رأس ألف الوصل أو تحته أو وسطه وهي تتبع للحركة، فالتي فوق الألف للفتح ومثل لها الشريف بـ(المتقينَ الذين) والتي تحته للكسر

---

(١) هذا البيت كاملاً للخراز. انظر: دليل الحيران: ١٧٣.

(٢) انظر المقنع للداني: ١٣٧.

كنحو (في الأرض) والتي في وسطه للضم نحو (منهمُ الذينَ) لأن المراعَى هو حركة الحرف الملفوظ به قبل ألف الوصل كما قال المارغني في شرح المورد[1]. وذكر الشريف أخيراً أن لورش في الصلة تفصيلاً يطلب في محلّه لأنه إنما يشرح مذهب الدوري. والذي فصل ذلك وأحسبه ما أراده الشريف هو أبو عمرو الداني في المقنع[2]. وأبان الناظم لون الصلة كعادته في خواتيم فصوله وقال إنها تكون جرة حمراء مثل جرة علامة النقل.

وطلباً لاستقصاء الهمز قطعاً ووصلاً وقف الشريف عند ما يبتدأ به في القراءة من ألفات الوصل إذ لا إشكال في همزة القطع. فتناولها في هذا الفصل معتمداً على أقوال الأئمة في ذلك وقد وجدته هنا يرجع إلى الأشموني تماماً كما أشار إليه في منظومة (مقدمة الأحكام) حين قال:

ثم العقيلة مع المعارف والمقصد الأشموني في المواقف

وكتاب الأشموني في الوقف والابتداء هو عمدة مصادر الشريف في هذا الباب ولكن تتبين دقة الشريف في قوله (والمقصد الأشموني) لأن منار الهدا في الوقف والابتدا للأشموني بهامشه كتابان مهمان[3] أحدهما (المقصد) لأبي زكريا الأنصاري وهو الذي رجع إليه الشريف في هذا الباب فقال باسطاً المختصر وممثلاً لما جاء عاطلاً من التمثيل:

٣١٤- وَالابْتِدَاءُ نَقْطُهُ بالأَخْضَرِ فَلَيْسَ أَصْفَرَ ولا بِأَحْمَرِ
٣١٥- مُنْفَصِلاً كَدَارَةِ المَزِيْدْ عن الأُلُوفِ فَافْهم المُفِيدْ

(١) دليل الحيران: ٢٩٣.

(٢) انظر المقنع: ١٣٨.

(٣) منار الهدى: ٨. والكتاب الآخر هو المرشد في الوقف والابتداء للحسن بن علي بن سعيد العماني.

٣١٦- إن كـــانَ الابْتِـــدَا بِهَمْـــزِ الوَصْـــلِ بالضَّـــمِّ قـــلْ أَمَامَهَـــا في النَّقْـــلِ

٣١٧- يَخْـــتَصُّ ذا بِفِعْـــلِ الأَمْـــرِ إن وُجِـــدْ ثَالِثُـــهُ بالضَّـــمِّ فـــانظُرْ واعْتَمِـــدْ

٣١٨- و(اضطُرَّ) و(اجْتَنِبْ) وقُلْ (أن اغْدُوا) كذا (ادْخُلُوا اخْرُجُوا) وأيضاً (اقْعُدُوا)

٣١٩- واشْـــتَرَطُوا في ضَـــمِّ ذا الأَصَـــالَهْ والحمـــــدُ لله بِكُـــلِّ حَالَـــــهْ

٣٢٠- إن كُســـرَ الثَّالِـــثُ أَوْ إِنْ حُصِّـــلا بـــالفَتْح كـــانَ تَحْـــتَ أَلْـــفٍ جُعِـــلاَ

٣٢١- كاسْـــتَكْبَرُوا وانطَلَقُـــوا انطِلاَقَـــا كـــاحْمَرَّ واصْـــفَرَّ ولا اختِلاقـــا

٣٢٢- وَ(اضْرِبْ) و(كاسْتَغْفِر لَهُم) في الآخِرَهْ وكـــاحْمِرارْ واصْـــفِرارٍ فَـــاخِرَهْ

٣٢٣- إن سُـــمِعَ الفِعْـــلُ بِضَـــمِّ الثالـــثِ وكـــان في الأَصْـــلِ بِكَسْرٍ لابِـــثِ

٣٢٤- يُعْتَـــبَرُ الأَصْـــلُ الـــذي يُقَـــدَّرُ وَيُطْـــرَحُ المَسْـــمُوعُ في مـــا قـــرَّرُوا

٣٢٥- يكـــون الابْتـــداء تَحْـــتَ الأَلِـــفِ لَـــدَى الـــذينَ سَـــلَفُوا والخَلَـــفِ

٣٢٦- وَهُـــوَ أَرْبَـــعٌ بِـــلاَ زِيَـــادَهْ (ابنُـــوا وإيتـــوا) فَخَـــذِ الإِفَـــادَهْ

٣٢٧- (اقْضُـوا وامْشُـوا) (أَلْ) مـع الأَسْـمَاءِ يَكُـــونُ فَوْقَهَـــا بِـــلا امْـــتِرَاءِ

٣٢٨- وَعِنْـــدَ فِعْـــلِ الالْتِقَـــاءِ كَـــانَ أَسْـــفَلَهُ عَـــنْ كُلِّهِـــمْ وَكَـــانَ

٣٢٩- فَـــأَوَّلٌ كـــالأَرْضِ والسَّـــمَاءِ والنَّـــارِ والقَـــرَارِ والهَـــوَاءِ

٣٣٠- والثّـــانِي كَ (الْتَقَيْـــتُمْ) والْتَقَتَـــا تَـــأَمَّلَنْ في مَـــا ذَكَـــرْتُ يَـــا فَتَـــى

٣٣١- يَنْـــزِلُ أيضـــاً في اثْنَتَـــيْنِ وابْنَـــةٍ واسْـــمٍ وفي اثْنَـــيْنِ فَخُـــذْهُ وَاثْبُـــتِ

٣٣٢- وامْـــرَأَةٍ وابْـــنِ (إِنْ امْـــرؤٌ هَلَكَـــا) وغَـــيْرِ ذِي بـــالقَطْعِ يـــا مَـــنْ سَـــلَكَا

٣٣٣- كَنَحْـــوِ أَحْمَـــدَ إِبْـــراهِيمَ أُجَاجـــا وَبَـــانَ ذا كَأَنَّـــــهُ سِرَاجَـــــا

بدأ عليه رحمة الله بنقط الابتداء وحدد لونه وهو الأخضر وليس الأصفر ولا الأحمر واللونان الأخيران مختصان بالهمزة وإعجامها فأهل الضبط والنقط اصطلحوا على جعل تلك العلامة نقطة كنقطة الإعجام صورة لا لوناً[1]. قال الخراز:

وَوَضْــــعُ ضَــبْطِ الابتــداء نُقْــطٌ كوضــعِ الشَّــكْلِ بالخَضْــرَاءِ

ثم قال الشريف عن هذا النقط إنه يكون منفصلاً عن الألف وهو مثل دارة المزيد التي قال عنها الداني: هي الدارة التي يجعلها أهل النقط قديماً وحديثاً على الحروف الزوائد... وهي مما جرى استعمال سلف أهل المدينة لها في مصاحفهم[2]. ثم شرع الناظم في تفصيل مواضع نقط الابتداء بناءً على أحكام اللفظ. والمعيار في ذلك النظر إلى عين الفعل (ثالث حروفه) فإن كانت مضمومة ضم أول الأمر وإن كانت مكسورة أو مفتوحة كسر أول الأمر. أما (اقضوا وامشوا) التي أشار إليها الشريف فقد ذكرها الأنصاري في المرشد[3] مبيناً أن همزة وصله إنما كسرت مع أن عينه مضمومة لأن أصله (امشيوا واقضيوا) استثقلت الضمة على الياء فحدث ما حدث من إعلال فصارت على ما ترى.

أما قوله (في اثنتين وابنة واسم واثنين) فإنه يشير إلى الأسماء المعروفة عند أهل العربية بأن همزاتها همزات وصل وهي (اسم وامرؤ وامرأة واثنان واثنتان وابن وابنم وابنة واست)[4] وما عدا ذلك من الأسماء فهمزاتها قطع ومثل لها الشريف بأحمد وإبراهيم وأجاج ونحوه.

---

(1) دليل الحيران: ٢٩٢.

(2) انظر المقنع: ١٤٢.

(3) الأشموني: ٩.

(4) انظر الأشموني: ١٠. (والمرشد بهامشه).

ووصل الشريف فصل الابتداء بفصل قصير في موانع الابتداء قال فيه:

٣٣٤- وَالابتِـــدَا مُمْتَنِـــعٌ يَـــا صَـــاحِ لَــدَى حُـــرُوفٍ ذِكْرُهَـــا إِيْضَــاحي

٣٣٥-إِنْ مَـــازَجَ الأَلِـــفُ حَـــرْفَ الـــوَاوِ في كلمـــةٍ وَاحِـــدَةٍ يَـــا نَـــاوي

٣٣٦-والفَـــاءُ والـــلامُ وحَـــرْفُ الكـــافِ والتّـــاءُ والبـــاءُ بِـــلاَ خِـــلاَفِ

٣٣٧- كــ(والـذِين) (فاسْـمَعُوا) (لارتَـاب) وكـــ(الـــذين يُومِنُـــونَ) طَـــابَ

٣٣٨-(تـــالله) والبَـــاءُ كـــ(بِالتَّـــابُوتِ) عِنْـــدَ انقَضَـــاءِ الأَجَـــلِ بـــالثُّبُوتِ

٣٣٩- نَسْـــــأَلُهُ وَصْـــــلَةً بالخَلَفـــــا فـــيما ذكَـــرْتُ فـــافْهَمنَّ الوَصْـــفَا

وواضح من كلامه أن ألف الوصل إذ سبق بأحد الحروف التي ذكرها اختفى الصوت حين النطق به وامتنع وضع علامة الابتداء. وذكر الحروف ومثل لكل منها؛ فالواو في قوله (والذين) والفاء في (فاسمعوا) واللام في (لارتاب) والكاف في (كالذين) والتاء في (تالله) والباء في (بالتابوت) وكل ذلك مما لا يوقف على ما قبله ولا يمكن الابتداء به لا خلاف في ذلك وهو وصف واضح مفهوم كما ذكر.

وفي سياق الهمز والألفات يواصل الشريف حديثه منتقلاً إلى مسألة تدل على بصره ومعرفته وإحاطته التامة برواية الدوري عن أبي عمرو فقال مخصصاً هذا الفصل لنقل الهمزة عند أبي عمرو البصري:

٣٤٠- والنَّقْـــلُ جَاءَنَـــا بِمَوضِـــعَيْنِ كَـــ(عَـــادَ الأولَى) أَوَّلٌ يَـــا عَـــيْنِ

٣٤١- وَضَـــبْطُه يأتيـــكَ في الأبيـــاتْ وحُكمُـــهُ كـــما رَوَى الأَثْبَـــاتْ

٣٤٢- أَنْ تَجْعَـــلَ التَّنْـــوِينَ ثُـــمَّ الحَرَكَـــهْ فُوَيْـــقَ أَلِـــفِ الـــدَّالِ يَـــا مَـــنْ سَـــلَكَا

٣٤٣- وَصِـــلَةٌ ونَقْـــطُ الابْتِـــداءِ عَـــلَى الـــذي يَلِيْـــهِ في الأَدَاءِ

٣٤٤- وَجَــرَّة بوَسَــطِ المُعَــانِقِ	وَشَــدَةٌ وَضَــمَّةٌ لَّلاحِــقِ
٣٤٥- وَتُمْنَــعُ الــدَّارَةُ فــوقَ الــوَاوِ	والعِــوَضُ الْحِقْنَــهُ يَــا رَاوِي
٣٤٦- تَنْوِينُــهُ مُطَّــرِدٌ لِــلأَوَّلِ	إِدْغَامُــهُ فِي الــلاَّمِ قَــدْ حَصَــلَ لِيْ
٣٤٧- وَمَوْضِــعُ الهَمْــزِ كَــذَاكَ جَــاءْ	تَعوِيْضُــهُ بِــلاَ امْــتِرَاءْ
٣٤٨- والابْتِــدَا والصِّــلَةُ يَــا مُنِــيرُ	فَــوْقَ أَلِفِهَــا أَتَــى جَــدِيْرُ
٣٤٩- والثاني (بِيْسَ الاسْمُ) ضَبْطُه أَتَـى	فكســرُهُ أَسْــفَلَ لامِ ثَبَتَــا
٣٥٠- وَهْـوَ الـذي يَظْهَـرُ يَمِـينَ الكَاتِـبْ	وبالشِّـمالِ جَـرَّةٌ يَـا ذَاهِـبْ
٣٥١- لِهَمْــزِ وَصْــلِهِ ابتــداءٌ وَصِــلَهْ	ارتَقَيَــا عَلَيْــهِ يَــا مَــنْ عَقَلَــهْ

يثبت الشريف عليه رحمة الله موضعين لأبي عمرو نقل فيهما حركة الهمزة وهما (عادلُّولى) من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠﴾ [٥٠/ النجم] +وبئس الاسم" من قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ ۝١١﴾ [٤٩/ الحجرات] ولكن الغافقي جامع قراءة أبي عمرو قال: "وليس من مذهب أبي عمرو نقل شيء من الهمزات إلى الساكن الذي قبله البتة... لا إلى لام التعريف ولا إلى كلمة أخرى"[١] ثم حين وصل إلى سورة النجم ومر بالآية وفيها (عاداً الأولى) قال "بنقل الهمزة وإدغام التنوين" والذي يدلك على سهو الغافقي وصحة ما ذكره الشريف قول أبي عمرو الداني: "نافع وأبو عمرو (عاداً الأولى) بضم اللام بحركة الهمزة وإدغام النون فيها"[٢] فاتفق مذهب أبي عمرو مع مذهب ورش في النقل هنا. وقال ابن الجزري "واتفق ورش وقالون وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب في (عاداً الأولى) في النجم

---

[١] رواية أبي عمرو ص ٧٧.

[٢] النشر: ٢٤.

على نقل حركة الهمزة المضمومة بعد اللام وإدغام التنوين قبلها فيها حالة الوصل من غير خلاف عن أحد منهم"[1]. فهذا يؤيد قول الشريف وسهو الغافقي. أما (بئس الاسم) فقال ابن الجزري أيضاً "قال الجعبري: وإذا ابتدأت (الاسم) فالتي بعد اللام على حذفها للكل والتي قبلها فقياسها الإثبات والحذف وهو الأوجه"[2]. فالنقل وارد هنا في الموضعين وبالوجهين وهو سهو من الغافقي رحمه الله ودليل على حفظ الشريف رحمه الله وإتقانه لرواية الدوري.

وانتقل الشريف بعد ذلك إلى ياءات الزوائد وهي الياءات التي زيدت في هجاء المصحف مما يخالف الرسم القياسي نحو (من نباءي المرسلين) وهي في القياس (نبأ) دون ياء. وقد ذكر الشريف مواضعها وبين أحكام رسمها وألوان ضبطها ونقطها فقال:

٣٥٢- وَهَاكَ مَا زِيْدَ مِنَ اليَاءاتْ ... وَحُكْمُهَا كَما رَوَى الثِّقَاتْ

٣٥٣- (تِلْقاءِيَ ايتَاءِيَ) كذا (مِن نَباءِي) ... وَمَا خَفَضْتَ مِنْ مُضَافٍ (مَلاءِي)

٣٥٤-(وَمِنْ وَرَاءى حجابٍ) مَعْ (ءَانَاءِي) ... قُلْ (أَفَايْنَ) والغَازِ في (لِقَاءِي)

٣٥٥-في سُورةِ الرُّومِ مَعاً حَرْفَانِ ... وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ فَخُصَّ الثَّاني

٣٥٦- فَدَارَةُ المَزِيدِ في الجميعْ ... يَكُونُ فَوقَ اليَاءِ يَا مُطِيعْ

٣٥٧- ثُمَّ بَنَا السَّماءَ قُلْ (بِأَيْيْدِ) ... تُكْتَبُ يَاءَيْنِ بِدُونِ رَدِّ

٣٥٨- لِلأُولَى جَرَّةُ السُّكُونِ العَالِيَهْ ... وَدَارَةُ المَزِيدِ فَوْقَ الثَّانِيَهْ

٣٥٩- (بِأَيّيكُمْ) في (نون) كَتْبُهُ بِيَا ... ءَيْنِ والأُولَى عَرِّيَنَّ كَيَا

---

[1] النشر: ١/ ٤١٠.

[2] النشر: ١/ ٤١٦.

٣٦٠- والشَّدُّ في الثاني لُزُوماً جاءَ	وَلاَ أَرى في ذلك امْتِرَاءَ
٣٦١- ثم (بِأَيِّيكم) إذا ما كُتِبَا	ياءَيْن وَضْعُهُ كذا قد وَجَبا
٣٦٢- لَكِنْ هُنَا نُلْحِقُ أَلْفاً حَمْرا	تَكُونُ فَوقَ عِوَضٍ يَا قُرَا
٣٦٣- والآيُ ذو كلام انظروهْ	كذا (أونبِّئ) أيضاً حَرَّرُوهْ

حصر الشريف الألفاظ التي وقعت فيها ياءات الزيادة في القرآن تماماً كما هو ثابت عند السلف وهي: (تلقاء)[١٥/ يونس]، (إيتاء)[٩٠/ النحل]، و(نبأ)[٣٤/ الأنعام]، و(وراء)[٥١/ الشورى]، و(آناء)[١٣٠/ طه]، و(أفإن)[١٤٤/ آل عمران و٣٤ الأنبياء]، و(بأييد)[٤٧/ الذاريات]، و(بأيكم)[٦/ القلم]. قال أبو عمرو الداني: "اعلم أن كُتَّاب المصاحف زادوا الياء في تسعة مواضع"[1] ثم أورد ما أورده الناظم هنا. أما قول الشريف (الغازي في لقاءي) فهو يريد أن الغازي بن قيس الأندلسي صاحب كتاب (هجاء السنة) هو الذي روى زيادة الياء في (تلقاءي) وهو ما ذكره الداني الذي أضاف: "وفي كتاب الغازي بن قيس في الروم (بلقاءي ربهم)[٦] و(لقاءي الآخرة)[١٦] بالياء في الحرفين. ورأيت في مصاحف أهل المدينة والعراق وغيرها (وملأيه وملأيهم) في جميع القرآن بالياء بعد الهمزة"[2].

قلت وخلاصة ما ذكره الشريف في أبياته عشر كلمات تصبح ثلاث عشرة بإضافة المكرر، منها تسع متفق عليها كما نص عليه الداني والباقي مختلف فيه أورد بعضه الغازي ونقله الداني، وأورد بعضه الداني نفسه مما رآه في مصاحف بعض الأمصار، وكل ذلك نصّ عليه الشريف دون أن يخل بشيء منه. ثم أضاف أن هذه المواضع كلها ترسم فوقها دارة المزيد إلا

(١) المقنع: ٤٧.

(٢) المقنع: ٤٧، ودليل الحيران: ١٨٧ وما بعدها.

واحدة تضاف إليها ألف حمراء فقط وهي كلمة (بأيكم)[1]. هذا وفي منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) علل الشريف لزيادة الياء هنا في (بأييد وبأيكم) وأنها للتفريق بينها وبين (الأيدي) جمع (يد) وسنذكره مفصلاً إن شاء الله. وهذا من شواهد دقته واستقصائه رحمه الله.

ثم انتقل الشريف رحمه الله إلى بيان الياء المتطرفة هل تكون موقوصة أم معقوصة فقال:

٣٦٤- واليَاءُ في الحَرْفِ على قِسْمَيْنِ ... بالوَقْصِ أَوْ بالعَقْصِ دُوْنَ مَيْنِ

٣٦٥- فَذَاتُ فَتْحةٍ مَعَ المُنْقَلِبَهْ ... وَضَمّةَ فالوَقْصُ فيها طَلِبَهْ

٣٦٦- أيْ مَفْتُوحاً (على والحيَّ) ... وَلاَ أَرَى فيها ذكرتُ الغَيَّ

٣٦٧- وغيرُ هَذِي رَسْمُهُا بالعَقْصِ ... في سَائِرِ القُرآنِ لا بِالوَقْصِ

٣٦٨- بِكَسْرةٍ وَصُورة زِيَادَهْ ... ومطلَقُ السُّكون للإفادَه

٣٦٩- (للحيِّ يُنْشِي) كذا (دَعانِ) ... (تِلْقَاءَيَ كَيْ ولِيَ) خُذْ بَيَاني

أبان رحمه الله أن رسم الياء المتطرفة قسمان مُعَرَّقة إلى الأمام وهو المعبر عنه بالوقص ومردودة إلى الخلف وهو المعبر عنه بالعقص. وجعل الشريف المفتوحة والمنقلبة عن أصل والمضمومة مما يرسم بالوقص مثل (عَلَى، الحيَّ) وغيرها يرسم بالعقص في بقية القرآن، والمكسورة والمصورة والزائدة يتعين فيها العقص. ثم مثّل لذلك بقريب مما ذكره الخراز[2].

بعد أن فرغ الشريف رحمه الله من زوائد الياءات انتقل إلى الحديث عن زوائد الألفات والواوات يحدد مواضعها ويبين كيفية ضبطها ونقطها. فقال عن الألفات الزائدة:

---

(1) انظر دليل الحيران: ٣٢٢.

(2) دليل الحيران: ٣٢٧.

٣٧٠- وَهَاكَ مَا زِيْدَ مِنَ الأُلُوفِ	(لا أَذْبَحَنَّهُ) (لا إلى) أُلُوفِ
٣٧١-(لا تأيسُوا) (يا يس) وقل (لا أَوضَعُوا)	(جائ) (لا أنتم) (لا أتوها) واخْشَعُوا
٣٧٢- (كمائةِ ومائتين يَبْدَؤُا)	و(الضُعَفَؤا) المَوْضِعَيْنِ (يَنْشَؤُوا)
٣٧٣- و(عَلَّمُؤا بَرآوا) السَّاري	و(العُلَمَؤا) ضَمَّهُ يَا قَارِي
٣٧٤- (جَزَؤا) في السُّبْع مَعاً (أنباؤا)	و(شُفَعَؤا) يَعْبَؤُا (البلؤا)
٣٧٥- و(تَتَفَيَّؤُا) كذا (يُنَبَّؤُا)	وَمَعَ أُولَى المؤمنين (المَلَؤُا)
٣٧٦- في النملِ مُطْلَقاً وَلَفْظُ (تَفْتَؤُا)	وفي سِوَى التَّوْبَةِ جَاءَ (نَبَؤُا)
٣٧٧- (يُنَبَّؤُا الإِنْسَانُ) ثم (يَدْرَؤُا)	و(شركؤا) موضعين (تظمؤا)
٣٧٨- وَفِي (الرِّبوْا) وفي (امْرُؤا) (بَلَؤُا)	في سورةِ الدُّخَانِ لا امْتِرَاءُ

شرع أولاً في ذكر الألفات الزائدة فبدأ بالألفات المدخلة على الرسم وليس لها وجود في الصوت أو اللفظ نحو (لا أذبحنّه) من قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢١/ النحل] و(لا إلى) يريد قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ "[١٥٨/ آل عمران] ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾[٦٨/ الصافات] ثم أخذ في إحصاء مواضع الزيادة في أكثر من ثلاثين موضعاً سوى المكرر من الألفاظ. والملاحظ أن الكلمات التي ذكرها هي من باب واحد إلا كلمة (الربوا) قال الداني: كتبوا "والربوا" بالواو والألف في جميع القرآن[1] إلا في سورة الروم ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ ﴿٣٩﴾ ﴾ الروم: [٣٩].

ثم وقف الشريف رحمه الله عند كلمة (لؤلؤ) في قوله:

٣٧٩- وَلُؤْلُواً بالرَّفْعِ أَوْ بِالجَرِّ	في كَلِمَاتٍ خَمْسَةٍ في الذِّكرِ
٣٨٠- في الحجّ والرَّحْمَنِ ثم فَاطِر	رجح الألفِ زايد يا سَاطِرْ

[1] انظر المقنع: ٨٤.

٣٨١- ورجِّحَـنَّ تَرْكَـهُ في الطُّـور والمُـزْنِ لا فَارَقـكَ السُّرُور

٣٨٢- وإنْ يَكُـنْ تَنْوِيْنُـهُ مُصَاحِبْ للنَّصْـبِ وَهْـوَ أَلِفُـهُ يَـا ذاهِـبْ

في هذه الأبيات ذكر أن كلمة (لؤلؤ) خمسة مواضع، فوجدتها في القرآن ستة مواضع ولكن هذا من علامات دقة الشريف فهذه الكلمة موضعان رفعٌ في الطور[٢٤] والرحمن [٢٢] وموضعٌ جَرٌّ في الواقعة [٢٣].وهي ثلاثة مواضعٍ نصب في الحج [٢٣] وفاطر [٣٣] والإنسان [١٩] ولكن في قراءة غير نافع وعاصم النصب موضع واحد فيكون الرفع في موضعين والجر في ثلاثة مواضع وهذا تعليل قوله:

ولؤلـؤ بـالرفع أو بـالجر في كلـمات خمسـة في الـذكر

ثم زاد أن الألف المنصوب هو ألف تنوين النصب أصلاً، وإنما الإشكال في زيادة الألف بعد الواو في غير المنصوب وهو موضع خلاف بين أهل الرسم. قال المارغني: "والعمل عندنا على عدم زيادة الألف في الذي في الطور والواقعة"[1]. وهذا ما سبقه إليه الشريف في البيت (٣٨١). وسورة الواقعة عند شارح الخراز هي سورة (المزن) في بيت الشريف وهكذا يسمونها وسأقف عند مثل هذه التسمية في المبحث الأخير إن شاء الله.

ثم عاد مرة أخرى إلى زيادة الألف بعد واو الجمع في نحو (قالوا ونالوا) ونحوها كما نكتب في الرسم الاصطلاحي. قال وزادوها أيضاً بعد واو المفرد ويعني في المعتل بالواو نحو (يبلوا واتلوا) وليس هذا من مواضع الزيادة في الرسم القياسي. ثم ذكر بعض مواضع حذفها في نحو (جاءوا) و(باءوا) وهذا كالأخير في مخالفة الرسم القياسي، إلى غير ذلك مما ذكره في أبياته التي يقول فيها:

---

(١) دليل الحيران: ١٩١.

٣٨٣- وَبَعْـدَ وَاوِ الجَمْـعِ نحـو قَـالُوا   رَأَوْا وَءَاوَوْا واشْـــتَرَوْا وَنَـــالُوْا

٣٨٤- وَبَعْـدَ وَاوِ الفَـرْدِ عِنْـدَ القُـرَّا   يَبْلُـوْا وأَدْعُـوْا اتْلُـوْا وُقِيْـتَ الضُّرَّا

٣٨٥- وَحُذِفَتْ فِي نَحْـوِ بَـاءُوْ جَاءُوْ   فَـذَوُ لَـذُو كَـذَاكَ فَـاءُوْ

٣٨٦-تَبَـوَّءُوْ عَتَـوْ عُتُـوّاً وَسَـعَوْ   فِي سَبإٍ أيضـاً ولَـوْ ومَـنْ لَـوْ

٣٨٧- أيضـاً وإن يَعْفُـوَ فِي النِّسَـاءْ   أَنْ لَـوْ وكَـالُو وَزَنُـوْ الإِنَـاءْ

ثم ختم الفصل بالواوات الزائدة المتفق عليها نحو (أولو، أولي، وأولات، وأولاء) والمختلف فيها نحو (سأوريكم) في الأعراف والأنبياء و(لأصلّبنكم) في طه والشعراء. وختم بعلامة هذا الباب كله وهي دارة المزيد التي توضع فوق كل الزوائد وذلك قوله:

٣٨٨- والـواو في (أُولِي أُولـوا أُولاَتِ)   زِيْـدَ وَفِي (أُوْلاَءِ) كَيْـفَ تَـاتِي

٣٧٩- وعن خِلافٍ (سَأُوْرِيكُمْ) زِيـدُوا   وَ(لا أُصَـلِبَنَّكُمْ) مُفِيْـدُ

٣٩٠-فَـدَارَةُ المَزِيـدِ في الجَميـعْ   تكُـونُ فَـوْقَ الكُـلِّ يَـا مُطِيـعْ

وبيته الأخير يقابله قول الخراز:

ودارة تلـزمُ ذا المَزِيَـدا   مـن فوقِـه عَلامـةً إن زِيـدَا[1]

بعد ذلك ولج الشريف إلى الباب قبل الأخير من منظومته وهو باب المد، وجعله فصولاً تحدث في أولها عن بيان المد فجعله ميماً ودالاً صغيرين يوضعان فوق الألف والياء والواو على صورة لفظه في الكتابة علامة للمدّ ويذكر أسبابه وهي الهمزة والسكون والشدّ إذا وقعت بعد حرف المدّ. ومن المد واجب وجائز أو كما قال في أبياته:

٣٩١- والمَـدُّ مِـيمٌ ثُـمَّ حَـرْفُ دَالِ   عَـلَى وِفَـاقِ لَفْظِـهِ يَـا تَـالِ

(١) دليل الحيران: ٣٢٥.

٣٩٢- يكـــونُ فـــوقَ أَلِـــفٍ وَيَـــاء وفـــوقَ حَـــرْفِ الـــوَاوِ لا امْـــتِرَاء

٣٩٣- [و] وَصْـف كُـلِّ بالسُّكون الميِّـتِ والمَـــدَّ واللّـــين بِلَفْـــظِ صَـــيِّتِ

٣٩٤- لِكَوْنِـــهِ يَنْشَـــأُ مِـــن مُجَـــانِسِ لَـــهُ كـــما اشْـــتُهر في المَـــدَارِسِ

٣٩٥- يُلَقّبُونهـــا حُـــرُوفَ المَـــدِّ بِأَنهـــا مَخْصوصَـــةٌ بِالمَـــدِّ

٣٩٦- أَسْـــبَابُهُ ثلاثـــةٌ في العَـــدِّ الهَمْـــزُ والسُّـــكونُ ثُـــمَّ الشَّـــدِّ

٣٩٧- إِذَا أَتَـتْ مـن بَعْـدِ حَـرْفِ المَـدِّ نَسْـــأَلُهُ الوُقُـــوفَ عِنْـــدَ الحَـــدِّ

٣٩٨- والهمــزُ بَعْـدَ واجـبٍ وَجَـايِزِ والشَّـــدُّ بَعْـــدَ لازمٍ يَـــا حَـــايِزِ

٣٩٩- ومثلُـــه السُّـــكونُ والجميـــع بَيَانُـــــهُ في نَظْمِـــــي المُطِيـــــع

٤٠٠- وذاكَ ظَـــنُّ عَـــاجِزٍ ذَلِيـــلْ لِرَبِّـــــهِ إِذْ فَيْضُـــــهُ جَزِيـــــلْ

وتعريف المدّ عندهم هو إطالة زمن جريان الصوت بحرف ساكن من حروف العلة المجموعة في قولهم (نوحيها). وينقسم إلى طبيعي وهو الأصلي، وهو فرعي ومتصل ومنفصل وعارض وعوض وبدل ومدّ صِلة ولازم وكلمي مخفف ومثقّل وحرفي مخفف ومثقل وستجد شيئاً من هذه الأنواع في كلام الناظم وإن كان غرضه هنا هو بيان الرسم لمواضع المدّ في القرآن. يقول الدكتور العوض عن باب المد عند الشريف: "وأتى بتفصيل دقيق في هذا الباب حيث تكلم عن حروف المد وأقسامه كما فعل من قبل الشيخ عبدالرحمن الأغبش في مؤلفه (تحفة المدات) وأتى الهندي بزيادات حيث تحدث عن ضبط حروف المد ووضع علامته فذكر أن علامة المد أخذت من كلمة (مد) بعد أن طمست ميمها وأزيل الطرف الأعلى من دالها كما هو موجود الآن في المصاحف الخطية"[1].

---

(١) القراءات والرسم: ٣١٤.

ثم شرع الشريف بعد ذلك في بيان المد الواجب في كلمة واحدة نحو (ساء وجاء والملائكة) واستطرد في التمثيل كعادته في نحو أربعة عشر بيتاً قال فيها:

٤٠١- فَوَاجِبٌ مُلاَصِقٌ لِلْهَمْزِ ... في كَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ ذُو عِزّ

٤٠٢- كنحوِ (سَاءَ جَاءَ والملائكَة) ... ونحوِ (شَاءَ سماءَ) مَعْ (أُوْلَئكَ)

٤٠٣- بَطَائنُ وسَائغٌ وَلاَئِمُ ... أَرَائِكُ وخائِفٌ وَسَائِمُ

٤٠٤- طَرَائقَ وطائفٌ وذَائِقَةْ ... وذَائِقُوا خُذِ النِّظَام الرَّائِقَه

٤٠٥-والصَّائمينَ السَّائحونَ الصَّائماتْ ... والتَّائِبُون القَائِمين بالثَّباتْ

٤٠٦- والطَّائِعِينَ الخَائِفِينَ العَارِ ... وَحَائِرٌ وقَائِمٌ يا قَاري

٤٠٧- وبائسٌ صَغَائرٌ كبائِرٌ ... طَائِرُهُم ونَائِمون طَايرُ

٤٠٨- جاءَ وفَاءُوا جَاءهم أَسَاءُوا ... مِرَاء جَزَاء غُثَاءٌ البَلاَءُ

٤٠٩- و(الضُّعَفَاءُ) (هؤُلاءِ) الثاني ... وَ(عُلَمَاءُ شُفَعاءُ) الدَّاني

٤١٠- و(العُلَمَاءُ الفائزُونَ) الحَالِ ... (جَزَاؤُهُم) (أَبناءُ) يا ابنَ خَال

٤١١- قبائِلُ سَرَائِرُ الدَّوَائِرُ ... وَرَاءَهُ وَرَاءهُم طَوَافِرُ

٤١٢- آباؤُهم آباؤُكم نِساءُ ... أَبْنَائِكم إِمَائِكُمْ هَبَاءُ

٤١٣- وجيءَ سيء سُوء تَرَاءى سَوَاء ... سِيئتْ بريء مَرِيئاً المِرَاء

٤١٤- هنيئاً افتراءٌ المُسيء ... تَبُوءُ مع قُرُوءٍ مع تَنُوءُ

٤١٥- وهاؤمُ اقْرَؤا وما يشاءُ ... وَبَاءَ بَاءُوا وبِهِ الغَنَاءُ

ثم انتقل إلى المد الجائز المنفصل بأن يكون الهمز في أول كلمة والمد في آخر التي قبلها وأشار بقوله (سبحان من بعبده قد أسرى) إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ

﴾[١/الإسراء] وبرع في تطويع النظم ليحتوي إشارات مفيدة دالة على الآيات التي بها مواضع المد الذي يريده كآية سورة الإسراء السابقة أو كالذي حاوله في الأبيات الأربعة الأخيرة ونترك ذلك لفطنة القارئ خشية الإطالة، وهو قوله:

٤١٦- وَجَائِزٌ عن هَمْزِهِ يَنْفَصِلُ   وَهْوَ في آخِرِ كَلْمٍ يَحْصُلُ

٤١٧- والهَمزُ في مَبْدَأِ كَلمٍ أُخْرَى   سُبْحَانَ من بِعَبْدِهِ قَدْ أَسْرَى

٤١٨- (قالوا أَنُؤمِنُ) و(ما أُنْزِلَ) مَعْ   (لَهُ أَصْحَابٌ) (ما أنا) انْظُرْ واسْمَعْ

٤١٩- و(هَذِهِ أَنْعَامٌ) (في أَنْفُسِكُمْ)   أَيْضا وَ(مَا أُرْسِلَ) (في أَوْلادِكُمْ)

٤٢٠- (إِنَّا أَوْحَيْنَا) (هَؤُلاءِ الأُولى)   أَيْضاً عَلَى أَبْصارِهِمْ وَقُلْ لاَ

٤٢١- أَجِدُ لاَ أُقْسِمُ في مَا أُوْحِي   وَنِصْفُهُ أو فَخُذ الوُضُوح

٤٢٢- ولا إلهَ إلاّ هُوَ في مَا   آتى أتى أَمْرُ اللهِ كُنْ عَلِيما

٤٢٣- لقومِهِ أَنْ كَذَّبُوا فيما إِنْ   يا أَيُّها ولا تكونُ مَائِنْ

ويستمر الشريف رحمه الله في باب المد ويعقد فصلاً للمد اللازم ويذكر منه الحَرفيَّ المخصوص بأوائل السور كما مثل له في نحو عشرة أبيات وردت في أثنائها إشارات إلى سور أسماؤها غير معهودة في زماننا كما قدمنا منها (البكر) وهي سورة البقرة و(الظلة) وهي سورة الشعراء. وتعبيره بتحت النمل أي سورة القصص كما سأبينه كما وعدت في المبحث الأخير. ثم شرح القسم الثاني من أنواع المد اللازم وهو الكلمي ولا يأتي في أول الكلمة وإنما هو حرف مشدّد بعد ساكن نحو (دابَّة والضالين) وأمثالها. وقد شرح كل ذلك في قوله:

٤٢٤- وَلاَزِمٌ يَجِيءُ بَعْدَهُ السُّكُون   أَو بَعْدَهُ مُشَدَّدٌ خُذِ الفُنُونْ

٤٢٥-وَهْوَ عَلَى قِسْمَيْنِ عِنْدَ القُرَّا   الأَوَّلُ الحَرفِيْ وُقِيتَ الضُّرَّا

٤٢٦-وَهُـوَ مَخْصُـوصٌ بـأَوَّلِ السُّـوَرْ وَضَـبْطُهُ (نَقَـصَ عَسَـلُكُمْ) انْحَصَرْ
٤٢٧-فـالنُّونُ (ن والقَلَـمِ) المَجِيْـدْ للمُسْـتفيدِ نَظْمُـهُ مُفِيْـد
٤٢٨-والقـافُ في أَوَّلِ (قَـافِ) وقعـا وَكُـنْ لمـا أَقُولُـهُ مُتَّبِعَـا
٤٢٩-والصَّـادُ في أَوَّلِ سُـورةِ صَـادِ وَسُـورةِ الأَعْـرَافِ قُـلْ يَـا حَـادِي
٤٣٠-والعَيْنُ مـن (شُـورَى) وأوّل (مَـرْيَم) والسِين مـن (ياسـين) خُـذْهُ وافْهَـمْ
٤٣١-والشُّـعَرَا والنَّمـل ثـم القَصَـصِ والـلاَّمُ مـن أوَّلِ (بِكْـرِ) فَـاحْرِصِ
٤٣٢-وآلِ عِمْـران والعَنْكَبُـوتْ وَمَـا يَلِيْهَـا جَانِـبِ الطَّـاغُوتِ
٤٣٣-والكـاف في أوّل (مَـرْيم) ظَهَـرْ والمِيمُ في (البِكْـرِ) و(عُمْـرانَ) بَهَـرْ
٤٣٤-وَ(ظُلَّـةٍ) وَتَحْـتَ نَمْـلِ العَنْكَبُـوتِ وَأخَواتهـا كـما لَهَـا الثُّبُـوتْ
٤٣٥- وَمُـؤْمِنٍ وَمَـا يَلِيها تـالِ أَمَـا تَـرَى انْشِـرَاحَهَا يـا تـالِ
٤٣٦-والكَلِمـيّ هُـوَ القِسْـمُ الثـاني يَجِـيءُ غَـيرَ أَوَّلٍ يَـا دَانِ
٤٣٧- كـ(دَابَّـةٍ وَطَامَّـةٍ وَكَافَّـهْ) أَيْضـاً و(لا الضَّـالِّينَ) أيضـاً (حَافَّـهْ)
٤٣٨- (مُـدْهَامَّتَانِ حـاجَّ تَـأْمُرُونِّي صَـافُّونَ حـافِّيْنَ) خُـذِ الفُنُـونِ
٤٣٩- صَـوَافَّ و(اللاَّئـيْ) وَ(مَحْيـايَ) أَتَـى إن سُـكِّنَا منـهُ كـما قَـدْ ثَبَتَـا

وأفرد بعد ذلك فصلاً قصيراً من ستة أبيات لبيان مقدار المد قال فيه:

٤٤٠- وإنْ تَسَلْ عَنْ قَدْرِ ذِي المَدَّاتِ بَيَانُـه يَأْتِيـكَ في الأَبْيَـاتِ
٤٤١- فَواجِـبُ وَجَـايِزٌ سِـيَّانِ أَلْـفٌ وَنِصْـفٌ يـا أَخَـا الإِتقَـانِ
٤٤٢- هـذا بِغَـيْرِ الأَلِـفِ الطَّبيعـي وَإن أُضِـيْفَ كَـانَ يـا مُطِيـع
٤٤٣-أَلْفَـيْن كَـامِلَين ثـم نِصْـفُ وَلازِمٌ مِقْـدَارُهُ قُـلْ أَلْـفُ
٤٤٤- وَأَلِـفٌ ثـانٍ وَعِنْـدَ النَّظَـرِ إلى الطبيـع زِيْـدَ أَلْـفٌ انْظُـرِ

٤٤٥-والقَدْرُ ذو بَحْثٍ كثيرٍ جَمّا وَهَا أَنَا ذَكَرت مَا أَهَمَّا

فذكر أن المد الواجب والجائز سيان في المقدار ثم أخذ في بيان مقادير المد ونبه طلابه كعادته إلى أن مقدار المد اختص ببحوث كثيرة جمة والناس بين مطيل فيه ومقتصد وإنما ذكر من ذلك المهم كما قال في بيته الأخير.

وكان آخر فصول باب المد هو (فصل في لون المد من حيث هو) أي حسب أنواعه وأقسامه قال فيه إن المد الواجب والجائز واللازم كله يضبط أو ينقط بالأحمر قولاً واحداً مثل بقية رموز الضبط والنقط التي تكتب بالمداد الأحمر كالتنوين والحركات ومطة المد ودارة المزيد. وهنا تظهر شكواه في هذه الأبيات من بعض أهل الجهالة الذين لا يستوثقون من علمهم وأن لهم في هذا الباب أقوالاً تخالف أقوال الأئمة الأعلام، فهم يفرقون بين ألوان الضبط وهذا ما لا يرضيه لأنه لا يسير في علمه إلا بإمام ولا يحاج إلا بنص ولا يقرأ إلا بأثر لذا ردّ عليهم رداً شافياً يبين مقدار علمه ويبرز قدر أمانته العلمية واعتداده بالمشايخ أهل الضلوع في هذا العلم لذا نقل كلامهم بنصّه بل ضمن أبياتاً ونسبها لصاحبها في الرد على أهل الجهل والفساد، يقول الشريف:

٤٤٦- فَوَاجِبٌ وَجَايِزٌ وَلازِمْ يَكُونُ بِالأَحْمَرِ قَوْلٌ لاَزِمْ

٤٤٧-وَرُبَّما فَضَّل مَنْ تَنَاءَى عن السَّدادِ إِذْ لَهُ تَرَاءَى

٤٤٨- ومَذْهبٌ هادِي إلى الضَّلالِ والجَهْل والفَسَادِ والخَبَالِ

٤٤٩- وإِنْ تَرَى مُنَازِعاً في هذا إِنْ رَدَّهُ بِالنَّصِّ نِعْمَ هَذَا

٤٥٠- وإن يَكُن يَرُدُّه مُجَّانَا فَبِئْسَ مَا صَنَعَهُ وَهَانَا

٤٥١- وإنّما ذكرْتُهُ اقتداء بِهِم ولَمْ أُحْدِثْهُ افتراء

٤٥٢- أَمَا تَرَى مُحمداً يدُلُّ كَلامُهُ عَنْ خَلَلٍ يَجِلُّ

٤٥٣- وَهْوَ الـذي نـذْكُرُهُ ذُكْـرُهُ قَرِيبَـا ذَكَـــــــرَ ذَا وغـــــــيرَه النَّجِيبَـــــــا

القراءة سُنَّة كما هو معلوم يأخذها آخر عن أول بالسند المتواتر. وكل علم تعلق بـالقرآن لا ينبغي أخذه إلا من الجلة ممن ثبتت إمامتهم. وكل رادّ على أمر مخالف لا بد له من نص إذ لا اجتهاد مع النص فالذي يفعل ذلك أنعم به وأكرم وقد ألزم غيره الحجة أما المنازعـة بالمجـان دون نصوص فبئست البضاعة عند أهل هذه الصناعة. ثم يقول الشريف إن مـا ذكـره بشـأن ضبط الممدود أخذه من الأئمة الكبار مقتدياً بهم ولم يفتر شيئاً ولم يحدث أمـراً، ثـم يشـير إلى الإمام محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز العالم القدوة الجليل الذي يدل كلامه عـلى الصـواب ويجل عن الخلل، وكلامه المشار إليه هو الذي سأذكره قريباً ليكون حجة على هؤلاء المنازعين الجهال بأحكام الضبط والرسم. أما كلام الخراز الذي أراده الشريف فهـو الأبيـات الأربعـة الأخيرة والشطر الخامس من البيت الخامس الوارد هنا التي نقلها الشريف تنصيصاً من مورد الظمآن وهي قول الخراز:

٤٥٤-وَكُـلَّ مَـا ذكَـرْتُ مِـنْ تَنْـوِينِ أَوْ حَرَكَـــــاتٍ أَوْ مِـــــنَ السُّـــــكُونِ

٤٥٥-والقَلْــب للبَــاءِ ومــا لِلْهَــاءِ مِـــنْ صِــــلَةٍ مــــن واو أَوْ مِــــنْ يَــــاءِ

٤٥٦-وَنَحْـوَ يَـدْعُ الـدَّاع والتَّشْـدِيدْ وَمَطَّـــــــــــةٌ وَدَارَةُ المَزِيــــــــــــدْ

٤٥٧- وَنَقْــطُ تَامَنَّــا وَمَــا يُشَــمُّ مَــــعَ الــــذي اخْتَلَسْــــتَهُ فَــــالحُكمُ

٤٥٨-أَنْ تَجْعَـلَ الجميـعَ بـالحمراءْ أَمَــــا تَـــــرَى لِوَهْمِــــكَ انْجَـــــلاءْ

هذه الأبيات التي ضمنها الشريف في منظومته رداً على من ذكره هي كما أوضـحت مـن منظومة الخراز الشهيرة المعروفة بمورد الظمآن والتي شرحها عدد كبير مـن الأئمـة الأعـلام كالمارغني الذي اعتمدنا عليه في كثير مما جاء في هـذا الاسـتعراض وإن تـأخر زمنـه عـن

الشريف. ولم يغير الشريف فيها حرفاً إلا الشطر الأخير من البيت الخامس الذي هو هنا كما ترى (أما ترى لوهمك انجلاء) هذا قول الشريف أما تتمته عند الخراز فهي قوله: (هذا تمام الضبط والهجاء)[1].

وأخيراً ختم الشريف عليه رحمة الله هذه السياحة العلمية الرصينة في منظومته الطويلة المفيدة المشحونة بعلوم القرآن بفصل في التاء فذكر ما جاء فيها مطلوقاً أو مربوطاً في القرآن من تاء التأنيث الساكنة والمفتوحة أو المربوطة التي يسمونها هاء. وكأنها يسير في أبياته هذي على هدى الخراز الذي جعل باب التاءات آخر أبواب منظومته في الرسم حيث قال حين فرغ من تفصيل تاءات القرآن:

هذا تمام نظم رسم الخط   وهأنا أُتْبِعُهُ بالضَّبطِ[2]

وكذلك فعل الشريف حيث جعل آخر أبواب منظومته التاءات فقال:

٤٥٩- واكْتُبْ أَخِي بالتَّاءِ تَاءِ الأَصْلِ   حَيْثُ أَتَتْ مَطْلُوقَةً لِلْفَصْلِ

٤٦٠-لِكَوْنِهَا سَاكِنَةً كَـ(قَالَتْ)   و(آمَنَت طَّائفَةٌ) وَ(فَاءَتْ)

٤٦١-أوْ كُسِرَتْ لأَجْلِ سَاكِنٍ ظَهَرْ   بُعَيْدَهَا (أُزْلِفَتِ الجَنَّةُ) قَرْ

٤٦٢-(بُرِّزَتِ الجحيمُ) قُلْ (وأُزْلِفَتْ)   (زُلْزِلَتِ الأَرْضُ) وفي (إنْ نَفَعَتْ)

٤٦٣-أَوْ سبَقَ السُّكونُ نحو الموتِ   والأُخْتِ والبِنْتِ كَذا والصَّوْتِ

٤٦٤-وذا الذي ذَكَرْتُهُ صَحِيحْ   وَمِثْلُه المُعْتَلُّ يَا فصِيحْ

٤٦٥-كالوالداتِ والبُيوتِ جَاءْ   وَقُلْ مَوَاقِيتَ بِهِ غَنَاءْ

---

[1] دليل الحيران: ٣٣٣.

[2] دليل الحيران: ٢٤١.

٤٦٦- أَمَّـــــا إذا رَسَـــــمْتَهُ بـــــواوِ	بالهـــــاءِ رَسْـــــمُهَا أَتَـــــى يـــــا رَاوي
٤٦٧- كاليَـــاءِ، كالصَّـــلَوة والزّكـــوة	مُزْجَيـــــةِ والحَيَـــــوةِ والنَّجَـــــوةِ
٤٦٨-وَحَـــرْفَيْ الغَـــدَوة مَـــعْ مِشْـــكَوةْ	وفي مَنَـــــوةَ فـــــافْهَم الأَبيـــــات
٤٦٩- وثبْتُهـــا مَـــعَ السُّـــكُونِ مُطْلَقَـــا	مُحَـــــتَّمٌ إِنْ نُوِّنَـــــتْ مُحَقَّقَـــــا
٤٧٠- تنـــوينُ نَصْـــبٍ نَحْـــوَ بَيْتـــاً مَقْتَـــا	مَوْتـــــاً ومَيْتـــــاً يـــــا أُخـــــيَّ ميِّتَـــــا
٤٧١- وإن يَكُـــنْ ذا عِلّـــةٍ مُقِيْتَـــا	كــــــذا بُيُوتـــــاً وكــــــذا تَثْبِيْتَـــــا
٤٧٢-إلاَّ هِجَا (هون بـك) ذي المعلومـة	مـــــن غـــــير عِلَّـــــةٍ أَتَـــــتْ مرســـــومة
٤٧٣- بالتـــاءِ والمِثـــالُ ذو إيضـــاحْ	وانْشـــــرَحَ الكُـــــلُّ بِـــــهِ انْشِرَاحْ
٤٧٤- بُهِـــتَ مـــن تَفَـــاوتٍ والعَنَـــتْ	كُبِـــــتَ بالتَّـــــاءِ أيضـــــاً ســـــكت

تكلم هنا عن تاء التأنيث المطلوقة أو المفتوحة أو المبسوطة في نحو (قالت وآمنت) وذكر أنها تبقى مفتوحة كذلك إذا كسرت لأجل التقاء الساكنين نحو (أزلفتِ الجنة وبرزت الجحيم) أو كانت مسبوقة بسكون نحو (الموت والصوت والأخت والبنت) أما الكلمات التي ترسم ألفها واواً في المصحف فإن كتابتها بالتاء المربوطة وهي الهاء المنقوطة في نحو (الصلوة والزكوة) ثم قال:

٤٧٥- وكُــلُّ مَــا خَــرَجَ مِمَّــا سَــلَفَا	فالتَّــاءُ للتَّأنِيْــثِ يــا مَــنْ عَرَفَــا
٤٧٦-إِثْبَاتُهـــا في مُفْـــرَدِ الأَسْـــمَاءِ	وجُلُّهـــا بالهـــاءِ لا امْـــتِراء
٤٧٧-وبعضُـــها بالتـــاء في المَرْسُـــوم	بَيَانُهـــا يَأْتِيـــكَ في المَنْظُـــوم
٤٧٨-فَــ(نْعَمَــتَ) في وَاحِــدٍ وعَشْــرَهْ	وَ(جنَّــتٌ) في مَوْضِــع مَسْــتَطَرَهْ
٤٧٩-و(فِطْــرتُ بَقيَّــت وكَلِمَــتْ)	في أربــعٍ (غَيَأبَــتٌ) وَ(بَيِّنَــتْ)
٤٨٠-(ثَمَـرَتُ) وَ(قَـرّتُ) كـذاكَ (ابْنَـتْ)	و(امْـرأتٌ) في سَـبْعةٍ كَـ(رَحْمَـتْ)
٤٨١- و(سُــنَّتٌ) في خمســةٍ واثنــين	(مَعْصِــيَتاً) (كَلَعْنَتَــاً) هَــاتَيْنِ
٤٨٢- (شَــجَرَتٌ) في مَوْضِــعٍ وَكُلَّــها	حَــوى خِلافــاً مِثْــلَ مَــا تَقَــدَّمَا
٤٨٣-بــالجمع والإِفْــرادِ عِنْــد القُــرَّا	وانْكَشَــفَ الــبَلاءُ زَالَ الضُّــرَّا

كل ما لم يدخل في حكم القسم الأول فهو تاء تأنيث والواجب كتابتها في حالة الإفراد هاءً أي تاء مربوطة لكن بعضها في مرسوم القرآن جاء مفتوحاً وهذا ما أراد تبيينه في بقية الأبيات ثم شرع في عدها وتعيين مواضعها بضبط وإتقان في نظمه كما وردت عند الداني والخراز[1]. فقد ذكر الداني مثلاً أن (رحمة وامرأة) تكتب في القرآن كله بالهاء إلا في سبعة مواضع وهو ما ذكره الشريف في عجز البيت (٤٨٠). وقال كل ما في كتاب الله من ذكر (النعمة) بالهاء إلا أحد عشر حرفاً وهو ما ذكره الشريف في البيت (٤٧٨) وهو الذي عناه الخراز بقوله:

ونعمـــــة بتـــــاء عشـــــره	وواحـــد منهـــا أخـــير البقـــره

---

[1] انظر المقنع: ٧٧، ودليل الحيران: ٢٣٤.

وهكذا يطول الأمر ولمن أراد تعقب ذلك واستقصاءه فدونه ما ذكرنا من المصادر التي اعتمد عليها الشريف عليه رحمة الله وإنما أردنا اللمحة الدالة وليس الشرح ولا التحقيق ولا الدراسة المتأنية المستقصاة.

وكان مسك الختام كعادته في كل منظوماته حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على نبيه ﷺ والدعاء وهو قوله:

٤٨٤ - قَدْ انْتَهى الْمُمْلِئُ لِلْعُلُوم مُقَرِّباً لِلْقَصْدِ والفُهُوْمْ

٤٨٥ -والحمدُ لله عَلى الكَمَالِ وَسَايِر الإِحْسَانِ والإِفْضَالِ

٤٨٦ -ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ العَالي عَلَى شَفِيعِ الخَلْقِ في الأَهْوَالِ

٤٨٧ - مُحَمَّدٍ نَخْبَةِ رُسْلِ الله لِكَوْنِهِ شَاهَدَ لِلإِلَهِ

٤٨٨ -وآلِهِ وَصَحْبِه الهُداةِ بِهِمْ رَجَوْتُ الأَمْنَ في المَمَاتِ

هذا آخر منظومة الشريف الغنية الثمينة التي كشفت عن إمام قدوة وعالم بحر وقارئ متمكن ومقرئ ضابط تنوعت فنونها بين الرسم والضبط والتجويد والقراءات وكان أكثر أبوابها عن علم الضبط مطبقاً تلك الأحكام على رواية الدوري التي يقرأ بها عامة أهل السودان تسهيلاً وإرشاداً لمن يقرأون بهذه الرواية، وبهذا كان الشريف محمد الأمين الهندي – كما يقول الدكتور العوض- أول عالم في السودان خاض في هذا المجال وقدم خدمة لقراء القرآن الكريم لم يسبقه عليها أحد من العلماء فيما نعلم وفي ذلك دلالة على تبحره ومعرفته بهذه العلوم القرآنية، ولذلك صدق عليه قولهم خاتمة المحققين وقطب القرآن الكريم في السودان كما وصفه بذلك جماعة من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه عند تعريفهم له وذكر مؤلفاته.

ولهذا فقد تبوأ الهندي مكانة علمية سامية بين قراء السودان، وصار مثلاً يضرب (به) في معرفة القرآن وفنونه في العهد الذي عاش فيه وإلى عهدنا الحاضر[1].

هذا وبهامش الأصل وبخط الكاتب نفسه وعلى نمط الشريف في النظم مع وحدة المضمون أثبت الناسخ أربعة أبيات لا أدري إن كانت هي للشريف -وهي شبيهة بنسجه- أو أنها قيلت على لسانه، ونصها:

قَـــد انْتَهَـــتْ مَنْظُومَـــةُ الصِّـــيانَهْ جَعْلتُهَــــا لإخْــــوَتِي إِعَانَــــهْ

أَبْيَاتُهَـــا فِي رَمْـــزِ (طُفْـــتُ) تَنْحَصِـــرْ مَـــنْ يَحْوِهَـــا عِلْـــمًا وفَهْـــماً يَنْتَصِـــرْ

جِئْـــتُكُمْ يَـــا إِخْـــوَتِيَ مُعْتَـــذِرا فَصَـــفُّوهَا خُـــذُوا وَخَلُّـــوا الكَـــدَرَا

وَقَـــد دَعَـــوْتُ رَبَّنَـــا الرَّحْمَنَـــا يَمْنَحُنَـــا الأَمَـــانَ والرِّضْـــوَانَا

وقوله (أبياتها في رمز [طُفْت] تنحصر) أراد أن عدد أبياتها بحساب الجمل[2] هو ٤٨٩ بيتاً؛ لأن حرف الطاء يساوي العدد تسعة في حساب الجمل وحرف الفاء يساوي ثمانين وحرف التاء يساوي أربعمائة فالمجموع أربعمائة بيت وتسعة وثمانون بيتاً.

وبهذه السياحة العلمية الماتعة في هذه الدرر الثمينة التي احتوتها هذه الأرجوزة الرصينة في هذه الرحلة الطويلة المفيدة المشحونة بالفوائد نصل إلى ختام منظومة الصيانة لختام القراء

---

(١) القراءات والرسم: ٣١٨.

(٢) حساب الجمل هو نظام في الحساب يجعلون فيه حروف (أبجد هوز) في مقابل الأعداد المعروفة من واحد إلى ألف. فحرف الألف يقابل العدد (١) والباء يقابله العدد (٢) والجيم يقابله العدد (٣) وآخرها الغين ويقابله العدد (١٠٠٠). وهكذا. انظر الموسوعة العربية العالمية – حرف الحاء (حساب الجُمَّل).

وخاتمة المحققين وقطب القرآن في سودان العهد التركي الشريف محمد الأمين الهندي رضي الله عنه وأرضاه ورحمه وتولاه ونفعنا بعلمه ونفحنا ببركاته.

ثانياً: منظومة المعارف في مشكلات الرسم والمواقف

هذه المنظومة من أكبر الأدلة على علوّ كعب الشريف محمد الأمين عليه رحمة الله ورضوانه في علم القراءات القرآنية ليس في الضبط والرسم والتجويد والأداء بل في القراءات السبع ورواياتها الأربع عشرة وفي القراء السبعة ورواتهم الأربعة عشر وغيرهم. وهي تنم عن اطلاعه وتضلعه وحفظه لكتب القراءات القرآنية الأصيلة الصحيحة المعروفة عند المشارقة والمغاربة.

وقفت على ثلاث نسخ مخطوطة لهذه المنظومة سأصفها وصف المستعرض وليس وصف التحقيق والشرح والدراسة المتأنية لأن العرض شيء والتحقيق شيء آخر. وأرجو أن يوفقني الله إلى أصول هذه المخطوطات وإلى تحقيقها وشرحها واحدة واحدة وهو العزم إن وفق الله وكانت في العمر بقية. أما النسخ الثلاث فأولاها والتي عليها اعتمادي هي مصورة نسخة الشيخ محمد التهامي الحسن الأحمدي المحفوظة بدار الوثائق المركزية والتي كتبها وملكها لنفسه الشيخ أحمد صالح فضل وفرغ من كتابتها في نهار يوم الأحد ١٨أو٢٥ ذو الحجة ١٣٤٤هـ[1].

---

(١) الشك من كاتب المخطوطة إذ أثبت التاريخين كما تلاحظ في الصورة المرفقة.

والنسخة الثانية ترجع أيضاً إلى مجموعة الشيخ محمد التهامي وتـنقص الأوراق الـثلاث الأخيرات لذا لم أقف على اسم كاتبها ومالكها وقد علمت أن نسخ التهـامي تـؤول كلهـا إلى الشيخ أحمد صالح فضل وهو أستاذ التهامي وتلميذ الشريف محمد الأمين.

هذا الكتاب المسمى بالمعارف تأليف
قمر القرءان محمد الامين
الهندي نفعنا الله به
والمسلمين ءامين

صفحة الغلاف من منظومة (المعارف في مشكلات الرسم والمواقف) للشريف محمد الأمين الهندي
نسخة الشيخ محمد التهامي (دار الوثائق)

أما النسخة الثالثة فهي مصورة نسخة الشيخ المكاوي الفكي الفضل أحمد سليمان من أهالي قرية ود نعمان ريفي الحوش. فرغ من كتابتها في ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ فهي أحدث من نسخة التهامي. ولم أجد فروقاً جوهرية بين النسخ الثلاث إلا أبياتاً قليلة سقطت من النسخة التي اعتمدتها فألحقتها من نسخة المكاوي ومنها قول الناظم:

فَقُنْبُلٌ وحمزة الاثنان   وقفهما [قد] جاء بالإسكان

وذكرته لأن لي فيه شاهداً سيأتي في موضعه.

وعدد أبيات هذه المنظومة خمسمائة وثمانية وثلاثون بيتاً في نسخة التهامي وخمسمائة وأربعة وأربعون بيتاً في نسخة المكاوي. وتقع نسخة التهامي في خمس وثلاثين صفحة مسطرتها ستة عشر سطراً ونسخة المكاوي في ثلاث وثلاثين صفحة مسطرتها ثمانية عشر سطراً.

والمخطوطة ثابتة لمؤلفها الشريف بتملك أصحابها لها وأولهم – وهو أحمد صالح فضل – من تلامذته والآخر – وهو المكاوي – ابن تلميذه، وهي من منظوماته التي مهرها باسمه في آخر أبياتها في قوله:

ابن الهندي جاء[1] بالمختار   متوسلاً به إلى الغفار

أما مضمون هذه المنظومة ومادتها فتدور حول مواضع الوقف في القرآن على مذهب القراء السبعة.

---

(1) في الأصل (جاء متوجهاً)، وهي مخلة بعروض البيت ولم ترد في البيت نفسه حين تكرر في منظومة (مقدمة الأحكام) كما سيأتي.

والوقف كما يعرفه أحد مراجع الشريف – وهو الأشموني- هو: لغة الكف عن الفعل والقول. واصطلاحاً هو قطع الصوت آخر الكلمة زمناً ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها. والوقف والقطع والسكت بمعنى... ومراتبه ثلاث: تام وحسن وقبيح في أشهر أقوالهم وهم يختلفون في ذلك كثيراً[1]. ولم يعرض الشريف لمراتبه وإنما كان هدفه الرسم والضبط وتقع المنظومة في فصول: فصل في هاء الضمير، ولام الأمر، واللام القمرية، واللام الشمسية، ولام الألف المتصل بألف الوصل، وياءات الزوائد، والوقف على التاءات، وفصل في الجمع والإفراد، والوقف على (بلى) والوقف على (كلا) والوقف على الهمزة؛ بالإضافة إلى أبواب أخرى جاءت عرضاً فجعلها غرضاً وقتلها بحثاً مثل التفخيم والترقيق على مذهب ورش عن نافع.

وبين الناظم -رحمه الله – مسائل هذه الفصول بياناً شافياً مفصلاً في ضوء مذاهب القراء السبعة يقول الدكتور علي العوض: "ويمكننا القول بأن مادة هذه المنظومة تبين لنا ما كان يتمتع به الهندي من معرفة دقيقة بالقراءات السبع ورواياتها إذ كان كثيراً ما يبين المسائل التي تضمنتها في ضوء القراءات السبع ورواياتها. كما كان يشير في كل مسألة من مسائلها إلى مذاهب القراء السبعة ورواتهم بالتفصيل الذي لم أجده يختلف (مع) ما عليه مذاهب هؤلاء القراء، وما تضمنته حرز الأماني للشاطبي بشراحها. وفي ذلك أيما دلالة على تبحر الشريف الهندي في علم القراءات والرسم، وتفرده في ذلك الوقت بمعرفة هذه العلوم مما جعل خلاويه كعبة القصاد لعلماء السودان وقراء القرآن[2]. قلتُ: بل تدل مصادر علمه المكتوبة

---

(1) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني: ٨.

(2) القراءات والرسم: ٣٢٠.

على أنه كان يعرف فوق القراءات السبع لأنه نص في منظوماته على الدّرة وهي لابن الجزري وموضوعها القراءات الثلاث المتممة للعشر وهي قراءة يعقوب الحضرمي ويزيد بن القعقاع وخلف بن هشام. ومن مصادره أيضاً النشر في القراءات العشر، وطيبة النشر في القراءات العشر وهما أيضاً لابن الجزري وسأبين ما أجمله الدكتور العوض هنا وأمثل له ليقف القارئ على هذه المعرفة الدقيقة.

فبعد البسملة والصلاة على الرسول ﷺ استهل الشريف هذه المنظومة بما يُستهل به كل أمر ذي بال وهو حمد الله والثناء عليه وهو دأبه في كل منظوماته، فقال:

الحمد لله العظيم المنعم ... ومرسل الرسل بأعلى همم

لتبليغ الدعوة والإرشاد ... وتهيئة الطريق للسداد

ومضى في ذلك ممجداً الله سبحانه وتعالى ومصلياً على رسوله ﷺ داعياً أحبابه وتلاميذه إلى ما أوصى به نفسه في نحو أحد عشر بيتاً. ثم عرّج على الدوافع التي حدت به إلى تأليف هذه المنظومة مسمياً لها، ذاكراً بعض مزاياها خاطباً لها النابهين من الطلاب مثلما قال الشاطبي عن حرز الأماني:

ولكنها تبغي من الناس كفؤها ... أخا ثقة يعفو ويغضي تجملا

وهو الأسلوب الذي سار عليه في جميع منظوماته التي وقفت عليها فقال:

وبعد فاعلم أن في الكتاب ... مواضعاً[1] تخفى على الطلاب

جمعتها سميتها المعارف ... في مشكلات الرسم والمواقف

بارزة لطيفة المعاني ... حاوية مقاصد الإنسان

مشحونة بصعايب القرآن ... طافية للهب الظمآن

مفتقرة إلى نجيب واضع ... ممارس وللرسوم بارع

---

(1) حقها المنع من الصرف وصرفها جائز في النظم.

يبرزهـــــا في حـــــارة الميـــــدان   مشـــــحونة بـــــدرر المعـــــاني

إلى أن يقول:

وضـــعتها لقاصـــد المعـــارف   صـيانة مـن السـقط في المواقـف

يعني أنه وضعها لطالب المعرفة ليصونه من الخطأ في مواضع الوقف في القرآن الكـريم. وهو تأليف قصد به المتقدمين في علوم القراءات والضبط والرسم. وقد أبان في منظومته هذه مشكلات هذا الفن فأنشأها لطيفة المباني غنية المعاني مشحونة بمواضع الوقف التي تحتاج إلى خبير بصير بارع يستفيد مما حوته ويخرجها للطلاب ويجلي فوائدها لهم في ميدان هـذا العلـم. ثم يشير بعد ذلك بإجمال إلى المصادر التي اعتمـدها في تـأليف هـذه المنظومـة والمـوارد التـي استقى منها أحكامها فيقول:

وجمعهـــا الأصـــليّ للصـــحابة   قـــد جاءنـــا في الوقـــف والكتابـــة

جميعهـــا يأتيـــك في الأبيـــات   محـــــرر بســـــند الـــــرواة

بيانهـــا أتـــى عـــن كـــل عـــارف   مختلفـــة الأحـــوال في المواقـــف

وكـــل مـــا ذكرتـــه يـــا صـــاح   مؤيـــداً بالأخـــذ عـــن الشـــراح

مقـــرراً بالنقـــل عـــن الأعـــلام   روايـــة رســـماً وفي الكـــلام

إذن رجع الشريف إلى أصول هذا العلم منذ جمعه الأول أيام الصحابة بنـاء عـلى أقـوال الرواة.وصحة السند شرط من شروط صحة القراءة وركن من أركانها وقد أخذ كل ذلك من شرّاح هذا العلم الذين أخذوا هذه الأحكام بالنقل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم المنعم ... ومرسل الرسل على هممهم

لتبلغ الدعوة والإرشاد ... وهيئة الطرق للسداد

يعز من يشاء في العباد ... ويبرز القائمين بالعناد

الباري الصانع الحكيم ... سبحانه مقتدر عظيم

فكن حامدا له مع الأنفاس ... مصليا على الرسول بالإخلاص

معتصما بحكم التنزيل ... محتسبا بالصمد الجليل

ذاهبا مع قليل العباد الشاكر ... فإنما أتاه [illegible] ذاكرا

وسلم الأمور للديان ... الملك المهيمن الرحمن

وهو الذي أنزل القرآن الأعظم ... على الإمام الهاشمي الهادي

عليه أفضل الصلاة والسلام ... بعد علم الملك العلام

وبعد فاعلم أن هذه الكتاب ... هوا صنعا خفيا على الطلاب

جمعتها سميتها المعارف ... في مشكلات الرسم والمواقف

بارزة لطيفة المعاني ... حاوية لمقاصد الإنسان

مشحونة بصعاب القرآن ... كافية للهوى الظمآن

مقنعة للنجيب والمنح ... محارس للموسوم بارع

بنزها

الصفحة الأولى من منظومة (المعارف في مشكلات الرسم والمواقف)

للشريف محمد الأمين الهندي - نسخة الشيخ المكاوي الفكي الفضل

هذا ويتكرر ذكر السند في هذه المنظومة وغيرها لأن القراءة سنة يأخذها آخر عن أول والسند المتواتر عن الرسول ﷺ هو أول شروط صحة القراءة وشرطاها الآخران هما موافقة الرسم العثماني وموافقة وجه من وجوه العربية ولو كان بعيداً كما قدمناه. وهذا ما يدفع الناظم وأمثاله إلى تحري السند والرواية وأخذ ذلك عن صحاح الكتب وشيوخ النقل وأثبات العلماء.

يقول الدكتور العوض: وإذا كان الشريف الهندي قد ذكر في مؤلفاته الأخرى المصادر التي أخذ منها مادة رسالته، فإننا نجده في هذا المؤلف لا يشير إلى أي مصدر اعتمد عليه في كتابته له لكن الواضح من الاطلاع على هذه المنظومة أنه رجع في كتابته لها إلى أمهات كتب القراءات والرسم خاصة المصادر التي اشتملت على الحديث عن القراءات السبع مثل حرز الأماني للشاطبي بشروحها المتعددة[1].

أقول: ليس الأمر كما ذكر الباحث الكريم وإنما الأمر هنا يتعلق بالقراءات السبع وقد ذكر الشريف كل وجه منسوباً إلى صاحبه من القراء السبعة ورواتهم الأربعة عشر. وحروف السبعة أشهر من أن تنسب إلى مصنف بعينه ومع ذلك ذكر الشريف أهم مصادر منظومته هذه إجمالاً في الأبيات الخمسة المتقدمة وتفصيلاً –وإن جاء ذكرها متأخراً– في آخر المائة الرابعة من أبياتها حيث يقول:

تفخِيمُها لكل قارئ معروف　　في حالَتَيْ الوصل والوقوف

ثم الترقيق جاء للمِصْريِّ　　مقرراً بالسَّنَدِ المَرْضِي

[1] القراءات والرسم: ٣٢٠.

والخُلْفُ في (فِرْقٍ) بلا بهتان — لكسر تقرر في الحرفان[1]

تفخيمها جاء عن الأعيان — تبعاً للتيسير والعنوان

ثم عثمان مع الرعيني — [قد] أثبتا التحرير في الوجهين

والتفخيم جاء في القياس — مقرراً بسند الأكياس

والجمهور من ساير المغاربة — ذهبوا إلى الترقيق قاطبة

والعمل على التفخيم جار — واشتهر في سائر الأقطار

ألا تراه يتحدث عن أمر مشهور في كل الأقطار وعند المغاربة قاطبة دون تعيين ولا يحتاج إلى مصدر محدد لإجماعهم على ما ذكر. ومع ذلك ذكر الشريف الحرف منسوباً لصاحبه وهو مذهب ترقيق الراء للمصري الذي رواه عنه الرواة بالسند المرضي. والمصريّ هو أبو سعيد عثمان بن سعيد القرشي المعروف بورش أحد راوِيي قراءة نافع ابن أبي نعيم المدني، وراويه الآخر هو قالون، أبو موسى عيسى بن مينا. ثم ألا تراه ذكر كتابين مشهورين ومرجعين أصيلين لكل مادة هذه المنظومة بل لكل المشتغلين بالقراءات، وهما كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (المتوفى سنة ٤٤٤هـ) صاحب أعلى إسناد في القراءات السبع وكتابه هذا بل كتبه كلها هي أشهر كتب القراءات السبع بلا جدال. وعثمان المذكور هنا هو الداني صاحب التيسير، أما الرعيني هنا فهو الإمام الحجة أبو القاسم بن فيره الشاطبي الأندلسي الرعيني الضرير (المتوفى سنة ٥٩٠هـ) صاحب اللامية المشهورة بالشاطبية والمسماة بحرز الأماني ووجه التهاني وهي التي نظم فيها كتاب التيسير المذكور هنا. وهذان أشهر مصادر القراءات والناس كلهم عالة عليهما.

---

(١) سأقف في المبحث الأخير على ما وقع في نظم الشريف من تسامح قليل وضرائر في اللغة والنحو ألجأه إليها النظم ومن مزاحفة في أعاريضه جائزة عند العلماء وتحتاج إلى بصر بقراءة الشعر.

أما العنوان فهو للسرقسطي أبي طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي. وهو من المغاربة الذين أشار إليهم الشريف في بقية الأبيات. وكتابه في القراءات السبع مشهور.

إضافة إلى كل ذلك كان الشريف -رحمه الله- قد أجمل عدداً من المصادر التي اعتمد عليها في تآليفه في منظومته (مقدمة الأحكام) وهي أطول منظوماته وأحسبها أولها تأليفاً وسيأتي الحديث عنها وعن مصادر علمه مفصلة في المبحث الأخير.

وشرع الشريف بعد ذلك في فصول المنظومة على ما وضعه فبدأ بفصل في هاء الضمير وهي المعروفة في كتب القراءة القديمة بهاء الكناية وهي في اصطلاح القراء: الهاء الزائدة الدالة على الواحد المذكر الغائب وتسمى هاء الضمير... ولها أربعة أحوال: الأول أن تقع بعد متحرك وقبل ساكن نحو (لَهُ المُلك) والثاني: أن تقع بين ساكنين نحو (مَنْه اسْمه) والثالث أن تقع بين متحركين نحو (لَهُ قَانتون) والرابع أن تقع بعد ساكن وقبل متحرك نحو (فيْه هُدى). ومع أن الحديث جاء عنها مختصراً في كتب القراءات كالسبعة لابن مجاهد والتيسير للداني وتحبير التيسير لابن الجزري إلا أن الشريف فصل مواضعها في نحو واحد وثلاثين بيتاً من منظومته وليس في اثنين وستين بيتاً كما ذكره الدكتور العوض[1] إذ نصف ما ذكره كان تقديماً وليس حديثاً عن هاء الكناية. وعبارة الداني في التيسير في هاء الكناية نقلها بنصها ابن الجزري في تحبير التيسير وهما يعتمدان في ذلك على ابن مجاهد أول من سبع السبعة وصاحب الكتاب الأول في القراءات المعروف بكتاب (السبعة في القراءات)[2].

---

(1) القراءات والرسم: ٣٢٢.

(2) انظر: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٣٠؛ التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٢٩، وتحبير التيسير لابن الجزري ص ٥٠.

يقول الشريف في منظومته:

فهـاك هـاء أتـت للضـميرْ | بـارزةً منشـورةً بـالتحريرْ
فـإن سكنت أو مـا قبلهـا في التصريف | أو سبقت موصـولة بـالتعريف
مثالهـا الصـريح في الكتـاب | كقولـه (منـه) (المسـيح) بـلا ارتيـاب[1]
ونحو (فاقتـده) وثـم (يتقـه) بالحسـاب | أضـف لهـا النظـائر في كـل بـاب
فالصـلة في هـذا لا تكـون | حيـث جـاء الوصـل والسـكون
والهـاء إن سـكنت يـا فقـير | للسـكت كانـت أو للضـمير
وهكـذا في الأسـماء والأفعـال | تحريرهـا بـدا في كـل حـال
ونحـو قولـه الحـق (عليـه الله) | وحيـث أتـت النظـائر والأشـباه

كل القراء يصلون الهاء المكسورة بياء والمضمومة بواو إذا تحرك ما قبلها ويمنعون الصلة في ما سوى ذلك على اختلاف بينهم في ذلك فصله الشاطبي في اللامية المشهورة ويمكن مراجعة شروحها[2].

يقول الإمام الشاطبي:

ولم يصلوا (هـا) مُضْـمَرٍ بعـد سَـاكنٍ | ومـا قبلـه التحريـك للكـل وُصِّـلا[3]

وقول الشريف (كقوله منه المسيح) إشارة إلى الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ﴾ ٤٥آل عمران]. وهي الحالة الثانية من حالات هاء الصلة.

---

(١) يريد بعض الآية (منه اسمه المسيح) بلا ارتياب، وسيأتي الحديث عنها.

(٢) انظر مثلاً الوافي في شرح الشاطبية، ص ٦٧.

(٣) حرز الأماني: ١٣.

أما قوله (ونحو فاقتده ويتقه) فالأولى من قوله تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴿٩٠﴾ ﴾[٩٠/ الأنعام] ويتقه من قوله تعالى: ﴿ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ ﴿٥٢﴾ ﴾[٥٢/ النور] فالحكم فيهما بإسكان الهاء وهي الحالة الثالثة لوقوعها بين متحركين، من غير صلة. وللرواة في ذلك بعض الاختلاف تجده في شروح الشاطبية، غير أن وقوف الشريف على هذه المواضع الخلافية يدل على أنه يعلم جيداً وجوه الخلاف التي رويت عن القراء والرواة فيها. ولو رجعت إلى كتب القراءات لوجدت الأمر في (اقتده ويتقه) اختص بوقفات مطولة منهم[1].

وأما قوله (عليهُ الله) فهو يريد قول الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ ﴿١٠﴾ ﴾[١٠/ الفتح] وهو الحرف الثاني مع (أنسانيهُ) الذي ضم فيه حفص عن عاصم هاء الضمير على أصل حركة الهاء وقرأها باقي السبعة بالكسر (عليهِ الله) بلا صلة لوقوعها بين ساكنين.

ويستمر في توضيح ما أراد إلى أن يختم الحديث عن هاء الضمير بقوله:

والصِّلَةُ تكونُ يا منيْر ... في الهاء المجلوبةِ للضَّمير

إذا أتت بين محركين كن خبيرا ... كنحو (ربّهُ كَانَ بهِ بَصِيرا)

لأنها تجرَّدَتْ يا حَنِيف ... من علامة السكون والتعريف

فإنها بالصِّلةِ الحمراءِ ... في الضَّمِّ والكَسْرِ بلا خَفَاءِ

يقول: إذا وقعت هاء الضمير بين متحركين مثل (ربه كان به بصيرا) يريد قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ ﴾[١٥/ الانشقاق] فههنا يتفق القراء على وصلها بواو صغيرة إن كان ما قبلها مضموماً مثل (ربهُ كَان) ووصلها بياء صغيرة إن كان ما قبلها مكسوراً نحو (بهِ بَصيرا) لأنها تجردت من السكون عليها وبعدها وقبلها وترسم واواً في الأولى وياءً في

---

[1] انظر إعراب القراءات السبع لابن خالويه (رسالة دكتوراه غير منشورة. إبراهيم القرشي) الورقة ٢١٨.

الثانية كما في مصاحفنا المطبوعة وترسم بالقلم الأحمر كما في مصاحفهم الخطِّية القديمة. وهذا باب يطول الوقوف عنده ونحن في مقام استعراض.

وينتقل الشريف بعد ذلك إلى الحديث عن الضبط والرسم والأداء في لام الأمر ويسوق أمثلة لها في قوله:

فهـــاك لام الأمـــر يـــا مريـــدي	معروفـــة في الخـــط بـــلا ترديـــد
تأتيـــك بعـــد الـــواو والفـــاء	ســــــاكنة في جملـــــــة الأداء
وياؤُهـــا تكـــون بعـــد الـــلام	محذوفـــة الألـــف بـــلا إيهـــام
نحـــو (فَلْيَـــأْتِ) (ولْـــتَكُن) أتـــتْ	معروفـــة في الخـــط حيـــث وَرَدَتْ
وكـــــذا (فَلْـــــتَقُمْ) بالتـــــاء	و(لْتَـــــأْت) مثلهـــــا يـــــا راءِ
(ولَتَنْظُـــــر) (ولْـــتَكُنْ) باختبـــار	محذوفـــة الألـــف لكـــل قـــاري

والذي في نسخة المكاوي في البيت الأول هنا (يا حاوي) مكان (يا مريدي) و(يا راوي) مكان (بلا ترديد). والحديث هنا عن لام الأمر وهي مكسورة في الأصل نحو قولنا (لِتَتَّقِ الله) إذا ابتدأنا بها، أما إذا سبقها الواو أو الفاء فهي تسكن عند كل القراء كما قال (في جملة الأداء) ومَثَّل لها بالأفعال (فليأتِ ولتكن فلتقم ولتنظر)[1] ومعلوم أن لام الأمر لا ألف قبلها وإنما أراد أنها تسكن إذا جاءت بعد الواو والفاء. وأن هنالك لامات تسبقها ألفات منها اللام الأصلية في الماضي الخماسي المزيد بالتاء فهذه إذا سبقتها الواو أو الفاء أو لم يسبقها شيء بقيت في الرسم وهذا توجيه قوله:

ســـوى أحـــرف أتـــت بالتـــاء	مرســـــومة بـــــألف الهجـــــاء

[1] فليأت ٣٨/ الطور، ولتكن ١٠٤/ آل عمران، فلتقم ١٠٢/ النساء، ولتنظر ١٨/ الحشر.

وهـــي (فالْتَقَطَــهُ فَالْتَقَمَــهُ) أتـــاك (والْتَفَّـــتِ السَّـــاقُ) قـــل بـــذاك
وكــذا (الْتَقَــى) و(الْتَقَتَــا) يــا طالــب ثــم (الْتَقَيْــتُم) في ســائر المكاتــب
و(فَالْتمسُـــوا) في هـــذا المثــــال مرســـومة بـــألف لكـــل تـــال

والملاحظ أن الكلمات التي مثل لها هي أفعال خماسية مزيدة بالألف والتاء وهي (التقط وأصلها لقط) و(التقم وأصلها لقم) و(التفَّتْ وأصلها لفف) و(التقى والتقتا والتقيتم ثلاثتها أصلها لقي) و(التمس وأصلها لمس)[1] أراد الشريف أن هذه الأفعال المزيدة بالتاء والتي ابتدئت بألف الوصل ألفها ثابت في الرسم وإن حذفت في اللفظ. ولعل الدكتور العوض[2] فهم شيئاً غير ما أراده الناظم فقال: (وتكلم عن لام الأمر وذكر سكونه وذلك إذا أتى بعد الواو والفاء ومثل لكل نوع) وهذا صحيح في الأبيات الستة التي من أول حديث الناظم عن لام الأمر ولكنه وَهِم –وفقه الله– في الأبيات الأربعة التي تليها فقال "كما تحدث عن لام الأمر الساكن التي تثبت الألف قبلها رسماً مثل (فالتقطه، فالتقمه)" قلت: وليس لهذين الفعلين صلة بالأمر البتة وإنما هما فعلان ماضيان خماسيان مزيدان بالألف والتاء سبقتهما الفاء وهما باقيان في الرسم وإن سقطا في اللفظ وهذا ما أراده الناظم. والله أعلم.

وتحدث الشريف بعد ذلك في نحو ثمانية أبيات عن اللام القمرية وأن ألفاتها ثابتة في الرسم وأن لامها ساكنة أبداً ولخص الحروف القمرية في قوله:

منحصـــرة في أحــــرف ســــليمهْ وهــي (أبْــغِ حَجَّــكَ وَخَــفْ عَقِيْمَــهْ)

---

(1) فالتقطه ٨/ القصص، فالتقمه١٤٢/ الصافات، والتفت الساق٢٨/ القيامة، التقى١٥٥/ آل عِمران، التقتا١٣/ آل عِمران، التقيتم٤٤/ الأنفال، فالتمسوا ١٣/ الحديد.

(2) القراءات والرسم: ٣٢٢

وهي المحصورة بين القوسين وهي العبارة الشائعة لاختصار الحروف القمرية عند علماء الرسم والتجويد.

ثم انتقل إلى اللام الشمسية في تسعة أبيات وبين أحوالها وأنها تدغم في الحرف الذي يليها وجمع حروفها الأربعة عشر في قوله:

وهي (ضظز نستطل) يا قاري	(شذث صدر) بلا إنكار

وهي المحصورة أيضاً بين الأقواس. وقد جمعها غير الشريف في أوائل كلمات البيت التالي:

طِبْ ثم صِلْ رحماً تَفُزْ، ضِفْ ذا نعم	دَعْ سوء ظَنّ، زُرْ شريفاً للكرم

وانتقل بعد ذلك إلى الألف مطلقاً وجعله قسمين المتصل باللام يريد (ال) التعريف، وهو الذي تقدم في الشمسية والقمرية. ثم شرع في بيان مواضع الألف المنفرد وأحواله يريد ألف الوصل الذي يكون في الأفعال كالخماسي والسداسي في أمره ومصدره فيقول:

فإن وقع منفرداً مع الأحوال	فحكمه يأتيك في المثال
وانظر لما بعد السكون الوافي	إن كنتَ ذا لُبٍّ وَفَهْمٍ شاف
والحركة المعتبرة في الحروف	بيانها في الثالث المعروف
فاجعل... أول الحساب	بالألف الموصول بلا ارتياب
فإن كان بعد سكون الألفْ	ضمٌّ لازمٌ كن مُعْتَرِفْ
ابتداؤه في وسط الألف بلا إيهام	متصلا يكون من أمام
كنحو (اجْتُثَّتْ) (برحمةٍادخُلوا)	و(أَنِ اغْدُوا) مثلها كذاك نقلوا
وهكذا (احْشرُوا) مع (اعبُدُوا)	ابتداؤها في وسط الألف مُقَيَّدُ

ثم (اتُّبِعُوا) بضم التاءْ و(ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) جاء لا خفاءْ

جميعها يأتيك بالتصحيح في الضم اللازم الصريح

والضم إن تغير بالإعراب ابتداؤه تحت الألف بلا ارتياب

كنحو (الملك ايتوا)(قالُوا ابنو)يا تال كذاك (اتقوا) ثم (ايتوا) بكل حال

و(إن امشوا) ثم (اقضوا) يا راء وضف لها (امرُؤ) بضم الراء

والأصل في كل هذا أنك إذا أردت ضبط همزة الوصل من أول الأمر من الثلاثي نظرت إلى عينه (ثالث المضارع منه) فإن كان مضموماً ضممت همزة الوصل من أمره في الابتداء نحو (دخل- يدخُل - أُدخل) (غدا - يغدُو- أُغدُ) (ركض - يركُض - أُركضْ) (حشر- يحشر- أُحشر) أما إذا كان ثالث المضارع مكسوراً أو مفتوحاً فإنك تكسر أول الأمر لا محالة نحو (ذهب - يذهَب - اِذهب) (نزل – ينزِل – اِنزل). ومع ذلك فإن للقراء في مثل هذا أحوالاً يطول تتبعها، وكذلك في الأسماء المعروفة عند العرب نحو اسم وابن وابنة واثنان واثنتان وامرؤ وامرأة. ولخص وضع الألف في الأسماء بقوله:

والألف المنفرد مع الأسماء ابتداؤه تحت الألف بلا خفاء

(كإحدى ابنتي) و(ابنت عمران) والاسم مع الابن حيث بان

وامرئ مع امرأة يأتيان وهكذا (امرأتين تذودان)

واثنين مع اثنتين من ذي الحروف ابتداؤهما تحت الألف معروف

يريد أن هذه الألفات المنفردة يكون فقط الابتداء فيها تحت الألف.

وقلت إن الشريف شحن هذه المنظومة بذكر القراء السبعة واختلافاتهم ينص على القارئ والراوي وموضع الخلاف ثم يورد آراء العلماء وما احتوته بطون الكتب الخاصة بهذا العلم في المسألة الواحدة.

وقد يذكرهم إجمالاً حين يعزو إليهم شيئاً أو يجدهم متفقين في حرف، أو يذكرهم تفصيلاً في مواضع الخلاف؛ ففي حديثه في هذه المنظومة عن لام الألف المتصل بهمزة الوصل قال:

والعمل الجاري عن الثقات في تركها من مطلق اللامات

وقيل بالصلة يا نجيبي لكل أشياخ عدا التجيبي

ثم يمضي قليلاً فينصُّ على الخلاف عند السبعة فيقول:

صلته جاءت بلا خلاف للسبعة الأعلام قل يا وافي

فبعضهم بوسط الألف مذكوره وبعضهم بأسفله مجروره

إلى أن يبين طريقة رسم الكلمة في المصحف ولون الحبر الذي تكتب به كعادته في تحرير المسألة فيقول:

علامته في ساير الرُّسوم بالأخضر المُدَوَّرِ المعلوم

ثم انتقل إلى تفصيل مواقف القراء من ياءات الزوائد، وهي الياءات المتطرفة الزائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية أي أنها لم تثبت في رسوم المصاحف العثمانية ولكن القراء لهم وجوه في حذفها وإثباتها. وهي عندهم اثنتان وستون ياءً عند الشاطبي في قوله: (وجملتها

ستون واثنان فاعقلا)[1] وعند الداني إحدى وستون في قوله "واعلم أن جملة المختلف فيه من ذلك إحدى وستون ياءً لا غير"[2]. يقول الشريف:

وهاك ما جاء من الزوائد	بيانها يأتيك في القصائد
فبعضها بالثَّبْت في الوقوف	وبعضها بعكسه معروفْ
كنحو (الداع) (اتقون) مَعْ (دَعَانِ)	و(الجَوَابِ) و(المُنَادِ) في البيان
ثُبُوتها في الحالين نَصٌّ وافِ	معزوّ للمكي بلا خلاف
وتثبت في الوصل للكسائيْ	وحمزة ونافع مع البصريْ
وَقْفُهُمُ بالسند الموافي	طريقهم الحذف في القوافي
إثباتها في الوقف للباقين	ووصلهم بالحذف مستبين
ورسمها في الخط بالحمراء	[قد] جاء للكل بلا امتراء

يقول هذه الياءات الزائدة على رسم المصحف بعضهم يثبتها وبعضهم يحذفها ومثل لها بـ (الداع) يريد قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾[٦/ القمر] و(اتقون) في آيات كثيرة، و(دعان) في قوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [١٨٦/ البقرة] و(الجواب) في قوله تعالى: ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾[١٣/ سبأ] و(المناد) في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ "[٤١/ ق].

---

[1] حرز الأماني: ٣٤

[2] التيسير: ٦٩.

يقول الشريف إن هذه الياءات تثبت عند المكي وقفاً ووصلاً والمكي هو عبدالله بن كثير. وهي كذلك قال صاحب التيسير: أثبت ابن كثير منهن في روايتَيْهِ في الوصل والوقف إحدى وعشرين واختلف قنبل والبزي عنه في ست(١)، قنبل يثبت والبزي يحذف.

والكسائي وحمزة ونافع وأبو عمرو يثبتون هذه الياءات في الوصل، أما إذا وقفوا على رؤوس الآي -وهي التي أشار إليها الناظم بالقوافي- فإنهم يحذفونها، وهو ما ذهب إليه الداني في تيسيره. والباقون عاصم وابن عامر يثبتونها في الوقف ويحذفونها في الوصل. ثم ختم كلامه عنها بأنها ترسم في الخط بالحمراء لمن يثبتها.

وتلاحظ أنه في الأبيات الماضية نَصَّ على خمسة من القراء السبعة وهم عبدالله بن كثير المكي والكسائي وحمزة ونافع وأبو عمرو البصري، ثم قال (الباقين) يريد عاصماً وابن عامر.

ثم يمضي في بيان الوقف والرسم في حروف متفرقة فيقول:

وألف (لأَهَبَ) يا تال	ثبوتها أتى في كل حال
و(الظُّنونا والسبيلا والرسولا)	ثبوتها في الرسم أتى منقولا
وتسقط في الوصل والوقوف	للفتى المحقق المعروف
إثباتها في الوصل يا فتى	طرِيقُهُ لحَفْصٍ ثبتا
والثَّبْتُ للباقين قل معروف	في حالتي الوصل والوقوف
وحكمها في ساير القوافي	ثبوتها في الرسم بلا خلاف
ثم (سلاسلاً) حكمها المبين	يأتيك في التحريك والتنوين
تنوينها أتى بلا منازع	لشُعبة والكسائي ونافع

(١) التيسير/ ٧٠.

وَقْفُهُــــمُ بـــــألف أتـــــى معــــروف	وكــذا هشـــام في الوصــل والوقــوف
إثباتهـــا لابـــن العــــلاء في الوقـــوف	وقصــــــرها موصـــــولة معـــــروف
وقصـــــرها في الحــــالين بــــلا خــــلاف	لِقُنْبُـــــــل وحمـــــــزة يـــــــا وافي
ثــــم القصــــــر جـــــاء للبـــــاقين	والخُلْـــفُ في الوقـــف أتـــى مبـــين
و(كانـــــت قـــــواريرَ) يــــا ذكــــي	تنوينهـــــا لنـــــافع مـــــع المكـــــي
وشــعبة والكســـائي كـــل وقفـــا	بـــــألف التنـــوين كـــــن معترفـــــا
والوقـــــــف بـــــــالألف جـــــــاء	لكـــــل مـــــن نَـــوَّنَ في القـــــراءه
ونـــــون أخــــــرى (قــــــواريرا)	لنـــــافع وشـــــعبة الخبـــــيرا
ثـــم وقفهـــم جـــاء بــــالخلاف	عـــلى ألـــف التنـــوين بـــاعتراف
ودع التنـــــــوين للباقينـــــــا	والخلـــف في الوقـــف أتـــى مبينـــا
والقصــــــر جــــاء في الحرفــــان	لحمـــزة مـــع هشـــام بـــلا بهتـــان
خلافهـــما في الوقـــف قـــل يـــا عـــان	والألـــــف لهشـــــام في الحرفـــــان
فقنبـــــــل وحمـــــــزة الاثنـــــــان	وقفهـــما [قـــد] جـــاء بالإســـكان
وحـــذف حـــرف (قـــوارير) في الوصـــل	لابـــن العـــلاء جـــاء في النقـــل

قوله (ألف لأهب) يعني قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[١٩/ مريم] قال ابن مجاهد: قرأ ابـن كثـير وعاصـم وابـن عـامر وحمـزة والكسـائي (لاهب لك بغير همز) فالألف ثابت في الخط كما ترى كما ذكـر الشـريف. وفيهـا خـلاف[1] ولكن ابن خالويه ينسب لأبي عمرو وحده قراءة (ليهب لك غلاماً) بالياء أي ليهب الله. قال

(١) انظر التيسير: ١٤٨.

فإن قال قائل الهبة لله تعالى فلم أخبر جبريل عن نفسه؟ ففي ذلك قولان: أحدهما إنما أنا رسول ربك. يقول الله: لأهب لك. والقول الثاني لأهب لك أنا بأمر الله إذ كان هو النافخ في جيبها بأمر الله تعالى[1].

وقراءة الجماعة غير أبي عمرو تحمل الوجهين وهذه إحدى فوائد اختلاف القراءات. أما قراءة أبي عمرو فقد ضعفها أبو عبيد. وردّ عليه الإمام ابن خالويه رداً لطيفاً بما يصحح قراءة أبي عمرو وذلك أن العرب تخفف الهمز وتحققه وتلينه.

ثم انتقل الناظم إلى الحديث عن الألفات التي أتت في آخر الكلم وطرق الوصل والوقف فيها فذكر (الظنونا) و(السبيلا) و(الرسولا) و(سلاسلاً) و(قواريرا) وبين مذاهب القراء فيها. أما (الظنونا) فمن قوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾[١٠/الأحزاب] و(الرسولا) من قوله تعالى: ﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾[٦٦/الأحزاب]، و(سلاسلا) من قوله تعالى: ﴿ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [٤/الإنسان]. حمزة وأبو عمرو يحذفون في المواضع الثلاثة وصلاً ووقفاً. وأراد بالفتى المحقق أبا عمرو بن العلاء كما قال الداني، وقال "والباقون بإثباتها في الحالين"[2]. وهو ما ذهب إليه الشريف عليه رضوان الله. أما في الرسم فأفاد أنها ثابتة عند جميع كتاب المصاحف. وقوله القوافي يشير إلى رؤوس الآي، لأن العلماء يشيرون بالقوافي إلى أواخر الأشعار وبالفواصل إلى أواخر السجع وبرؤوس الآي إلى أواخر الآيات وقد يستعيرون الشيء للشيء.

---

[1] انظر: إعراب القراءات لابن خالويه بتحقيق إبراهيم القرشي (رسالة دكتوراه غير منشورة) ورقة٣٠٤/أ

[2] التيسير/ ١٧٨.

أما (سلاسلا) من قوله تعالى: ﴿ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [٤/ الإنسان]. فهي كما ذكر الناظم، قال الداني: "قرأ نافع والكسائي وأبوبكر وهشام (سلاسلاً) بالتنوين ووقفوا بالألف عوضاً منه. الباقون بغير تنوين"[1].

وقال ابن مجاهد: وقرأ أبو عمرو (سلاسلا) غير منون ووقف بألف (سلاسلا)[2]. وقال الداني: ووقف حمزة وقنبل وحفص من قراءتي على أبي الفتح من غير ألف. وهذا قول الشريف: (إثباتها لابن العلا... وقصرها لقنبل وحمزة...) وهذا ضبط بارع وإتقان من الشريف عليه رضوان الله لهذه الحروف عند أصحابها حرفاً حرفاً. هذا وقد قرأها الدكتور علي العوض (سلسبيلاً) مكان (سلاسلاً) وهي كذلك في مخطوطة المكاوي، وهو خطأ من الناسخ وتبعه الدكتور لأن (سلسبيلاً) ليست موضع خلاف بين السبعة[3].

أما (قوارير) فمن قوله تعالى من السورة نفسها ﴿ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ ﴾ الإنسان: ١٥] - ﴿ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ ١٦/الإنسان]. قال الداني: "نافع والكسائي وأبوبكر [شعبة] (قواريراً قواريراً) بتنوينهما ووقفوا عليهما بالألف. وابن كثير في الأول بالتنوين ووقف عليه بالألف والثاني بغير تنوين ووقف عليه بغير ألف. والباقون بغير تنوين فيهما. ووقف حمزة عليهما بغير ألف ووقف هشام عليهما بالألف. ووقف الباقون وهم أبو عمرو وحفص وابن ذكوان على الأول بالألف وعلى الثاني بغير ألف فحصل من ذلك أن من لم

---

[1] التيسير/ ٢١٧.

[2] السبعة: ٦٦٣.

[3] القراءات والرسم ٣٢٨.

ينونها وقف على الأول بالألف إلا حمزة وعلى الثاني بغير ألف إلا هشام".[1] وهذا قول الشريف:

والوقـــف بـــالألف جـــاء لكـــل مـــن نـــوّن في القـــراءه
والقصـــر جـــاء في الحرفـــان لحمـــزة مـــع هشـــام بـــلا بهتـــان

أما قوله عن أبي عمرو:

وحـــذف (قـــوارير) في الوصـــل لابـــن العـــلاء جـــا في النقـــل

فقال ابن مجاهد: "قرأ أبو عمرو (كانت قواريرا) غير منونة، ووقف بألف.

و(قواريرا من فضة) غير منونة أيضاً ووقف بغير ألف"[2]هذه هي الغاية التي لا تدرك من ضبط الشريف عليه رحمة الله ورضوانه لحروف السبعة. ارجع إلى هذه المصنفات وانظر هل أخل الشريف بشيء منها. لا والله ولا مثقال ذرة.

وقبل أن يعود للحديث عن (لنسفعا ويكونا) وقف الناظم عند (حاشى) فقال:

وألـــف (حاشـــى) أَثْبِتَنـــه بعـــد الشـــين في الوصـــل، قـــل في الوقـــف بالتسكين
هـــذا للبصـــري أتـــى مبـــين والحـــذف في الحـــالين للبـــاقين
وألفهـــا المـــذكور في الأوصـــاف محـــذوف في الرســـم بـــلا خـــلاف

نعم، قرأ أبو عمرو البصري وحده (حاشى) بألف في آخرها في الوصل وبحذفها في الوقف. وقرأ الباقون بغير ألف في الوصل. قال أبو عبدالله بن خالويه: ويجب في قراءاتهم أن

(1) التيسير:٢١٨

(2) السبعة: ٦٦٤

يقفوا بغير ألف، لأن في مصحف عثمان وابن مسعود (حـاش لله) بغير ألـف فيهما. ولكن الغافقي يروي عن أبي عمرو الألف بعد الشين في الوصل خاصة[1].

أما قول الشريف في البيت الثالث إن هذا الألف محذوف في الرسم فهذا ما أثبته الرواة من أن هذا الموضع في مصحف عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما بغير ألف[2].

ويستمر بعد كل هذا في نحو خمسة وسبعين بيتاً متناولاً الوقف والابتداء في عدد من ألفاظ القرآن مبيناً مذاهب القراء فيها فتحدث عن (ويكأن) و(كأين) فقال:

و(ويكـأن) وقفهـا بالكـاف	ثـم ابتـداؤها بـ(أَنَّـهُ) يـا واف
وهـذه روايـة البصـري	وغـيره باليـاء قـل مـروي
ثـم ابتـدئ بعـدها بالكـاف	وحـرر التجويـد في القـوافي
واختـار الـبعض في الوقـوف	وصـلها كسـائر الحـروف
والخُلْـفُ في (كَـأَيِّن) قـل معـروف	باليـاء أو بـالنون في الحـروف
فـالأول للبصـري جـاري	واشـتهر في سـائر الأقطـار

وكل ما فصله الشريف هنا وجدته عند أبي عمرو الداني في التيسير ما نقص منه شيئاً. قال أبو عمرو: ووقف أبو عمرو في جميع القرآن على الياء في (كـأين)، ووقف الباقون على النون... ووقف أبو عمرو على الكاف من (ويكأنه) ووقف الباقون على الكلمة بأسرها[3].

---

[1] رواية أبي عمرو: ١٢٧.

[2] إعراب القراءات السبع،ابن خالويه مصدر سابق (ورقة ٢١٤/ ب).

[3] التيسير: ٦١.

اقرأ أبيات الشريف الستة السابقة لترى مطابقتها لما جاء عند الداني وللمعروف في قراءة أبي عمرو في هذين الحرفين!

وتحدث عن الياءات التي سوى ياءات الإضافة كما في (رواسي وليالي) وأشباهها وفي نحو (مال هذا الرسول) مفصولة وموصولة والمواقف على أحرف العلة والرَّوْمُ والإشمام والنقل والتسكين في (قبل وبعد) مبنية أو معربة في قوله:

كقبــــلُ وبعـــدُ بـــلا ارتيـــاب	مبنيـــة كانـــت أو مـــع الإعـــراب
وَقْفُهُـــمَا بِـــالرَّوْمِ والإشـــمام	وبالســكونين والنقــل بــلا إيهــام

ثم ختم هذا الفصل بالوقف بالسكونين في نحو (العجلْ والأرْضْ) والوقف في حروف نوادر نحو (مِمَّ، لِمَ، بِمَ، عَمَّ) والوقف عليها يكون بهاء السكت عند أبي عمرو البصري والهاء عوض عن الألف أو بيان للحركة كما في تعليل رواية البزي عن ابن كثير.

ثم تحدث بعد هذا في نحو سبعين بيتاً عن التاء المطلوقة والمربوطة وعقد فصلاً في العلة الموجبة للربط والطلق في التاءات، وبين ما يوقف عليه بالتاء وما يوقف عليه بالهاء ثم تكلم عن رسمها وهو في كل ذلك يبيّن مذاهب القراء السبعة في الوقف عليها؛ ففي حديثه عن تاء التأنيث يقول:

والحكـــم في التأنيـــث بالتفصـــيل	في ســـائر المطلوقـــة في التنزيـــل
وقفهـــا للبصـــري قـــل بالهـــاء	ومثلـــه المكـــي مـــع الكســـائي
كنعمـــــة ورحمـــــة مـــــذكورة	وامـــرأة وســـنت وســـائر المجـــروره
ثـــم البـــاقون وقفهـــم بالتـــاء	تبعـــا للرســـم في الهجـــاء
وسِـــتَّةٌ تأتيـــك يـــا ذكـــي	وقفهـــا بالتـــاء للبصـــري
وهي (اللات) مع (مرضات) و(ذات)	مـــن قبـــل بهجـــة قـــل (ولات)

وهكـــذا (يــا أبــت) مــع (هيهــات) رســــمها بالتـــاء للكـــل آت

ثـــم الكســـائي في ذي الحـــروف وقفـــه بالهـــاء قـــل معـــروف

وهكـــذا (يـــا أبـــت) في المـــروي وقفهـــا بالهـــاء للشـــامي

ومثلـــه لابـــن كثـــير قـــل مـــرضي والهـــاء في (هيهـــات) للبـــزي

فهو يبين مذهب أبي عمرو البصري دائماً ثم يشفعه ببيان مذاهب بقية القراء المخالفين أو الـموافقين لمذهبه، فذكر هنا المكي وهـو عبدالله بن كثير والكسائي وهـو علي بن حمزة وذكر الشامي وهو عبدالله بن عامر اليحصبي ثم أعاد ذكر ابن كثير وأحد راوِيَيْهِ وهو البزي في آخر هذه الأبيات والسبب أن الكسائي من مذهبه أن يميل هاء التأنيث في الوقف فهو يقف عليها بهـاء ساكنة ممالة عـلى شروط فَصَّلها أهـل هـذا الفـن[1]. أمـا المكي والشـامي فكانا يقرآن ﴿يَٰٓأَبَتِ ۝٤﴾ [٤/يوسف] في الوصل بكسر التاء للأول كالباقين، وبفتحها للثاني، ويقفان عليها بالهاء (يا أَبَهْ)[2].

واستمر في بيان التاءات والوقوف عليها إلى أن قال:

وانتهـــت علـــى التـــاءات بـــالتمام في المصـــحف الُمقْتَـــدَى بـــه الإمـــام

لأنـــه جـــاء في محكـــم الكـــلام مؤيـــــداً بلغـــــة الكـــــرام

ثم دخل -رحمه الله- في أحكام الراءات وجعلها من المواقف الصعيبة وشرحها في نحـو سبعة وستين بيتاً بين فيها الكثير من مواطن الوقف التي تُشْكِل على الطـلاب، فأبـان أحكـام الوقف على راءات القرآن من حيث التفخيم والترقيق. والتفخيم هو تغليظ الحرف وتسمينه

(١) انظر: سراج القارئ: ١٤٧

(٢) انظر: سراج القارئ: ١٤٧، التيسير: ١٢٧.

عند النطق به والترقيق هو إنحاف الحرف وتقليله عند النطـق بـه. وذكـر مـذاهب القـراء في ذلك. ووقف وقفة مطولة عند مذهب ورش الذي اشتهر بترقيق الراءات دون سائر القـراء. وتحدث عن الراء الساكنة بعد كسر يتلوه حـرف مـن حـروف الاسـتعلاء وأن حكمهـا هنـا التفخيم أما إذا سبق حرف الاستعلاء الراء الساكنة بعد كسر فالحكم الترقيق. هذا إذا كانـت الراء وحرف الاستعلاء من كلمة واحدة. أما إذا كانت الـراء المكسـورة مـن كلمـة وحـرف الاستعلاء بعدها في كلمة أخرى فالحكم الترقيق. وتحـدث عـن أحـوال الـراء مـع السكون العارض. وتحدث عن تفخيم الراء المفتوحة والمضمومة. ثم أبان أحوال الوقف والوصـل في كل هذه الأبواب إلى أن وصل إلى الحديث عن الراء التـي يقـع بعـدها الألـف الـذي يكـون عوضاً من ياء نحو (افترى). وهو في كل ذلك يمثل تمثيلاً دقيقاً لأحكام الراء تفخيماً وترقيقـاً ووصلاً ووقفاً ويقف عند المتفق عليه والمختلف فيه بين القراء.

فمما اتفق فيه القراء ترقيق الراء المكسورة والساكنة بعد كسر أول الكلمـة أو وسـطها أو آخرها؛ يقول الشريف:

وبعـد هـذا نعتنـي يـا عـارف	بـأحرف صَـعِيبة المواقـف
والقـول في التفخـيم والترقيـق	للـراء حيـث جـاء بـالتحقيق
والـراء إذا كسـرت يـا تـال	ترقيقُهـا أتـى في كـل حـال
أولاً ووسـطاً وفي الأواخـر	(كـرِزْقٍ) و(الغـارِمِينَ) و(الكـوافر)
كـذا إذا سـكنت بعـد الكسـرِ	ترقيقهـا للكـل غـير نُكْـرِ
كمِرْيَـةٍ وشِرْذِمَـة يـا سـامِ	معروفـة للسـبعة الأعـلام

فتراه في هذه الأبيات يفصل ويمثل كما ورد عن الأئمة. يقول الإمام الشاطبي في هذا الحكم:

ولابد من ترقيقها بعد كسرة ... إذا سكنت يا صاحِ للسبعة الملا[1]

ثم يذكر الشريف حروف الاستعلاء وأثرها في تفخيم الراءات فيقول:

وإن عرض الاستعلا لذي الحروف ... تفخيمها في الوصل والوقوف

بيانها يأتيك في الحساب ... ثلاثة معروفة بلا ارتياب

وهي الطاء والصاد مع القاف ... تفخيمها للراء جاء بلا خلاف

إذا أتت بعد الكسر والإسكان ... متصلة في كلمة يا عانِ

كغُرْفَةٍ قِرْطاس مع المرصاد ... وثم إرصاداً أتت بلا عناد

وإن سبق الاستعلا قبل الراء ... أو انفصل في كلمة يا راء

فراؤه بالترقيق يا فقير ... خالية من حكمها بلا نكير

كـ(ينفطرن) (وقرن) خذ تحقيقي ... ثم (أحصرتم) أتت بالترقيق

وقد جمع الإمام الشاطبي حروف الاستعلاء وبعض أحكام الراء معها في قوله:

وما حرفُ الاستعلاءِ بَعْدُ فراؤه ... لكلِّهم التفخيمُ فيها تَذَلّلا

ويجمعها (قظ خُصَّ ضغط) وخُلْفُهُمْ ... بـ(فِرْقٍ) جرى بين المشايخ سلسلا[2]

و(قظ خص ضغط) هي حروف الاستعلاء التي ذكر الشريف بعضها. وإنما ذكر الشريف ثلاثة منها هي (القاف والصاد والطاء) لأن حروف الاستعلاء لم يقع منها في القرآن

---

[1] حرز الأماني: ٢٨.

[2] المصدر السابق والصفحة.

بعد الراء إلا أربعة أحرف؛ الثلاثة التي ذكرها الشريف، ووقع الضاد في كلمة ولكنها مفصولة بألف -وإن كان الألف حاجزاً غير حصين- وهي كلمة (إعراض) في سورة النساء وسورة الأنعام؛[1] وهذا من إتقان الشريف الذي يحسب له.

أما بقية بيت الإمام الشاطبي وهو قوله (خلفهم بفرق...) ففيه إشارة إلى اختلاف القراء في كلمة (فِرْق) من قوله تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [٦٣/ الشعراء]. قال الشريف عن هذا الحرف:

والخُلْفُ في (فِرْقٍ) بلا بُهْتَان	لكسرٍ تَقَرَّر في الحرفان
تفخيمها جاء عن الأعيان	تبعاً للتيسير والعنوان
ثم عثمان مع الرعيني	قد أثبتا التحرير في الوجهين
والتفخيم جاء على القياس	مقرراً بسند الأكياس
والجمهور من سائر المغاربة	ذهبوا إلى الترقيق قاطبه
والعمل على التفخيم هو الجاري	واشتهر في سائر الأقطار

والخلاف الواقع في (فِرْقٍ) بسبب الكسر وحرف الاستعلاء، فمنهم من فخمها نظراً لوقوع حرف الاستعلاء بعدها، ومنهم من رققها نظراً لكسر حرف الاستعلاء، والوجهان صحيحان لكل القراء. هكذا قال شارحو الشاطبية[2]. وهي المرجع الأساس الذي أشار إليه الشريف، لأنه ذكر التيسير وهو للداني والعنوان للسرقسطي وكلاهما من المغاربة وذكر عثمان

---

(1) النساء: ١٢٨، الأنعام: ٣٥.

(2) الوافي في شرح الشاطبية: ١٦٦.

والرعيني اللذين حررا الوجهين وصححاهما وعثمان هو أبو عمرو الداني صاحب التيسير والرعيني هو الإمام الشاطبي الذي نظم التيسير في شاطبيته كما ذكرناه من قبل.

وكان قبل شروعه في الحديث عن لفظة (فِرْق) ذكر مذهب ورش المشهور وهو ترقيق الراءات المروي عنه بأسانيد الرواة المرضية فقال:

ثم الترقيق جاء للمِصْريِّ مقرراً بالسند المَرْضِيَّ

والمصري كما تقدم هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري الذي لقبه شيخه نافع بورش لشدة بياضه. ومذهب الترقيق مشهور عنه في كل راء مكسورة أو قبلها ياء ساكنة نحو (رزق والخيرات) أو مفتوحة أو مضمومة وقف أو وصل إلا مواضع يطول بتفصيلها بحثنا. قال الإمام الشاطبي:

وَرَقَّق وَرْشٌ كل راء وقبلها مسكنة ياءٌ، أو الكسر مُوْصَلا[1]

والشريف في نظمه هذا كثيراً ما يعدّ المواضع عداً ويحصيها فتراجع كتب هذا الفن فلا تجده أخلّ بشيء مما أجملوه بل يزيد على المشتغلين بهذا الفن بتفصيل المجمل؛ فحين مرّ في آخر حديثه عن الراءات بالراء التي تليها الألف وتكون طرفاً وهي في الأصل ألف جاءت عوضاً عن ياء، وقف عندها وقفة مطولة في نحو ثمانية عشر بيتاً جمع لها الأمثلة وبين الأحكام فيها. وختم بها الحديث عن الراءات فقال:

فهذه الياءات في الحساب ثلاثون جاءت بلا ارتياب

إمالتها في الوقف قل يا عان للفتى البصري مع الأخوان

وبعضُهُمُ قال بالإمالة في حالة الوصل لا محالة

---

[1] حرز الأماني: ٢٨.

تقليلهـــــا لـــــورش قــــل مبينــــا وفتحهــــا في الوقـــــف للباقينــــا

يقول إن هذه الياءات ثلاثون بلا ريب أمالها عند الوقف الفتى البصري وهو الإمام أبو عمرو بن العلاء. وأما الأخوان فهما حمزة والكسائي في عرف علماء القراءات[1].

ثم مر بعد ذلك بالحديث عن الوقف على (بلى) وهي حرف الجواب المعروف ويقول إنها وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعاً حدد سورها التي وقعت فيها وبين مذاهب القراء في جواز الوقف على خمسة عشر موضعاً منها والسبعة الباقية يمتنع الوقف عليها. ونظم ذلك في تسعة وعشرين بيتاً وجاء هذا التقسيم في قوله:

فهـــذه خمســـة عشـر بانحصـــار جـــائزة في الوقـــف والاختيــــار

وســـبعة في (بـــلى) يـــا قـــاري ممنوعـــة في الوقـــف بـــلا إنكـــار

ثم انتقل إلى (كَلاَّ) التي عقد لها فصلاً وذكر أنها جاءت في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً؛ قال الإمام ابن خالويه: واعلم أن في القرآن ثلاثة وثلاثين موضعاً (كلا) وليس في النصف الأول منه شيء[2]. وجاء في منظومة (الفوائد) المنسوبة للشريف أو للأغبش تصديق هذا في قوله:

ولم تكـــن (كــــلا) مـــن القـــرآن في نصـــــفه الأول في الإتيـــــان

لمــــا أتـــت بـــالردع والتهديـــد والزجـــر والتخويـــف والوعيـــد

---

(1) انظر العنوان للسرقسطي ص ٤٠.

(2) إعراب القراءات السبع لابن خالويه: الورقة ١٩٢.

وأخذ الشريف في تفصيل مجملها وتحديد مواقعها من السور وأبان أحكام الوقف والوصل فيها في تسعة عشر بيتاً.

وكان آخر فصول هذه المنظومة، وقرنه بحديثه عن اللغات في القرآن، فصل الوقف على الهمزة ونظمه في أربعين بيتاً ذكر فيها المواقف على الهمزات المصورة وغير المصورة كالهمزة المنصوبة مع التنوين والوقف على (تراءى) والهمزة المتطرفة مثل (شاء وباء) وقال عنها.

والهمز السطري في الأطراف ... مسكن في الوقف بلا خلاف

نحو (شاء وباء والنِّسيء ... وتفيء وقروء مع المسيء)

وسَكِّن المصور في الوقوف ... والمنع في ضَمِّه أتى معروف

نحو (تفتأ وتظمأ ويشاء اللهْ ... ويبدأ ويدرأ) وضف لها الأشباه

إلى أن يقول:

والهمز المصور في القرآن ... جميعه في الوقف بالإسكان

كنحو (أبناءُ) مع (العلماء) ... (يُنَبَّأُ ينشأ) كذا (الضعفاء)

هذا حيث جاء في الأطراف ... مسكن في الوقف بلا خلاف

ثم يذيل الحديث عن الهمزات باثني عشر بيتاً تحدث فيها عن لغات العرب التي نزل بها الكتاب الكريم ونبّه على وجوب معرفة الفصيح من الأفصح لتحرير التجويد والعناية به. وفي الأبيات إشارة إلى أن الشريف أتقن هذه المعارف من قراءات ونحو ولغة ونظم، يقول رحمه الله:

وبَعْدَ ذِكْرِ الوَقْفِ في الهَمْزَاتِ ... فَنَعْتَنِي بِسِيرة اللُّغَاتِ

واعرِفِ الأفصحَ من الفصيحْ ... وحَرِّرِ التَّجْويدَ بالتَّصْحيح

أتى الهندي جاء متوجها بالمختار متوسلا به إلى الغفار
طالب العلاقة الفــلي فامنن على بسيد بعلا على

وهو الكرار في الصحابه ... والفخر في العلوم والنجابه
والأمن والأيمن في الذريه ... والهيبة والوقار رأيا فخميه
وفاز في الإبيات من الطلاب ... فاجعله ربي من صفوة الأحباب
واطلب الغفران للجميع ... من ربنا المقتدر السميع
ثم الوالدين مع الأحباب ... وجملة الأشياخ والأصحاب
واختم الكلام بالصلاة ... على نبي جاء بالآيات
محمد رفيع الشرف والإكرام ... وآله وصحبه الأعلام
أبدا أفضلة بلا انفصام ... بعدد علم الملك العلام
ثم السلام مع الرضا من الغفار ... شاملا لهم أعني المكون والغفار
والتابعين لهم في سائر الأوقات ... على ممر الدهر في الأبيات
محتسبا في بالملك القهار ... من شر كل حاسد وعاند جبار

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما آمين
على يد كاتبه ومالكه المكاوي الفكي
الفضل اللهم اغفر له ولوالديه ولمشايخه
وللمسلمين والمسلمات وآمين ثم آمين
انتهى بالخير عليهم تم هذا الكتاب في شهر الله ذو القعدة
ونطلب التوفيق من الله ذو القعدة يوم سنة ١٣٤٧

الصفحة الأخيرة من منظومة (المعارف) للشريف محمد الأمين الهندي
نسخة الشيخ المكاوي الفكي الفضل

ويذكر أساليب العرب وسننهم في كلامهم وينص على الفصيح منها كما جاء في القرآن فيقول:

فإن حصل الإدغام مع الإقْلاب ثم الإخفاء في مراتب الكتاب

وكذا الإمالة مع الإشمام والرَّوْمِ مع الاختلاس في الأقسام

والنَّقْل والبَدَل مع التسهيل فصيحة في سائر التنزيل

وهذا كله من ضروب الاختلاف في لغات العرب وما جاءت الرواية به صحت القراءة به.

ثم يتحدث عن لغات سادات العرب ويقول عنها:

وهي سبعة معروفةُ المعادن أَسَدٌ تميمٌ حارثٌ هوازن

هذيلُ يمن قريش رُمْ تفصيل نزل بلغتهم محكم التنزيل

وهؤلاء هم المشهورون المعتد بهم من أهل الفصاحة من قبائل العرب.

ثم يختم موثقاً وداعياً فيقول:

وهنا انتهت المسائل يا عارف في الرسم والوصل والمواقف

وقائلها أتى بها يا منير مؤيدة بالنقل والتحرير

ابن الهندي جاء[1] بالمختار متوسلاً به إلى الغفار

ويمضي في الدعاء له ولوالديه ولطلابه وأحبابه والأشياخ إلى أن يقول:

---

[1] في نسخة المكاوي زاد (متوجهاً) في الشطر الأول وهي مخلة بوزنه.

وأختم الكلامَ بالصَّلاةِ	على نَبيٍّ جاء بالآياتِ
محمد ذي الشرف والإكرام	وآله وصحبه الأعلام
أبداً متصلة بلا انفصامْ	بعدّ علم الملك العلام
ثم السلام مع الرضا من الغفار	شايعاً في الملكوت والقفار
وتبدي نفحاتها في سائر الأوقات	على محرِّر التجويد في الأبيات
محتسباً أخي بالملك القهار	من شر كل حاسد وعايق جبار

هذا غيض من فيض مما جاء في هذه المنظومة التي بلغت أبياتها خمسمائة وثمانية وثلاثين بيتاً في النسخة التي اعتمدتها، فَصَّل فيها الشريف المجمل، وعزا المهمل، وشرح ومَثَّل، فأبان عن رواية ودراية بحروف السبعة وغيرها وكشف عن اطلاع واسع وحفظ واع لكتب المشارقة والمغاربة في علم القراءات والضبط والرسم، وهو عمل يدل على صبر العلماء وهمة المخلصين وعلى صدق التوجه لله ويكشف عن شيخ جليل حافظ إمام ضابط متقن، هذا مع أن جهدنا فيها كان استعراضاً ولو تتبعناها بالشرح والتحقيق والموازنة لبان أن عمل الشريف كان جهداً مذهلاً ولكن يكفينا من الزاد البُلْغة ونسأل الله أن يحقق ما عقدنا العزم عليه بشأنها إنه سميع مجيب.

والامن والاعيا في الذرية　　والهيبة والوقى ردا محمية

وقارئ الابيات من الطلاب　　فاجعله رب من صفوة الاحباب

واطلب الغفران للجميع　　من ربنا المقتدر السميع

ثم الوالدين مع الاحباب　　وجملة اشياخي والاصحاب

واختم الكلام بالصلاة　　على نبي جاء بالآيات

محمد ذي الشرف والاكرام　　وءاله وصحبه الاعلام

ابدا متصلة بلا انفصام　　بعدد علم الملك العلام

ثم السلام مع الرضى من الغفار　　شايعة في ملكوت والغفار

وتبدي نفعها في ساير الاوقات　　على محرر التجويد في الابيات

محتسبا اني بالملك القهار　　من شر كل حاسد وعاتي جبار

[illegible]

وقد تمت هذه المعارف يوم الاحد شهر ١٨ ذو الحجة

٢٥/٧/ ذو الحجة ٤٤ هـ

على يد كاتبها ومالكها لنفسه احمد صالح فضل [illegible]

اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين اجمعين

الصفحة الأخيرة من منظومة (المعارف) للشريف محمد الأمين الهندي بخط الشيخ أحمد صالح فضل تلميذ الشريف محمد الأمين

نسخة الشيخ محمد التهامي (دار الوثائق)

ثالثاً: منظومة مقدمة الأحكام

هي المنظومة الثالثة التي وقفت عليها من منظومات الشريف، ضمن المجموع الذي تكرمت بتصوريره لي دار الوثائق المركزية بعد الإذن الخطي من مالك المجموع الشيخ محمد التهامي الحسن الأحمدي. وهذه المنظومة ثابتة النسبة للشريف محمد الأمين جاء في عنوانها: "مقدمة الأحكام للسيد الأعظم والملاذ الأفخم الشريف محمد الأمين الهندي نفعنا الله ببركته وبركة علومه. آمين". وقد مهرها مؤلفها بتوقيعه في أحد أبياتها في قوله:

ابن الهندي جاء بالمختار   متوسلاً به إلى الغفار

وذكرت ضمن مؤلفات الشريف في مقدمة [1] (رياض المديح) لابنه الشريف يوسف. وذكرها الأستاذ الطيب محمد الطيب في مخطوطة صغيرة تكم فيها عن (خلوة نوّارة) ذكر فيها مؤلفات الشريف محمد الأمين وأعاد ذكرها في كتاب المسيد الذي ضمَّنه ما في هذه المخطوطة[2].

وهذه المنظومة من أطول منظومات الشريف إذ بلغت أبياتها ثمانية وثمانين وخمسمائة بيت استغرقت خمساً وأربعين صفحة، مسطرتها ثلاثة عشر سطراً.

---

(1) المقدمة من إعداد حفيده الأستاذ الشريف محمد الأمين الشريف عمر الشريف يوسف الهندي، وقد ذكرت جهوده في تراث جده في المقدمة. وتقوم الآن طائفة من أحفاد الشريف على رأسهم الأستاذ الشريف أحمد الشريف الصديق بجهد كبير في تجميع هذا التراث وحفظه في الحاسوب، نسأل الله أن يعينهم على هذه المهمة وأن يتبعوا ذلك بإخراج هذا التراث النادر وهو من حق هذه الأمة التي عاش أسلافهم لها وبها وكرسوا حياتهم من أجلها.

(2) المسيد ٣٠٣. ومخطوطة (خلوة نوارة).

وموضوعها الرسم والضبط وشيء من أحكام التجويد والقراءات وتقع في نحو ثلاثة وثلاثين فصلاً في الإلحاق والتفخيم وياء الإضافة والواوات بأنواعها والمد الواجب والجائز والعارض ومد الفرق والهمزات والمتصل والمنفصل من الحروف والتاء الأصلية وتاء التأنيث والمطلوقة وأختها وغير ذلك. وقد لخصها في أول المنظومة في قوله:

فهذه مقدمة الأحكام ... مقررة بسند الأعلام

في المد والمحمول من الواوات ... وزوائد تأتيك في الياءات

واتصال وانفصال في الحروف ... مختلف الأحوال في الوقوف

هذا وقد تكررت بعض مواد مقدمة الأحكام في منظوماته الأخرى، فكأنه وضع هذه المنظومة على صفة مقدمة لأحكام الرسم والضبط والتجويد ثم رأى أن بعض الموضوعات يحتاج إلى تفصيل أكثر فضمن ذلك منظوماته الأخريات. بل وجد أبواباً بعينها تحتاج إلى أن يفرد لها تأليفاً ففعل كما في موضوع الهمز الذي تناوله في أكثر من منظومة ثم أفرد له منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) ومثل منظومة (النورانية) في مدود القرآن[1] التي لم نقف عليها ويبدو من عنوانها أنها خاصة بأنواع المدود في القرآن. وليس تكراره من قبيل التكرار المحض دائماً وإنما يكرر لإضافة فائدة؛ فقد ذكر كلمة (ابن) في منظومة (الصيانة) ثم ذكرها هنا وكان ذكرها هناك لبيان نقط الابتداء فيها وذكرها هنا لبيان سقوط ألفها في الرسم وبقائها في النطق إذا وقعت بين علمين، وسنذكره قريباً.

---

(١) القراءات والرسم: ٣٤١.



صفحة الغلاف من منظومة (مقدمة الأحكام) للشريف محمد الأمين الهندي

نسخة الشيخ محمد التهامي (دار الوثائق)

بدأ الشريف كعادته حامداً الله مثنياً على كتابه ومصلياً على رسوله ﷺ وإن لم يطل في ذلك كما رأينا في منظومة (الصيانة) ثم سمى منظومته مشيراً إلى موضوعاتها وذكر سبب تأليف هذه الأبواب والفصول التي اشتملت عليها منظومته في قوله:

لأنه من مشكلات الضبط أحكامها مختلفة في النقط
وضعتها لقاصد الأحكام خوفاً من الزلل والإيهام

وهو يكثر من ذكر السند لأن الرسم والقراءة لا اجتهاد فيهما. ثم ذكر شيئاً من الفصول التي ينوي بسطها في المنظومة. ووصف نوع الطلاب الذين تحتاج إليهم هذه المنظومة مرة في قوله:

مشحونة بالوضع والتركيب مفتقرة لقاري أديب

ومرة أخرى في قوله:

مفتقرة لعارف فهيم ذي عقل ثابت سليم

ووثق الشريف مصادر مادة منظومته في ثلاثة مواضع في أولها وفي آخرها فقال في أولها:

منفرداً أو متصلاً باللام فهذا الذي تحرر عن الأعلام
من تونس وَأندلس وقيروان القائمين بالنشر والإتقان
وقيل مطلقاً بالزيادة في شرق الشاميين السادة
فهذا هو الصحيح الجاري واشتهر في ساير الأقطار

فالإشارة هنا إلى المغاربة ومصنفاتهم وهي كثيرة كمصنفات أبي عمرو الداني وابن الجزري والخراز وابن عاشر والشاطبي؛ وعن هؤلاء أخذ علوم الرسم والضبط. وأهل الشام وأظنه أراد بهم المشارقة وتدخل فيهم قراءة أبي عمرو ومصنفات العراقيين والمصريين في القراءات وعلوم القرآن. ثم ذكر في موضع آخر بعض مصادره تنصيصاً كقوله:

وكلـــها ذكرتـــه هنـــا في الأصـــل في خـــبر صـــحيح النقـــل
وإن شـــككت في هـــذا يـــا صـــاح فطـــالع النصـــوص في الصـــحاح
كالطيبـــهْ والحـــرز مـــع الإتقـــان والـــدره والتيســـير والبيـــان
ثـــم العقيلـــة مـــع المعـــارف والمقصـــد الأشـــموني في المواقـــف

وقد وقع تفصيل هذه المصنفات وأصحابها مختصراً فيما مضى وسيأتيك مفصلاً على أحسن وجه إن شاء الله في المبحث الأخير. ولا داعي لتطويل البحث به ههنا.

وفي ختام منظومته أرجع مادة علومه إلى المصادر الأولية الأصيلة في قوله:

ثـــم الحـــذف والإثبـــات في القـــرآن والفصـــل والاتصـــال الكاينـــان
في الأحـــرف المـــذكورة الفوائـــد وجملـــة الكحـــلاء في الزوائـــد
والـــربط ثـــم الطلـــق في التـــاءات وطـــرق الـــرواة والقـــراءات
ثـــم الخـــلاف الكـــاين المعـــروف والحـــذف والإثبـــات في الحـــروف
معـــزو للصـــحابة الأبـــرار بالســـند المتصـــل عـــن الأخيـــار
سوى الهمـز والسكون مـع الحركـات والتنـــوين والإلحـــاق في الكلـــمات
ثم الـدارة والـنقط الكـائن في التنزيـل معـــزو للـــدؤلي مـــع الخليـــل

فقسم مادة المنظومات إلى قسمين: قسم معزو بالسند المتصل للصحابة في الجمع الأول وهو الرسم الذي جاءنا في هجاء المصاحف التي كتبها الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه والصحابة، وقسم أحدثه الأئمة من صور للهمز وحركات كالتنوين والسكون والإلحاق والنقط الذي ضبط به الكتاب العزيز كدارة المزيد والحركات والسكون والشدّ ونحوها فهذا معزو لأبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي وهما أشهر أعلام العربية والنحو.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا [illegible]

أخرجنا من ظلمة للنور　　وأرسل لنا المصطفى المنصور

وبين لنا مصابيح الشرائع　　وجعلنا من خير الأمم النوابع

هنا في النعم النوادر　　لكن قليل من العباد الشاكر

وأنزل القرآن للإرشاد　　على المصطفى الهاشمي الهاد

عليه أفضل الصلاة والسلام　　وءاله ما دامت الليالي مع الأيام

خفية في وضعها على الحروف　　مقررة بالسند المعروف

تفصيلها يأتيك بلا اشتقاق　　في ألفات الوصل مع الإلحاق

مشهورة بالوضع والتركيب　　مفتقرة لقارئ اديب

يبرزها في حارة الميدان　　مفصلة بدرر المعان

لأنها من مشكلات الضبط　　أحكامها مختلفة في النقط

وضعتها لقاصد الأحكام　　خوفا من الزلل والإبهام

والرسم جاء بنصه مبين　　بأنه ركن من أساس الدين

[illegible]

الصفحة الأولى من منظومة (مقدمة الأحكام) للشريف محمد الأمين الهندي

نسخة الشيخ محمد التهامي (دار الوثائق)

وبتتبع أبواب منظومة (مقدمة الأحكام) وفصولها نجد الشريف قد ذكر فصولاً وموضوعات وردت في منظومات أخرى ومع أن ورودها هنا لم يكن تكراراً خالصاً لكن لن أقف عندها هنا كثيراً كحديثه عن أحكام الهمزتين والتاء المطلوقة والمربوطة وتاء التأنيث وتاء الأصل والمد وأقسامه.

ومما ذكره في موضع آخر ثم أورده هنا، باختلاف موضوع أو زيادة، حديثه عن كلمة (ابن) التي وردت عرضاً في منظومة (الصيانة) البيت (٣٣٢) في حديثه عن الابتداء في الأسماء التي اتفق العرب على أن همزاتها همزات وصل. ولكنه أضاف هنا أن ألفها تثبت في الرسم والابتداء وتسقط لفظاً في الوصل وأن الوقف على نونها غير خاف ويبني أحكامه هنا على مذهب المغاربة في الضبط لأن المشارقة يزيدون هذه الألف في (ابن) مطلقاً. جاء ذلك في قوله:

فأولها يأتيك بلا امتراء	في (الابن) المذكور في الأداء
وجوده في الرسم والابتداء	ووقفه على النون بلا خفاء
وألفه في الوصل يا رشيد	ساقطة في اللفظ بلا عنيد
فإنه بالزيادة حيث نزلا	نعتاً بين علمين نُقِلا
وغيره من ألفات الوصل	زيادته متروكة في النقل
منفرداً أو متصلاً باللام	فهذا الذي تحرر عن الأعلام

وبيّن الشريف -رحمه الله- في منظومة (الصيانة) بعض أحكام الياءات (الأبيات ٣٥٢ - ٣٦٣) ولكنه أحصى هنا زوائد الياءات وفصّل مواضعها وأحكام رسمها واختلاف القراء فيها، وهي غير التي أشرنا إليها في (الصيانة) فقال:

فهـاك زوائـد أتـت في الكتـاب	مرويـة بالسـند الصـواب
ثلاثـة في سـورة العـوان	(الـداعي واتقـوني ودعـاني)
و(خـافوني) ومـن (اتبعنـي) الحرفـان	في سـورة العمـران واردان
و(اخشـوني) في بـاقي العقـود	و(قـد هـداني) تحتهـا معهـود
ثـم (كيـدوني) أتـت في الأعـراف	وثلاثـة بهـود خـذ أوصـافي
(تسـألني تخزوننـي) مقصـوده	و(يـوم يـأتي) بهـا معـدوده
(حتـى تؤتـوني) أتـت بـالتحقيق	معروفـة في سـورة الصـديق
(أشركتمـوني) و(دعـائي) يـا عـان	في سـورة الخليـل واردان
ومثلهـا في الاسرا أتـى حرفـان	(أخرتنـي) و(المهتـدي) بالبيـان
وسـتة في الـرقيم قـل مقصـوده	(المهتـدي) و(يهـديني) معـدوده
وقـل (تـرني) (يـؤتيني) يـا قاصـد	(نبغـي) و(تعلمنـي) بهـا وارد
وقـل (تتبعنـي) في طـه يـا منـير	و(البـادي) في الحـج أتـت بـلا نكـير
(أتمـدونني) (فـما آتـاني) في النمـل	وسـبأ (الجـوابي) خـذ نقـلي
ثـم (اتبعـوني) تأتيـك بـلا بهتـان	في غـافر والزخـرف الاثنـان
وبقـاف (المنـادي) ثـم (الجـواري)	بسـورة الشـورى قـل يـا قـاري
لكـن (أتـاني) يـا ذا المعـروف	خـلا منهـا في الوصـل والوقـوف
مفتوحـة في وصـلها بـلا امـتراء	والخلـف في وقفهـا يـا راءِ
فبعضـهم بيـاء في الطـرف	وبعضـهم بحـذفها [قـد] اعـترف
و(الـداعي) موضـعان قـل في القمـر	فـاعرف المعـاني يـا ذا النظـر
ثـم (أكرمنـي) و(أهـانن) و(يسـري)	ثلاثـة معـدودة في الفجـر

لكن في (أكرمن) و(أهانن) وجهان في الحذف والاثبات واردان
كلاهما في الوصل للقراء والحذف مرويّ في الأداء
وَعَدُّها في (لو) يا قاري محرر بسند الأخيار

فتراه هنا يحصي الياءات بضبط شديد وتحرير سديد، وينوع في ذكر أسماء السور كما جرت به عادة أهل هذا العلم فيسمي سورة البقرة (العوان) ومرة (البكر) ويذكر سورة (العقود) وهي المائدة وسورة (الصديق) وهي (يوسف) وسورة (الخليل) وهي (إبراهيم) وسورة (الرقيم) وهي (الكهف) كما سنبينه في المبحث الأخير. وقد تتبعت هذه المواضع في كل سورة وعرضتها على كتاب السبعة لابن مجاهد وكتاب التيسير للداني وكتاب رواية أبي عمرو[1]، فما وجدته أخلّ بذكر شيء منها. ولكنه قال في آخرها: (وعدُّها في لو يا قاري) يريد أن هذه الياءات ست وثلاثون لأن (لو) في حساب الجمل تساوي (٣٦)، اللام ثلاثون والواو ستة، ووجدت الداني يجعلها أربعين ياءً في المقنع وإحدى وستين في التيسير والشاطبي يقول إنها اثنتان وستون[2]، ولا تناقض فيما ذكره الشريف مع ما قالوه فهم إنما يتحدثون عن جميعها المثبت منها والمحذوف ولكن الشريف يحصي رواية أبي عمرو بوعي ودقة وضبط والذي ذكره هنا هو ما أورده الداني في قوله: "وأثبت أبو عمرو من ذلك في الوصل خاصة أربعاً وثلاثين وخَيَّر في [اثنتين] ﴿أَكۡرَمَنِ ۝١٥﴾ "[١٥/ الفجر] ﴿أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ [١٦/ الفجر] فعلى هذا مجموعها ست وثلاثون ياءً وهذا أحد المواضع التي تكشف عن جمع الشريف عليه رحمة الله بين الشمول والتخصيص. فيتكلم عن الحكم في عامة

(١) انظر: كتاب السبعة: ١٥٢؛ التيسير: ٦٣؛ رواية أبي عمرو: ٩٥.

(٢) انظر المقنع: ٤٥؛ التيسير: ٦٩؛ حرز الأماني: ٣٤.

مواضعه عند عامة السبعة القراء ثم يورد ما عليه صاحبه أبو عمرو بن العلاء في رواية الدوري.

ومما ذكره مختصراً في موضع وفصّله هنا الحديث عن أحكام الطاء عند التاء، وكان قد ذكر في (الصيانة) الخلاف بين مكي بن أبي طالب وأبي عمرو الداني وابن الجزري بشأنها (الأبيات ١٢٧ – ١٣٠) وهي قوله:

(أَحَطْتُ) مَكّيٌّ لـه قـد ضَمّا   (نَخْلُقكُّم) في المُرْسَلاتِ عَمّا

لكونـه منقَّصُ الإِدْغَامِ   ومالَ بعضٌ من ذَوي الأَفْهَامِ

لخالصِ الإِدْغامِ وهو الأَوْلَى   كما ارتَضَاهُ سَيِّدُ الأَجِلاّ

أعني بـه الإمامَ شمسَ الدينِ   كما أَخَذْتُهُ عَنْ المُبِيْنِ

ثم أشار هنا إلى ذلك الخلاف وإن لم يسمّ أصحابه ونظم مواضع الحرفين موضوع الحديث في قوله:

والحكم في الطاء عند التاء   بيانه يأتيك بلا خفاء

وهي (لئن بسطت) (ما فرطتم) بالصديق   و(أحطت) مع (فرطت) بالتحقيق

طاؤها بالسكون بلا امتراء   والشدُّ بعدها رسا في التاء

أو عَـرِّ الحرفين يا ذا النظر   لبعض الراسمين في الخبر

واختار الراسمون في الكتاب   الشد والسكون بلا ارتياب

ثم الصوت الباقي مع النقصان   سبب للطاء في الإسكان

واللفظ المدغم في التاء   سبب لشدّها يا راء

وهو يريد هنا الإدغام الخالص الذي يدغم فيه الحرف بصوته أي مع صفته والإدغام الناقص وهو الذي يدغم فيه الحرف ويبقى صوته. وهو هنا بعد ذكر الأحرف التي جاءت فيها الطاء مع التاء يبين أن الحكم أن تضع السكون على الطاء وتشدد التاء، أو أن تعري الطاء من السكون والتاء من التشديد على سبيل التخيير وهو قول الخراز[1] الذي استشهدت به في الموضع نفسه من منظومة (الصيانة).

وقد يرى الناظر المتعجل في منظومات الشريف أنه يكرر بعض المواضع ولكنه قد يذكر الحرف في باب الرسم، ويذكره في موضع آخر في باب النقط والضبط وقد يعود إليه مرةً ثالثه في أحكام القراءة، كما فعل في منظومة الصيانة (الأبيات ٢٢٦-٢٢٩) فذكر همزة الاستفهام ورسمها ثم جاء بها هنا مفصلة بمواضعها وأردف ذلك بطريقة ضبطها ونقطها فقال:

فالألف الموصول بعد الاستفهام ... في أحرف تأتيك بالتمام

خلافه أتى عن الرسام ... بسند ثابت بلا إبهام

نحو (ءالله) و(ءالآن) يا ذكي ... و(ء الذكرين) ثم (ءآلسحر) للبصري

فإنها بالبدل المحقق الدراية ... وصفة التسهيل في الروايه

والحذف جاء في الاستفهام ... والثابت الموصول خذ نظامي

ثم احذف الألفين يا ذا النظر ... من همزة الاستفهام قبل الخبر

الألف المقدر للتصوير ... والمبدل من الهمزة يا خبير

ثم اجعل المد على الكحلاء ... من غير صلة ولا ابتداء

---

[1] دليل الحيران: ٢٧١.

فأنت تراه هنا يفصل الأمر بإسناد الخلاف في هذه الحروف إلى الرُّسَّام بالسند الثابت ويذكر ما اتفقوا عليه في هذا الموضع مما بيناه في منظومة الصيانة (البيتان ٢٢٨– ٢٢٩) وما انفرد به الإمام البصري وهو (ءآلسحر) فقط. ثم ذكر الحكم فيها هنا وهو ما لم يذكره هناك وهو الإبدال أو التسهيل ثم بين حكم الضبط فيه وهل يجعل المد عليه أم لا. فإذا وضعت المد عليه جعلته بالكحلاء من دون نقط الصلة ولا نقط الابتداء. وهو ما وجدته مطابقاً لما في مورد الظمآن للخراز[1].

ومع أنه تحدث عن الواوات كثيراً في بقية منظوماته فذكرها في الصيانة ضمن زوائد الألوف والواوات (٣٨٥-٣٨٦) ولكنه أضاف هنا مباحث جديدة أو معالجة للأحكام نفسها بصياغة وتقييد؛ فذكر الواو المحمولة في نحو (قاموا وعملوا) وهي واو الجماعة التي ترسم بعدها الألف الفارقة. وتحدث عن الواو الساكنة بالجزم نحو (لَوَّوْا) و(خَلَوا) وهي الواو التي حذف ثالث الفعل قبلها فذهب وذهبت حركة البناء. ومن هذين القسمين استثنى القسم الثالث من الواوات التي تحدث عنها بعد ذلك فذكر حذف الواو في سبع كلمات جمعها اختصاراً في (فبتسع جذ) فقال:

واسقط الألف بعد الواو	في أحرف معلومة يا راوي
وهي (جاءو) (فاءو) ياذا البال	و(باءو) (لتبوّءو) خذ مثالي
وكذا (عَتَو) (سَعَوْ) يا عان	بسبأ يأتيك مع الفرقان
ثم (ذو) بحذف الألف	حيث ما تأتي في الطرف
وقيدها يأتيك بالتمام	(فَبَتَسع جذ) خذ نظامي

[1] دليل الحيران: ٢٨٩.

والأفعال الستة التي ذكرها هنا حذفت واوها في المصحف وهي الثابتة في الرسم الاصطلاحي التي تسمّى الألف الفارقة وهي التي تكون مع واو الجماعة. والحروف المختصرة التي قيد بها هذه الألفاظ كل حرف منها يقابل أول اللفظ المعني، فالفاء (فاءوا) والباء (باءوا) وهو ثلاثة أحرف في القرآن، والتاء (تبوّؤ) من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴿٩﴾ ﴾ [٩/الحشر] والسين (سعوا) من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴿٥١﴾ ﴾ [٥/ سبأ] والعين (عتوا) من قوله تعالى: ﴿ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[٢١/ الفرقان] والجيم (جاءوا) وهو تسعة مواضع في القرآن. والذال من (ذو) في غير موضع في القرآن. وقد فصل هذه المواضع الإمام الداني في كتابه المختص برسم المصاحف ووافق كلام الشريف ما ذكره الداني رحمهما الله، إلا (ذو) فإن الداني يذكرها بعد هنيهة وأفاد أن الألف تحذف بعدها متى ما أضيفت نحو (ذو الجلال) و(ذو الفضل)[1].

ووقـــف عند كلمات متفرقة في أبواب مختلفة منها رسم كلمة (ليكة) يريد قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [١٧٦/ الشعراء، ١٣/ ص] فقال:

والحـــــذف جـــــاء في الألفـــــين   في (ليكـــــة) المـــــذكورة الحـــــرفين
ثـــم لامهـــا جـــاء بالإلحـــاق   والـــترك في الموصـــول باتفـــاق

وقوله (الحرفين) لأن (أصحاب الأيكة) في القرآن أربعة مواضع، قال الداني: "وكتبوا في كل المصاحف (أصحاب ليكة) في الشعراء (١٧٦) وص (١٣)، بلام من غير ألف قبلها

(١) المقنع ص ٢٦-٢٧.

ولا بعدها. وفي الحجر (٧٨) وق (١٤) (أصحاب الأيكة) بالألف واللام. قال أبو عبيد وكذلك رأيت ذلك في الإمام"[1].

وفي حديثه عن ألف الإلحاق مرّ برسم (هذين) في قراءة أبي عمرو من قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ۝٦٣﴾ [٦٣/ طه] ورسم (جدار) من قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۝١٤﴾ [١٤/ الحشر] وذكر أن الحرفين موضع خلاف بين القراء وذلك قوله:

و(إن هذين) يا ذكي ... ياؤها بالكحلاء للبصري

والخُلْفُ في (جدار) موصوف ... مرسوم بالألف على المعروف

ثم الخلاف في الكلمتين جاء ... للسبعة الأعلام في القراءه

وما أثبته هنا هو قراءة أبي عمرو وابن كثير في (جدار). والباقون (جُدُر) بضم الدال. أما (هذين) فهي لأبي عمرو وحده والباقون بالألف[2].

وتلاحظ هنا أنه جمع بين الوجوه الثلاثة الرسم والضبط والقراءة في هذا الموضع.

وهو لا يتجاوز الوقوف عند اختلاف السبعة متى ما مرّ بموضع له صلة بها يعالجه كما ههنا وكما رأينا في حديثه قبل قليل عن (ءالآن) وأخواتها. أو قوله في موضع آخر هنا في (مقدمة الأحكام) في حديثه عن (لكي) و(ويكأن):

واحجز (لكي لا) بالفصل ... في الحشر والأحزاب ثم النحل

ثم الوصل في (ويكأن) الموضعان ... في القصص يأتيان يا ذا المعاني

والوقف على الكاف للبصري ... ويبتدي بـ(أنه) مروي

---

(1) المقنع: ٢١، التيسير: ١٦٦، النشر: ٢/ ٣٣٦.

(2) التيسير: ١٥١، ٢٠٩.

ثـــم الكســـائي عـــلى اليـــا نُقـــلا ويبتـــدي بـــ (كأنـــه) منفصـــلا

فتراه هنا يقف عند أبي عمرو البصـري والكسـائي ويبـين طـريقتهما في الوقـف عـلى (ويكأن) من قوله تعــالى: ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ القصـص: ٨٢ و+ويكـأنه لا يفلـح" [٨٢/ القصص] وهمــــا موضعان في القرآن كـما ذكـر الشـريف والموضـعان كلاهمـا في سورة القصص.

أما (كي لا) في القرآن فهي سبعة مواضع، كتبت موصولة في أربعة منهـا، ومفصـولة في المواضع الثلاثة الباقية وهي التي أشار إليها الشريف في البيت الأول هنا، وهـي (الحشرـ/ ٧، الأحزاب/ ٣٧، النحل/ ٧٠) وهو كذلك في المصحف.

ومن الألفاظ المتفـرقة التي مر بها (تأمنـا) مـن قـــوله تعـالى: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴿١١﴾ ﴾ [١١/ يوسف] وقد عقد لها فصلاً طـويلاً ذكـر فيـه وجوهـاً سـتة في رسـمها ونقطها وقراءتها فقال:

وســـتة الوجـــوه في تامنـــا تأتيـــك بالتفصـــيل كـــما بينـــا
ثـــم الحـــق رأس النـــون بـــالحمراء في أول الوجـــــــوه والأداء
وبعـــــد حركـــــة الاخـــتلاس معروفـــة بـــالنقط بـــلا التبـــاس
وجـــاء الـــبعض مـــن الرســـام مكتفيـــاً بـــالنقط في الأمـــام
منفـــرداً بـــه عـــن الإلحـــاق منفصـــلاً في الخـــط باتفـــاق
ودع النقطـــة ســـوى الاخـــتلاس حـــذراً مـــن التخلـــيط والالتبـــاس
وجـــاء الوجهـــان في النظـــام مقـــررة في نـــاقص الإدغـــام

وأربعـــة إدغامهـــا جـــاء بـــالتمام مكمـــل ممتـــزج مـــع الإشـــمام
فأولهـــا أتـــى بـــلا عنيـــد برســـم آخـــر النـــونين بالتشـــديد
وجـــرة تكـــون بعـــد المـــيم دلالـــة عـــلى الســـكون يـــا ســـليم
ثـــم انقـــط بعـــدها حركـــة الاخـــتلاس علامـــة الإشـــمام خـــذ قيـــاسي
ووصـــفه الصـــريح في العبـــارة بضـــم الشـــفتين للإشـــارة
مـــن غـــير صـــوت جـــاء للتنبيـــه عـــلى حركـــة النـــون يـــا نبيـــه
أو أســـقط الجـــرة بـــلا ارتيـــاب في الثـــاني المعـــدود في الحســـاب
مكتفيـــاً بـــالنقط والتشـــديد مشـــيراً قبـــل الفـــراغ يـــا مريـــد
ثـــم بـــاقي الوجـــوه في التحريـــر تأتيـــك بـــوجهين بـــلا نكـــير
فاجعـــل حركـــة الاخـــتلاس يـــا فقـــير منقوطـــة بعـــد النـــون في التســـطير
معروفـــة بالوضـــع قبـــل الألـــف منفصـــلة تـــأتي في الطـــرف
والجـــرة الموضـــوعة للإســـكان تكـــون بعـــد المـــيم للبيـــان
وأســـقطها الـــبعض مـــن الأعـــلام مكتفيـــاً بـــالنقط للإشـــمام
ثـــم صـــارت صـــفة الإشـــمام بعـــد انقضـــاء النـــون والـــتمام
والضـــمة المختلســـة المعلومـــه حركـــة لـــلأولى المدغومـــه
وســـبب الإلحـــاق بـــالحمراء دلالـــة عـــلى الســـقوط في الأداء
وســـتة الوجـــوه في النظـــام تقـــررت في (تامنـــا) بـــالتمام

هذا أحد المواضع التي تبين ميل الشريف إلى إيضاح المسألة بكل ما يعرف فيها من وجوه، خصوصاً إذا كانت في الكلمة صعوبة وهي موضع خلاف عند القراء. وقد ناقش الخراز في مورده هذه اللفظة في بيت واحد هو قوله:

ونـــــــون تامنــــــا إذا ألحقتــــــــه فـــانقط أمامـــاً أو بـــه عوضـــته[1]

بينما ناقشها الشريف في أربعة وعشرين بيتاً ذكـر فيهـا الوجـوه السـتة في قـراءة (تأمنـا) ورسمها وضبطها ونقطها. وأصل هذا الفعل (تأْمَنُنَا) بميم مفتوحة ونونين أولاهما مضمومة والثانية مفتوحة وآخرها ألف وإعرابها (تأمن): فعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) يعود على (يعقوب عليه السلام) و(نـا) ضـمير متصـل في محـل نصـب مفعول. قال الإمام أبو عمرو الداني.. "كلهم قرأ (مالك لا تأمَنَّـا). بإدغـام النـون الأولى في الثانية وإشمامها الضم. وحقيقة الإشمام في ذلك أن يشار بالحركة إلى النـون لا بالعضـو إليهـا فيكون ذلك إخفاءً لا إدغاماً صحيحاً لأن الحركة لا تسكن رأساً، بل يضـعف الصـوت بهـا فيفصل بين المدغم والمدغم فيه لذلك. وهذا قول عامة أئمتنا وهـو الصـواب لتأكيـد دلالتـه وصحته في القياس"[2].

والوجوه التي ذكرها الشريف نصّ عليها المارغني[3] في شرحه لبيت الخراز الـذي تقـدم ذكره. وقد مرت في أبيات الشريف هذه مجموعـة مـن المصـطلحات كالإشـمام والاخـتلاس ذكرها الشريف في فصل خاص جمع فيه مصطلحات الرسم والضبط والقراءة والتجويد فقال في المنفصلة عن الخط:

فهـــاك مـــا جـــاء مـــن أشـــكال منفصـــلة في وضـــعها لكـــل تـــال
وهـــي اثنـــا عشـــر في العـــد لا محالـــة الحركـــــة والتنـــــوين والإمالـــــة
والشـــد والســـكون مـــع الإشـــمام والمـــــد والـــــنقط بـــــلا إبهـــــام

---

(1) دليل الحيران: ٤١٤.

(2) التيسير: ١٢٧.

(3) دليل الحيران: ٣١٤.

ثم أحرف الاختلاس معروفة في الخط بلا التباس

ودارة وقلب ومع الابتداء منفصلة... بلا امتراء

محصورة في قيدها بلا ملامه وهي (احتس انشد إقامه)

ثم أردفها بأربعة أخرى هي المتصلة بالخط في قوله:

وأربعة متصلة باتفاق الهمزة والصلة مع الإلحاق

ورابعها جرة المنقول متصلة في ساير النقول

ولن نطيل البحث بتوضيحها هنا لأنها ستأتيك مفصله في المصطلح في منظومات الشريف في المبحث الثالث ولكن القيد الذي ذكره في الخط المنفصل وعلاماته وهو قوله (احتس انشد إقامه) فإن كل حرف منه يقابل الحرف الأول من ألفاظ تلك العلامات؛ كالإمالة والحركة والتنوين ونحوها.

وفي زمان لم تعرف فيه معاجم ألفاظ القرآن لم ينس هؤلاء المشايخ أن يجتهدوا في إحصاء ألفاظ القرآن وحروفه، فأحصوا ألفاظاً مثل (كلا) و(بلى) وعرفوا كم مرة وردت في القرآن ألفاظ معينة، بل ذهبوا إلى عدّ آياته وحروفه. فقال الشريف هنا:

فالألف في ساير القرآن ثمانية وأربعون ألفاً بلا بهتان

ثم الباقي من هذا الوصف سبعمائة وأربعون حرف

وعدد الواوات يا فقير خمسة وعشرون ألفاً بلا نكير

وخمسمائة وستة من الواوات معدودة لسائر الرواة

ثم العدد المعروف من الياءات خمسة وعشرون ألفاً مرويات

وكمل الحساب يا ذا الفهم سبعمائة وسبعة في الرسم

ثـــم جملـــة الحـــروف في القـــرآن ألــف ألــف حــرف بــلا بهتــان
وســبعة وعشــرون أيضــاً فاحصــر وكهـــذا قـــد أتـــى في الخـــبر
وســـــتة آلاف مــــــن الآيــــــات وخمســـــمائة بســـــند الـــــرواة

وذكر بعد ذلك فضل القرآن وأهله والحض على تعلمه والعمل بما فيه والثواب المنتظر كقوله:

وقــــارئ القـــــرآن بالإتقــــان لــه بكــل حــرف زوجــة في الحســان

إلى أن يقول:

وفضـــلهم في الحـــديث لا ينفصـــم لأنهــــم أهــــل الله في الأمــــم
وخـــبر أتـــى عـــن العـــدنان أشراف أمتـــي حملـــة القـــرآن
ثـــم أصـــحاب الليـــل في الظـــلام القـــائمين دائـــماً عـــلى الأقـــدام
وأيضـــاً خـــبر أتـــى يـــا تـــال طلــب الهــدى في غــيره مــن الضــلال
وفضـــله في الخـــبر الصـــحيح الواثـــق كفضـــل الله عـــلى ســـائر الخلائـــق

وكل هذه الأحاديث واردة في الكتب الصحيحة.

وهكذا يتجول بنا الشريف -رحمه الله- في رحاب علوم الرسم والضبط والتجويد والقراءات حتى يأتي إلى ختام هذه المنظومة الطويلة الغنية التي تحتاج إلى دراسة منفصلة وتحقيق متأن وشرح مبسوط إلى أن قال في ختامها:

كالي العلا من العطب   وعصمة وعملا مرضي

واجعل ذريتنا في حمايتك يا قهار   من شر كل حاسد متصف جبار

واعطهم نجابة ومهابة مع الوقار   ونجاة وسلامة من سائر الاشرار

وصحة وتوفيقا في الاعمال   بعدد الايام والليالي

وايضا نطلب الغفران من الوهاب   للوالدين والاشياخ والاحباب

وانفع اللهم به في النظام   طالبا ملتمس الاحكام

يكون دائما في الصغر والامان   والهيبة والرضى من الغفران

ثم الاقارب والاهل مع الاحباب   كائنين دائما في حمية الوهاب

بجاه سيد الورى الامام   محمد المخصوص بالاكرام

صلى عليه ذو الاحسان   بعدد علم الله في الاكوان

وكذا الال مع الاصحاب   والتابعين لهم والاحباب

ثم السلام بعدها للباري   شايحا في الملكوت والغفار

الصفحة الأخيرة من منظومة (مقدمة الأحكام) للشريف محمد الأمين الهندي

نسخة الشيخ محمد التهامي (دار الوثائق)

رابعاً: منظومة الفوائد في علل الهمز والزوائد

هي رابعة منظومات الشريف التي وقفت عليها وترجع ملكية هذه النسخة إلى الشيخ المكاوي الفكي الفضل وهو المذكور في مقدمات المنظومات السابقة. صورها لي مشكوراً الدكتور علي العوض بعد أن طلبت أصول مخطوطات الفكي الفضل تلميذ الشريف محمد الأمين فكتب حفيده الشيخ الجيلي الشيخ المكاوي مشكوراً إلى الدكتور العوض لتسليمي الأصول فاعتذر بعدم وجودها عنده وتكرم علينا بصور منها فجزى الله الجميع خيراً.

تقع المخطوطة في نحو مائتين وخمسة وستين بيتاً كتبت في نحو عشرين صفحة استغرقت المنظومة نحو سبع عشرة صفحة ونصف صفحة وفي بقية الصفحات تنبيهات علقت عليها في المبحث الأخير، وأبيات لغير الناظم في القراءات السبع أوردتها في حديثي عن مصنفات الشريف.

ولهذه المنظومة نسخة أخرى بخط الشيخ المكاوي الفكي الفضل يتبادر إلى الذهن أنه نسخها لنفسه من أصل نسخة الفكي آدم الحلاوي ولكني بمقارنة الصفحة الأولى من المخطوطتين وجدت فروقاً طفيفة لكنها قد تدل على أنه ينقل من أصل آخر؛ فقد خلت من الأبيات الستة التي كتبت بهامش نسخة الحلاوي، ومسطرة صفحة نسخة المكاوي هذه ثمانية عشر سطراً وهي ستة عشر سطراً في نسخة الحلاوي. وفي نسخة الحلاوي بعد البسملة (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم) أما نسخة المكاوي ففيها بعد البسملة (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم). فاختلفت صيغة بداية الصلاة ونقصت كلمة (صحبه) من نسخة الحلاوي. وفي أول أبيات المنظومة كتب الحلاوي (الذي هدانا لطرق الرشد والصواب) وكتب المكاوي (الذي هدانا لطريق الصواب) وفي البيت السابع كتب الحلاوي

(خفية في وضعها) وكتب المكاوي (خفية في موضعها) وكتب الحلاوي في البيت الثامن (في علل الهمز والزوائد) بينما كتب المكاوي (في علل الهمزة) ورسم المكاوي (الضَّبت) بالتاء في البيت الثاني عشر بينما رسمها الحلاوي (الضبط) وهو الصواب. وكلاهما كتب (يبرزها في حالة الميدان) في البيت الحادي عشر والذي في منظومة المعارف (حارة الميدان) وأحسبه الوجه، وقد مرّ هذا الشطر على الشيخ المكاوي الذي له نسخة بخط يده من منظومة المعارف. فإن لم يكن هذا من معتاد صنيع النُّسَّاخ فغالب ظني أن الشيخ المكاوي ينسخ من غير نسخة الفكي الحلاوي وقد فصلت هذا وأشباهه في المبحث الأخير والله أعلم.

وموضوع هذه المنظومة علما الرسم والضبط وذكر فيها الشريف العلل والأسباب في زيادة بعض الحروف في بعض ألفاظ القرآن نحو الألف في ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [٢١/ النمل] والياء في ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ [٤٧/ الذاريات] والواو والألف في ﴿ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٢٨/ فاطر، ١٩٧ الشعراء].

مصادر مادة منظومته:

أما مادة هذه المنظومة فقد استقاها الشريف من مصادرها الأصيلة كعادته في توثيق مادته ونص على ذلك تلميحاً وتصريحاً، أما التلميح فمنه قوله في أحكام +بأييد":

واشتهر هذا الرسم بلا تراخ ... واعتمده الناقلون من الأشياخ

أو قوله في علل لفظة (العلماء):

واحكم بالمدِّ مع الإلحاق ... في الألف قبل الهمزة للحذاق

لعمل الراسمين في النقول ... وانتشر في سائر الأصول

أو قوله:

والعمـــــل بهـــذا جـــاء وارد　　　واختـــاره النـــاقلون في المقاصـــد

وأما التصريح فقوله:

ورســم الهمــزتين في هــذا البيــان　　　معــــزو للإمــــام الـــــداني

وقال في موضع آخر:

وجمــع الهمــزتين هنــا يــا تــال　　　معــزو للإمــام الــداني في الأحــوال

والداني هو أبو عمرو عثمان بن سعيد صاحب (المقنع) في رسوم المصاحف وصاحب المحكم والتيسير بل هو إمام هذا الفن بلا منازع كما أشرنا إليه. وفي آخر صفحات هذه المنظومة تعليقات وشروح إن تكن للشريف كما ذهب إليه الدكتور العوض[1] – ولا أستبعد ذلك– نصّ فيها على تفريعات وشروح وتعليلات معزوة لمشاهير هذا الفن كالتجيبي والتونسي واللبيب وأبي داود صاحب التنزيل وهؤلاء هم شيوخ الرسم والضبط بين المغاربة وقد أشرنا إليهم من قبل.

ومما نسبه للتونسي خاصة قوله في وجوه كلمة (تلقاءِ):

والتونســـي جـــاء يـــا فقـــير　　　بغـــير هـــذا الرســـم والتحريـــر

والتونسي هو محمد بن عبد الله بن عبد الحميد التونسي أحد شراح منظومة الخرازي في الضبط والهجا وهي التي شرحها من السودانيين الشيخ عبد الرحمن الأعبش وأكد الشريف على مصادره القيمة في ختامها أيضاً في قوله:

(1) القراءات والرسم: ٣٥٦.

وهنــــا تكملـــت علـــل الزوائـــد	محمولـــة بـــدرر الفوائـــد
مجموعـــة مـــن زبـــد التجويـــد	كافيـــة للراغـــب المريـــد
تحريرهــــا أتـــى يـــا صـــاح	مــن تــونس وأنــدلس وجملـة النــواحي

بدأ الشريف -رحمه الله- هذه المنظومة كعادته في ساير منظوماته قائلاً:

الحمـــد لله المـــنعم الوهــــاب	الــذي هــدانا لطــرق الصــواب
وأرســل لنــا رســوله بــالحق	هدايـــة ورحمـــة للخلـــق
وأنـــزل كتابـــه للإرشـــاد	عـــلى رســوله المصــطفى الهـــاد
محمـــد ذي الشـــرف الأثيـــل	والفضـــل والتعظـــيم والتبجيـــل
وبعـــد فـــاعلم أن في الكتـــاب	مواضـــعاً تخفـــى عـــلى الطـــلاب
خفيـــة في وضـــعها عـــلى الحـــروف	مقـــررة بالســـند المعـــروف
جمعتهــــا ســـميتها الفوائـــد	في علـــل الهمـــزة والزوائـــد

إلى أن يقول مبيناً فائدتها وبعض فصولها:

لأنهـــا مـــن مشـــكلات الضـــبط	أحكامهـــا مختلفـــة في الـــنقط
تقـــرب الأقصـــى مـــن الأشـــكال	وتـــنعش القـــاصرين في المقـــال
لكونهـــا حـــوت غـــوامض الفوائـــد	في العلـــل والهمـــز والزوائـــد
مـــن تقويـــة وفصـــل ودلالـــة	وحمـــل عـــلى الحـــروف لا محالـــه
وصـــور للهمـــز بـــلا خفـــاء	مـــن ألـــف أو واو أو مـــن يـــاءِ

وهكذا إلى أن يصل إلى تفصيل بعض أشكال الرسم ومواضع النقط وألوانه ويضع لها قاعدة عامة فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال السيد ... الهندي
[illegible] لوها ... الذي هدينا الطريق الأول

وارسل الينا رسوله بالحق هداية ورحمة للخلق
وانزل كتابه للارشاد على رسوله المصطفى الهادي
محمد ذي الشرف الاثيل والفضل والتعظيم والتبجيل
عليه افضل الصلاة والسلام وآله ما دامت الليالي والايام
[illegible] ان في الكتاب مواضعا تخفى على الطلاب
خفية في وضعها على الحروف مقررة بالسند المعروف
جمعتها سميتها الفوائد في علل الهمزة والزوائد
بارزة بالمعاني بامر لد حاوية لمقاصد التجويد
مشحونة بالوضع والترتيب مفتقرة لقارئ اديب
يبرزها في حالة الميدان منشورة بيد المعاني
لانها من مشكلات الفن احكامها مختلفة في النقط
تقرب الافهام من الاشكال وتنعش القاصرين من الطلاب
لكونها حوت غوامض الفوائد في العلل والهمز والزوائد
من نقوله وفصل ودلالة وصح على الحروف لا محالة
وصور للهمز بلا اخفاء من الف او واو او من ياء

الصفحة الأولى من منظومة (الفوائد) للشريف الأمين الهندي
نسخة الشيخ المكاوي الفكي الفضل

فهـــاك مـــا أقـــول مـــن فوائـــد في علـــل الهمـــز والزوائـــد
فبعضـــها مـــلازم للـــداره وبعضـها في الحكـم خـال مـن أمـاره
بيانهـــا يأتيـــك في التمثيـــل مختلـــف الأحـــوال في التعليـــل
ثـــم حـــروف الـــدارة في المعـــروف ســـاقطة في الوصـــل والوقـــوف
مرســـومة في الخـــط بـــالكحلاء معدومـــة في اللفـــظ والهجـــاء
دارتهـــا في الوضـــع يـــا مطيـــع مفضـــلة في الخـــط للجميـــع
هـــذا الـــذي عليـــه دارة المزيـــد في ســـاير النقـــول والتجويـــد
والأحـــرف الموجـــودة في الإشـــارة عاريـــة في رســـمها مـــن داره

وحاصل كلامه في هذه الأبيات أن دارة المزيد هي العلامة التي توضع فوق الأحرف الزائدة. ووضعها يفيد أن هذه الأحرف تسقط في الوصل والوقف فلا ينطق بها في الحالين، ثم بيّن أن مداد الأحرف الزائدة هو الكحلة أي السواد الذي تكتب به الحروف الأصلية في القرآن ولكن الدارة تكون فوقها منفصلة عنها مكتوبة بالحمرة. وهو الذي أشار إليه الخراز بقوله[1]:

فـــدارة تلـــزم ذا المزيـــدا مـــن فوقـــه علامـــةً إنْ زيـــدا

ثم شرع بعد ذلك في فصول منظومته وهي تسعة فصول في (لا أذبحنه، لا إلى الجحيم، العلمؤا، فبإي، تلقاءى بأييد، بأييكم، بأييم، اللاي)، ولكن الفصل الواحد قد يتضمن كلمة واحدة ويعمم الحكم على نظائرها كما في الفصل الذي عقده في بيان +لا أذبحنه" فقال عنها:

(1) دليل الحيران: ٣٢٥.

(لأ أذبحنّـــــه) وجملـــــة النظــــائر	معروفـــة بالـــدارة يـــا نـــاظر
والألـــــف المتصـــــل بـــــاللام	صــــورة للهمـــز بـــلا إيهـــام
والألـــف المنفـــرد يـــا ذا الإفـــادة	فاجعــــل عليــــه دارة الزيـــادة
تقويــــة للهمــــز قـــل يــــا واع	أو دلالـــــة لهـــا عـــلى الإشـــباع
أو هــــو صـــورة بــــلا خفـــاء	لحركـــــــة الهمـــــــزة في الأداء
أو اجعــــــل الألــــــف يــــا راء	حركـة للهمـزة المزبـورة بـلا امـتراء
فهــــذه أربعــــة مـــن التعليـــل	معروفـــة بالوضــــع والــــدليل

ولعـل الأحـرف المشـابهة لهـذا الحـرف هـي: (لاأوضـعوا[٢١/ التوبـة]، لاإلى الجحـيم[٦٨/ الصـافات]، لاإلى الله [١٥٨/ آل عمـران]، لا أتوهـا[١٤/ الأحـزاب]، لأ أنتم[١٥/ الحشر]).

وهو قد يعنون الفصل بكلمة كان يمكن أن تجمع مـع نظائرهـا كـما في (لا إلى الجحـيم) التي ذكرت في الفصل السابق ولكن علة ذكرها في فصل مستقل ربما كانت لاختلاف وضـع صورتها فهذه أسفل الألف و(لا أذبحنه) فوق الألف. فيكون المقصود بنظائر الفصل السابق الألفاظ المفتوحة الهمزة وهي ثلاثة ونظائر هذا الفصل الألف المكسورة الهمزة وهمـا لفظـان كما أجملناه آنفاً.

وقد يعنون الشريف الفصل بكلمة ولكـن قـد تنـدرج تحتهـا كلـمات مـن بابهـا أو أنهـا تشاركها في مطلق الزيادة كما في هذا الفصل الذي عقده للفظة (لا إلى الجحيم) ولو مضـى في ذلك لكان حكماً مطرداً ولكنه أدخل في هذا الفصل نظائر له في الزيادة لا في السبب فتحـدث عن مائة [مائة]، وجائ [جيئ] وتايئسو [تيأسوا] ويايئس [ييأس] ولشاي [لشيء] والربـوا [الربا] وامروا [امرؤ] ولولو [لؤلؤا] وإذا [إذن] ولنسفعا [لنسعفن] وليكونا [ليكونن].

ومن الألفاظ التي علل لها في هذا الباب كلمة (لشيء) وهي من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢٣/ الكهف] فقال عنها:

وألـف (لشـايء) أثبتـه بعـد الشـين	واجعـل عليـه دارة يـا فطـين
واردد اليـاء بعـدها يـا فقـير	وهمـزة تليهـا في التسـطير
اختصـت الزيـادة بكسـر الـلام	وغيرهـا عـلى الأصـل بـالتمام
والفـرق في (شـتى) أتـى مـروي	ولا (لَشـيء) المفتـوح يـا ذكـي
وعلـة الزيـادة في الأنـواع	تقويـة أو دلالـة عـلى الإشـباع

وكُتب بهامش أصل المخطوطة تعليل محكم لعلة زيادة الألف في (لشيء) وهو كالشرح لهذه الأبيات. فالناظم يقول إن كلمة (لشيء) تثبت الألف بعد شينها وهذا منقول عن الثقات، قال الداني: قال محمد بن عيسى القطعي: في مصحف عبدالله رأيت كلها بالألف (شايء)[1]. ويستمر الشريف في وصف ضبطها فيقول اجعل دارة المزيد على الألف، واردد الياء أي عرقها إلى الوراء وضع الهمزة وراءها على السطر. ثم ذكر أن علة زيادة الألف لأن لام (لشيء) مكسورة فرقاً بينها وبين (لشَّتى) يعني من قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [٤/ الليل] و(لشيء) المفتوحة اللام يعني من قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [٥/ ص] فزيدت الألف تقوية أو إشباعاً أو فرقاً؛ وهذا مضمون ما أثبت بهامش الأصل ونصه كما يلي: "وألف (لشيء)" في الكهف فقيل زيدت الألف تقوية وتبييناً والحاجز غير معتبر كما تقدم وقيل دلالة على إشباع حركة الشين وقيل فرقاً بينه وبين (لشَّتى) فكتب ألفه

---

(1) المقنع: ٤٢.

بالياء وهذا عندي ضعيف لأنه ثلاثي خطاً و(لشتى) رباعي خطاً والصواب عندي على هـذا التعليل أنها زيدت فيه فرقاً بينه وبين (لشيء) المفتوح اللام (لشيء عجـاب) لتسـاويهما خطـاً وخصت الزيادة بالمكسورة لاتحاده وتعدد غيره. فإن قلت فهلا زيـدت عـلى هـذا التقـدير في (لشيء) التي في النحل [ ] للفرق بينه وبين فتح لامه؟ قلت كأنهم لم يفعلوا ذلك والله أعلـم لقصدهم أن يفرقوا بين ما في الكهف لكون ما في النحل مراد الله تعالى ولم يناسب أن يـدخل فيه تغيير أما في الكهف لما كان مراداً للمخلوق [ناسب] أن يدخل فيه تغيير؛ إذ مراد العباد قد يكون إذا ساعدته إرادة الله تعالى وقد لا يكـون إذا لم تسـاعده إرادة الله". ويـذهب الـدكتور العوض[1] إلى نسبة هذا الكلام للشريف ولا أستبعد ذلك لتمكن الشريف ولكـن لم أسـتوثق منه. وكلهم يريدون بيان رسم ألفاظ القرآن المتشابهة لتسهل قراءتها إذ كان الخـط قـديماً غـير مقعد ولا واضح المعالم فاحتاجوا إلى مثل هذا التفريق الذي بذلوا الغايـة في ضـبطه وتحريـره واجتهدوا في تعليل وجوه ما جهلوا علته.

وقد علل الشريف في هذه المنظومة لحروف مرّ بها سريعاً في منظوماته الأخر فأفردها هنا بعد أن ذكر هناك رسمها وضبطها فجاء بها هنا ليبين علة ذلك الرسم والضبط كما فعل بكلمة +بأييد" من قوله تعالى +والسماء بنيناهـا بأييـد"[٤٧/ الـذاريات] التـي مـرت في منظومـة الصيانة: في قوله (البيت ٣٥٧، ٣٥٨):

ثـم بنـى السـماء قـل (بأييـد)	تكتـب يـاءين بـدون ردِّ
لـلأولى جـرة السـكون العاليـهْ	ودارة المزيـد فـوق الثانيـهْ

[1]) القراءات والرسم: ٣٥٦.

واقطع اللهم بنا النظام طالبا ملتمس الاحكام
بجاه سيد الورى الامام صلى عليه ربنا في ساير الاحكام
محمد المخصوص بالاكرام وءاله وصحبه الكرام

وقد تم هذا الكتاب بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير
الى السيد مادام الفقيه احمد الحاج فضل الله الى التقي النقي
العالم العلامة الفقيه عبد الله ولد حاج حافد نفعنا الله به
والمسلمين امين وقد ما اختتام رسمه نهار الاربعا الموافق
١٥ ربيع ثاني سنة ١٣٠٣

التنبيه الثاني جرت عادة كثير من المتاخرين بالتنبيه
في هذا الباب على حكم الياء المتطرفة هل هي معرقة الى قدام
وهو المعبر عنه بالوقص او مردا الى خلف وهو المعبر عنه بالعقص
والمناسبة من زيادة الياء طرفا نحو من نباي واعلم ان الداني
لا نص له في ذلك واما ابو داود فقال في قوله تعالى فاذكروني اذكركم
بيا وصل في المصاحف وقص وفي بعضها عقص واستحبوا لمن قراها
بالفتح الوقص ولمن قراها بالاسكان العقص واما التجيبي
فقال ان قلبت او فتحت او فتح ما قبلها فوقص وان انكسرت وانكسر
ما قبلها فتعقص ومن اهل العراق ان الوقص في المسكور ما قبله

الصفحة الأخيرة من منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) للشريف محمد الأمين الهندي.
بخط الفكي آدم الحلاوي (نسخة الشيخ المكاوي الفكي الفضل).

فهو كما تراه هنا يذكر رسمها بياءين دون تـردد أو رد لهـذا الرسـم لأنـه ثابـت في المصـحف الإمام، وذكر بعد ذلك ضبطها ونقطها بأن يجعل السكون على الياء الأولى ودارة المزيـد عـلى الثانية. ولم يذكر العلة هناك فجاء هنا في منظومة (الفوائد) وذكر علة ذلـك الرسـم والضـبط فقال:

وزد آخـــر اليـــاءين في التعليـــل ... مـــن (بأييـــد) المـــذكورة في التنزيـــل
وعلـــة الزيـــادة يـــا ذا القصـــد ... للفـــرق بيـــنهما وبـــين (الأيـــدي)
والهمـــزة الأصـــلية قـــل للفـــاء ... واليـــاء للعـــين بـــلا امـــتراء
وداهـــا الأخـــير في النـــزول ... تقـــديرها لـــلام في الأصـــول
والأيـــدي المضـــافة للحـــروف ... تحريرهـــا في الـــوزن قـــل معـــروف
واليـــاء بعـــد الهمـــزة في النقـــل ... فاؤهـــا تحـــررت في الأصـــل
وداهـــا للعـــين انـــصرفا ... واليـــاء لـــلام كـــن معترفـــا
والهمـــزة القطعيـــة في المنقـــول ... خرجـــت عـــن الـــوزن والأصـــول
وثبتـــت اليـــاء بعـــد الـــدال ... في (الأيـــدي) المضـــافة يـــا ذا البـــال
والـــنقط جـــاء في التعليـــل ... للفـــرق الكـــائن في التفصـــيل
واجعـــل الهمـــزة في ذا الفصـــل ... عـــلى الألـــف المصـــور للنقـــل
ثـــم اجعلـــن دارة المزيـــد ... عـــلى آخـــر اليـــاءين بـــلا ترديـــد
وأيضـــاً جـــرة في موضـــع الإســـكان ... في أول اليـــاءين للبيـــان
واشـــتهر هـــذا الرســـم بـــلا تـــراخ ... واعتمـــده الناســـخون مـــن الأشـــياخ
وإن جعلـــت آخـــر اليـــاءين يـــا فقـــير ... للعـــين الكـــائن في التقـــدير
فـــالألف مـــع اليـــاء صـــورتان ... في التحقيـــق والتســـهيل واردان

فاجعــــل المحققـــة عـــلي الألـــف	وهمــزة التسـهيل قـل في الطـرف
ورســم الهمــزتين في هــذا البيــان	معـــزو للإمـــام الـــداني
ثـــم الـــبعض مـــن القـــراء	فـــرق بـــين الهمـــزتين في الأداء
والهمـــــزة في هـــذا يــــا راء	عـــلي الألـــف المصـور بعـد اليـاء
وأول اليــــاءين في النظـــــام	مجـرد مــن مطلـــق الأحكـــام
أو اجعـــل المســـهلة عـــلى اليـــاء	وعـــر الألـــف مـــن ســـاير الأداء
واختـــار الـــبعض مـــن الأعيـــان	اليـــاء صـــورةً لهمـــزة البيـــان
والهمـــزة عـــلى الأولى في النقـــل	تحريرهـــا عـــلى مـــراد الوصـــل
وزد الألـــــف بـــــلا ترديـــــد	واجعـــل عليـــه دارة المزيـــد
تقويــــة للهمـــــزة المرســـومه	عـــلى أول اليـــاءين قـــل مفهومـــه
أو اجعـل الألـف مـع اليـاء صـورتان	للهمــــــزة المرســـــومة واردان
والهمـــزة مـــع الحركـــة بـــلا خفـــاء	عـــلى الألـــف المتصـــل باليـــاء
وعـــر أول اليـــاءين مـــن أحكـــام	لعلـــة التصـــوير في الكـــلام
ثـــم علـــل الزوائـــد في الأصـــول	تفرعـــت مـــن ســـاير المنقـــول

والعلل التي أفرد لها الشريف رحمه الله هذه المنظومة كاملة أوجزها الخراز في ثمانية أبيات رصـينة حـاوية ولكنها صعبة على غير الممارس لهذا العلم الشائك[1].

أما الشريف فما ترك علة رويت في هذا الباب إلا أوردها. وقد اعتمد في ذلك عـلى كبـار الأئمة ومشاهير الأشياخ فذكر الإمام الداني وهو إمام أهل الرسم والضبط وذكـر الأشـياخ

(1) انظر: دليل الحيران: ٣٢٥.

الثقات الذين نقل عنهم هذه الأوجه. وفي هذا دليل على تبحر الشريف في هذه العلوم وسعة روايته وحسن درايته. وقد ذكر هنا أن زيادة الياء في (بأييد) هو للفرق بينها وبين (الأيدي) وهذا ما ذكره الخراز وهو أحد مصادر الشريف المهمة وأحد الأشياخ الذين يحيل عليهم وينهل منهم، قال الخراز:

وآخر الياءين من (بأييد) للفرق بينه وبين الأيدي[1]

فـ(الأيدُ) في اللغة هو القوة، أما (الأيدي) فهي جمع (يد).وقد علل الشريف زيادتها بصورة تدل على تمكنه من علم الصرف ففرق في الميزان الصرفي بين الكلمتين: فقال إن كلمة (الأَيْد) بمعنى القوة الهمزة فيها تقابل الفاء والياء تقابل العين والدال تقابل اللام (أَيَدَ = فَعَلَ). (أما الأيدي المضافة للحروف) ويعني بها قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ [١٥/ عبس] ﴿أَيْدِى ٱلنَّاسِ ۝٤١﴾ [٤١/ الروم، ٢٠/ الفتح] ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [٢/ الحشر] فهذه أربعة مواضع جاءت فيها (الأيدي) مضافة إلى ما بعدها وكلها جمع (يد) وهي غير الأولى لذلك جعل هذه في الميزان الصرفي معروفة الأصول ووزنها بأن تجعل همزة القطع فيها زائدة خارجة عن الأصل والياء منها تقابل الفاء، والدال تقابل العين والياء الأخيرة تقابل اللام (يَدَيَ = فَعَلَ) فهو يريد أن يدل على أن الأصول الصرفية للكلمتين مختلفة لذلك جيء بالياء الزائدة فرقاً بين الأصلين. وكل هذا مذكور عند الداني والمارغني في شرحه على الخراز[2].

---

(1) دليل الحيران: ٣٢٥.

(2) المقنع: ٤٧، دليل الحيران: ٣٢٥.

ولكن الشريف تميز بجمع الوجوه والعلل التي وردت متفرقة في مصنفات هؤلاء الأئمة فأغنى بها منظومته؛ يقول الدكتور العوض: "وقد اشتملت منظومة الفوائد في علل الهمز والزوائد للهندي على الحديث عن هذه الزوائد والتعليل لها بما يدل على تبحر الهندي وغوصه في مسائل علم الضبط ومعرفته به... وعلل الزوائد التي تحدث عنها الهندي بالتفصيل لم يتكلم عنها كثير من علماء الضبط، خاصة في الكتب المختصرة مثل دليل الحيران على مورد الظمآن للمارغني و(لطائف البيان) لأبي زيت حار وإنما اعتنى بذكرها والاهتمام بها بعض من العلماء، أمثال الشيخ ابن عاشر الأندلسي في شرحه على (مورد الظمآن) ومن السودانيين عبدالرحمن الأغبش في كتابه (مصباح الدجا) في الضبط"[1].

ولموسوعية الشريف رحمه الله وغزارة علمه في علوم القرآن لا يكتفي بذكر الرسم والضبط وتوضيحه بل ينسب كثيراً من وجوه القراءات إلى القراء فإلمامه التام بالقراءات السبع يجعله يقف عندها كلما مر عليه ما يرى فيه زيادة إيضاح وتوثيق لوجوه القراءات لأصحابها ويشير تلميحاً وتصريحاً، كما قال في حديثه عن (بأييد):

ثم بعض من القراء فرق بين الهمزتين في الأداء

ولكنه يصرح بأبي عمرو وورش كثيراً ويذكر الكوفي ولعله عاصم. قال مرة في حديثه عن رسم لفظة (تلقاءِ) فذكر ورشاً وعاصماً:

تحريكها أتى لورشهم يا تال بحركه خفيفة المثال

ثم اجعل الهمزة قبل الياء على مذهب الكوفيّ في الأداء

[1] القراءات والرسم: ٣٥٨ – ٣٥٩.

وهنا يعلق الدكتور العوض قائلاً: "ونلاحظ أن الهندي تكلم في نظمه عن رسم كلمة (اللائي) وضبطها على عدد من القراءات غير قراءة أبي عمرو وذكر ورشاً والكوفيين مما يدل على علمه الواسع برسم القرآن وضبطه في المصاحف الستة التي بعث بها سيدنا عثمان إلى الأمصار وفي ذلك دليل على تفرُّده وسعة علمه"[2].

أما أبو عمرو فهو لا ينفك يتابع حروفه ويكني عنه بالفتى النحوي فذكره في الموضع نفسه بقوله:

ثم صور الهمزة تحت الياء ... لبعض الراسمين من القراء

والمد أيضاً واجب يا عان ... والوقف جاء بالإسكان

ثبوته باللفظ يا ذكيْ ... للفتى المحرر النحوي

وفي تعليلاته لزيادة الواو في (سأوريكم) [١٤٥: الأعراف . ٣٧: الأنبياء] قال:

وحكمها لورشهم مع الإسكان ... مختلف الأحوال في البيان

وفي أحكام (واللائي)[٤: الطلاق] قال أيضاً:

واختار بعضهم جميعها مع الداره ... وجهان لورشهم جهاره

وقد اختصرت الحديث عن هذه المنظومة (الفوائدفي علل الهمز والزوائد) لأني وجدت الدكتور العوض قد استعرضها في رسالته للدكتوراه وأفردها بتعليق خاص أيضاً وإن كان تعليقه المفرد عليها مستلاً من رسالته للدكتوراه مع شيء من الإضافات.

(٢) القراءات والرسم: ٣٦١.

هذا، ولم يخل عمل الدكتور علي –وفقه الله– من هنات كحال كل عمل كبير فوقع في تعليقه شيء من التصحيف والتطبيع ومفارقة ضبط الأصل، والضبط في علوم القرآن والقراءات ركن ركين. ومن ذلك بعض الهنات النحوية كقوله:

(ضُبِطَتْ كثيراً) [ص ٥] والصواب بالرفع. وقوله (في خمسة وستين ومائتين بيتاً) [ص ٥] أثبت نون المثنى المضاف وميز المئة بمنصوب والصواب (ومائتي بيتٍ). وقوله (في كل صفحة ست عشرة سطراً) [ص ٥] والصواب (ستة عشر سطراً) وقوله (سنة ثلاثة وعشرين) [ص ١٧] والصواب: سنة ثلاث وعشرين: وقوله: (كتبت كلمة العلماء ستة مرات) والصواب: (ست) وقوله (أقول إن هناك اختلاف) [ص ٩] والصواب (اختلافاً).

وبعض الهفوات الإملائية منها:

- نقط الألفات اللينات مثل: (علي) [ص ٢ + ص ٣]. وإهمال نقط الياءات نحو (هى) [ص٢].

- إهمال الهمز في نحو (الاشكال – اعراب – اعجام – الاعراب – الاعجام)[ص ٣] وكلها رباعية مهموزة.

- رسم الشيء بياءين [ص ٣].

- كتب الناسخ (وتركها معزو للنحات) هكذا وجدها ونقلها كما هي وكتبها الصحيح بالتاء المربوطة (النحاة).

وفارق الأصل في ضبط بعض مفردات المنظومة أو ضبطها من عنده ولم يدقق. ومن مفارقة الأصل قوله (وبعد فاعلم أن في الكتاب مواضع...) والذي في الأصل (مواضعاً) وحقه المنع ولكن ضرورة النظم تجيزه.

وضبط:

- وإن جعلـــت الهمـــز يـــا مريـــدُ   تحـــت الألـــف المنفصـــل الفريـــدُ

ضم دال العروضة والضرب والوجه كسرهما (يا مريدي) و(الفريدِ).

وأمثال هذا كثير، وكله لا يقدح في عمله الجليل وإنما الضبط والتجويد ركـن أسـاس في عمل يتعلق بالكتاب العزيز وبعلومه وبمصنفات هؤلاء الأئمة المحققين. وقـد وقفـت عنـد كثير من آرائه وبعض الأوهام التي وقع فيها ونبّهت عليها في مواضعها.

هذا، وقد ختم الشريف منظومته بالدعاء كعادته فدعا لوالديه وأشياخه وإخوانه وأحبابه وذريته ثم قال:

وانفـــع اللهـــم بـــذا النظـــام   طالبـــاً ملـــتمس الأحكـــام

بجـــاه ســـيد الـــورى الإمـــام   صـــلى عليـــه ربنـــا في ســـائر الأحكـــام

محمـــد المخصـــوص بـــالإكرام   وآلـــه وصـــحبه الكـــرام

وبهذا العرض المقتضب نختم حديثنا عن منظومته (الفوائد في علل الهمز والزوائد) وقد بسط فيها الشريف العلل وأبان الوجوه المنقولة عن الثقات في رسم زوائـد القـرآن وخـاض فيها رحمه الله بعلم ودراية وبصر فجمع ما تفرق في مصنفات السابقين وحرّر ما نقلـه الـرواة ووثق أقوال أهل الرسم بصبر واستقصاء، فلهذا تميزت مصـنفاته بـالثراء والغنـى والرصـد الدقيق وتحري الأسانيد وتوثيق المرويات باعتماده على أئمـة هـذا الفـن وبرجوعـه إلى أشـهر مصنفاتهم وأوثقها. وقد كشف عمله في هذه المنظومة وغيرها عن عالم وحافظ ضابط يتـدفق علماً ومعرفة، فحق له بذلك أن يكون من أئمة القرآن وعلومه ليس في السودان وحده بـل في كل مكان تصل إليه مصنفاته هذه. وهذا ما جعله قبلة قاصدي علوم القرآن في زمانه، وجعل مصنفاته كنوزاً يدخرها العارفون بخباياها ويرجع إليها المختلفون فهي الفيصل فيما يختلفون فيه والحكم الذي لا ترد حكومته.

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

الحمد لله المنعم الوهاب الذي هدينا لطرق الرشد والصواب

وارسل لنا رسوله بالحق هدية ورحمة للخلق

وانزل كتابه للارشاد على رسوله المصطفى الهاد

محمد ذي الشرف الاثيل والفضل والتعظيم والتبجيل

عليه افضل الصلاة والسلام وآله ما دامت الليالي والايام

وبعد فاعلم ان في الكتاب مواضعا تخفى على الطلاب

خفيتي في وضعها على الحروف مقررة بالسند المعروف

جمعتها سميتها الفوائد في علل الهمز والزوائد

بارزة بالمعاني باهية حاوية لمقاصد التجويد

مشحونة بالوضع والتركيب مفتقرة لقارئ اديب

يبرزها في حالة الميدات منشورة بعلل السعات

لانها من مشكلات الضبط احكامها مختلفة في النقط

تقرب الاقصا من الاشكال وتنعش القاصرين في المقال

لكونها حوت غوامض الفوائد في العلل والهمز والزوائد

من تقوية وفصل ودلالة وحمل على الحروف لا محالة

ومنور

الصفحة الأولى من منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) للشريف محمد الأمين الهندي.

بخط الفكي آدم الحلاوي

نسخة الشيخ المكاوي الفكي الفضل

ب- مصنفات لم أقف عليها:

خامساً: النَّورانية

هي المنظومة الخامسة من منظومات الشريف محمد الأمين في علوم القرآن. ذكر الدكتور علي العوض أنها تعالج المدود في القرآن وأضاف أن الشيخ محمد الهادي مدير الدراسات الدينية سابقاً أكد له أنه وجد هذا المخطوط في إحدى الخلاوي واطلع عليه. ثم أكد الشريف أحمد بن الخليفة الشريف الصديق أن والده الخليفة الشريف الصديق الهندي -بارك الله في أيامه- عثر على أحد مؤلفات الشريف محمد الأمين في التجويد وهو كتاب (النورانية) وجده عند أحد القضاة في سنار[1]. وهذا ما بلغه علمي عنها حتى الآن. وقد جوّد الشريف الحديث عن المدِّ في منظومة الصيانة في الأبيات (من ٣٩١ - ٤٥٨) ولعل النورانية تكون حاوية تفصيلاً أكثر وتعليلاً وتمثيلاً أو لعلها تكون اختصت بتفصيل لنوع مخصوص من المدود في القرآن.

سادساً وسابعاً: مجموعة البيان وعقيلة أتراب القصائد

مجموعة البيان وعقيلة أتراب القصائد، ذكرهما الأستاذ الطيب محمد الطيب[2] وكان قد ذكرهما من قبل في مخطوطة مختصرة عن (خلوة نوّارة)، وسمى الأول (مجموع البيان) وذكر أن الكتب التي ألفها الشريف محمد الأمين عشرة كتب عن علم القرآن والتجويد وأنها استعملت على عهدي التركية والمهدية. وذكرها الشريف محمد الأمين الشريف عمر الهندي

---

(١) مجلة الفيض: ٤٢.

(٢) المسيد: ٣٠٦.

في مقدمة رياض المديح[1]. وذكر هذان المصدران كتاباً آخر سمياه (العانة) وأحسبه تصحيفاً لاسم (الصيانة) وهي المخطوطة التي مضى ذكرها. هذا والمعلوم أن (عقيلة أتراب القصائد) هكذا بهذه التسمية هي القصيدة المشهورة للإمام الشاطبي وقد نظم فيها كتاب (المقنع) في رسم المصاحف للإمام أبي عمرو الداني.

ج- المفقود من مصنفاته:

تواترت الروايات بأن للشريف عشرة كتب في علوم القرآن، والذي بلغنا منها يقيناً هي الخمسة الأولى التي قدمت الحديث عنها. ودلت الدراسة والبحث على أن للشريف كتباً أخرى بالفعل فقد وقعت في حواشي بعض منظوماته تعليقات غالب الظن أنها للشريف من بعض كتبه المفقودة لأنها تعالج الموضوعات نفسها وفيها تفريعات وبسط للوجوه يدل على تمكن كتمكن الشريف وسأورد شيئاً من ذلك، ومنه ما جاء في الصفحة الأولى والخامسة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة من منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) للشريف. وكالحديث عن صفات الحروف في أولى صفحات منظومة الصيانة وفي آخر صفحاتها أيضاً. وفي المعارف نسخة الشيخ المكاوي صفحتان في آخرها عن الرسم. وربما كان المعاصرون له أو تلاميذه يعرفون هذا له، ولذلك ذكروا العدد المشار إليه عن كتبه، يقول الدكتور العوض: "ومصداقاً لقولهم هذا فإني وجدت عدداً من الأبيات في رسم القرآن الكريم نسبت له لم أجدها في مؤلفاته التي وقفت عليها واستعرضتها في هذا البحث، وذلك مثل الأبيات التي وجدتها في هامش المصحف الذي كتبه نخبة من الخُطَّاط من تلاميذه لابنه الشريف يوسف عندما طلب منهم كتابة مصحف يكون مرجعاً وإماماً، وهو ما يسمونه بالمصحف (الفحل)

---

[1] رياض المديح: ١٤

– بعد تفرق تلك الجموع الكثيرة في خلاوى والده بنوارة وغيرها من الخلاوى التي هجرها أصحابها وأقبلوا على المدارس بعد الحكم الإنجليزي للسودان، ومن هذه الأبيات التي تنسب له...:

وأكون رسمها بالواو ... للإمام المازني الراوي

ورسمها بالواو قل مختار ... لسائر المغاربة الأحبار

لكن حذفها جرى به العمل ... والراجح الإثبات والحذف أقل

وكذلك الأبيات التي تتحدث عن كلمة (الأيكة):

ولا تلحق ألف التعريف ... في (ليكة) المحذوفة بلا تعريف

وألحق الذي بعد اللام ... في أظهر الأقوال للرسام

فلم أجد هذه الأبيات في مؤلفاته التي كتبها في علوم القرآن الكريم، وهي الصيانة والمعارف، ومقدمة الأحكام والفوائد في علل الهمز والزوائد، وهذا ما يؤكد أن له عدة مؤلفات غير هذه»[1].

وتأكيداً لكلام الباحث الكريم فقد درست منظومات الشريف الأربع كما تقدم ولم أجد بالفعل الأبيات التي أشار إليها. أما الحديث عن (وأكون) فلي فيه وقفة مطولة في المبحث الأخير. وأما (الأيكة) فقد ذكرها الشريف في نظم غير هذا كعادته في ذكر بعض ألفاظ القرآن في موضع لبيان حكم وإعادة ذكرها في موضع آخر لبيان حكم آخر. فقد ذكر (الأيكة) في منظومة (مقدمة الأحكام) كما مر بك.

---

(1) القراءات والرسم: ٢٧٩، ٢٨١.

هذا وقد وجدت نساخ منظومات الشريف يضيفون بهوامشها أبياتاً غالب ظني أنها للشريف لتشابه النظم ووحدة المصطلح وطريقة معالجة الأحكام كالذي وجدته في أولى صفحات منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) وهي ستة أبيات تقول:

فهاك ما زيد من الهجاء ... لبعض القراء بلا امتراء

وهي (الرسولا والسبيلا والظنونا) ... (لأهب إذاً لنسفعا وليكونا)

(أنا) مع (لكنا) و(الابن) حيث جاءَ ... معدودة في الرسم والقراءه

وهكذا (بأييكم) مع (بأبيام) ... على منقول أتى بلا إيهام

و(سلاسلا) في سورة الإنسان ... وفيها أيضاً (قوارير) الاثنان

فهذه الزوائد المعلومه ... الدارة فيها ليست مرسومه

ولم ترد أي إشارة تدل على نسبتها إليه مع أنها تذكرك تماماً بما جاء عن هذه الألفاظ كلها دون استثناء في منظومة (المعارف) و(الصيانة) و(الفوائد) و(مقدمة الأحكام).

وقد ضم الألفاظ (الرسولا – السبيلا – الظنونا – قواريرا) وحدها في موضع واحد في منظومة (المعارف) وشرحها في اثنين وعشرين بيتاً. وشرح بقية الألفاظ في مواضع أخرى من منظوماته وقد مرت بك.

د- المنسوب إليه:

تنسب إلى الشريف محمد الأمين منظومتان مشكوك في صحة نسبتهما إليه، إحداهما منظومة (التنبيه) والأخرى منظومة (الفوائد) ولعلّ السبب في ذلك شهرة الشريف التي

طبقت الآفاق ومعرفة أهل زمانه به وبجهده في تعليم القرآن وغزارة تأليفه في ذلك حتى أصبح كل كتاب يخوض في علوم القرآن يتوجه ظن الناس أنه للشريف.

أما منظومة (التنبيه) فقد ورد ذكرها في كتاب (مع المصاحف) للشيخ يوسف إبراهيم النور الذي قال عنها أثناء حديثه عن مواضع الحذف في رسم المصحف العثماني: "ويوجد كتاب خاص في هذا النوع يسمى (التنبيه) أغلب الظن أن مؤلفه هو الشريف محمد الأمين الهندي – وهو كتاب محقق جداً يذكر فيه الحذف مرتباً على حروف المعجم.

باب حذف الهمزة في الكتاب	نأتي به نظماً على الأبواب
(سوءتهما وسوءتكم) يا إخوان	مطلقاً في جملة القرآن
وحذف (قرآنا) في أول الصديق	وأول الزخرف بالتحقيق
باب حذف الباء في الكتاب	مجملة (البطل والألبب)
و(الأدبر) مطلقاً بلا انحصار	إلا ثلاثة فافهم هداك الباري
وهي (يولوكم) في آل عمران	(فنردها) في سورة النسوان
و(لا ترتدوا) في سورة العقود	نظمته بعون الواحد المعبود
(كبئر) سوى (ما تنهون) يا فانِ	وهي التي في سورة النسوان
باب حذف التاء في الكتاب	فالكتب إلا أربعاً فكالباب
وهي في الرعد (لكل أجل كتاب)	وهكذا في الحجر (ولها كتاب)
وفي الكهف (ما أوحي إليك من كتاب)	وفي النمل (آيات القرآن وكتاب)

قال: "وهكذا يستمر المؤلف في ذكر حذف الألف. مع ذكر المستثنى من كل حرف وهو ترتيب بديع –سبقه عليه الأئمة المتقدمون– كصاحب التنزيل والمتأخرون كعبدالعاطي

والدنفاسي السودانيين. وأكثر هذه الكتب تحقيقاً كتاب التنبيه. وكلها مخطوطة عندي منها التنبيه والدنفاسي. وأما الخراز فلم يذكرها على الترتيب.."[1].

وذكر الدكتور علي العوض أن الخليفة الشريف الصديق ذكر أن كتاب (التنبيه) ليس من مؤلفات الشريف محمد الأمين[2].

ومع أن روح النظم وأسلوب الاستقصاء والدقة والإحاطة والشمول توحيان بأن الكتاب أشبه بمؤلفات الشريف ولكن أهل مكة أدرى بشعابها. كما أن الخليفة الشريف الصديق هو من أهل الضبط والتحقيق، وهو من أحرص الناس على تاريخ الشريف محمد الأمين وهو من أحب الناس له ومن أكثرهم تنقيباً عن تراثه ومن أحرصهم على إحياء آثاره ولا غرو في ذلك فهو الوصيّ من أبيه على القرآن في بيت الهندي.

أما الكتاب الأخير فهو منظومة (الفوائد) التي كتب على غلافها بخط كاتبها (هذا الكتاب العظيم المسمى كتاب الفوائد تأليف قطب القرآن محمد الأمين الهندي نفعنا الله به والمسلمين آمين) ولكن الدكتور علي العوض ذكر أن هذه المنظومة نسبت خطأً للشريف محمد الأمين وأنها للشيخ عبدالعاطي راجل العطشان تلميذ الشيخ عبدالله الأغبش الذي عاش في زمن الفونج[3].

والكتاب تصنيف شبه معجمي في وقت لم تكن فيه المعاجم متاحة في علوم القرآن خاصة. ولو ترك الأمر إليّ لما شككت في نسبته إلى الشريف محمد الأمين للأسباب التالية:

---

(1) مع المصاحف: ١٣٤ – ١٣٥.

(2) القراءات والرسم: ٢٨٢.

(3) القراءات والرسم: ٣٥٥.

- ما ذكرته سابقاً مما وجد منصوصاً عليه في غلاف المخطوطة ناسباً الكتاب للشريف.

- الأسلوب المطابق لأسلوب الشريف في الاستهلال وفي الأبيات التي تتضمن تسمية الكتاب وفي تناول الأحكام وفي الشكوى من الجهال وفي التواضع في طلب إصلاح ما يقع من خطأ على أن يكون الإصلاح من إصحاب المعرفة وفي المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في مادة منظومته، ومن باب الإنصاف للقارئ أعرض عليه شيئاً من وجوه التشابه التي توحي بأن هذه المنظومة للشريف محمد الأمين من باب التمثيل لما ذكرته سابقاً.

١/ الاستهلال بحمد الله والثناء عليه ومدح كتابه ثم الصلاة على رسوله ﷺ في قوله:

الحمد إطلاقاً لمستحقه ... إذ ليس كل قائم بحقه

منزل القرآن للإرشاد ... على الإمام الهاشمي الهادي

محمد نور الوجود البادي ... وسره الساري في النادي

عليه منه أفضل الصلاة ... وأطيب التسليم والهبات

وآله وصحبه والتابع ... لهم بلا غَضٍّ ولا توابع

ولقائل أن يقول كل مسلم وكل مشتغل بالنظم يبدأ بالحمد والثناء والصلاة، ولكنني أعرض هذه الأبيات لتعود إلى مقدمات منظومات الشريف التي تقدمت وترى الاتفاق الواضح في الألفاظ المستخدمة في الحمد والثناء والصلاة في أول المنظومة.

٢/ الأبيات التي ذكر فيها تسمية المنظومة هي أبيات تسمية منظومات الشريف بالحرف الواحد:

وبعد فاعلم أن في الكتاب ... مواضعاً تخفى على الطلاب

جمعتها سميتها الفوائد ... لها المعين سائق وقائد

هذا الكتاب العظيم المسمى كتاب الفوايد
تاليف قطب الغوث محمد الامين الهندي
نفعنا الله به والمسلمين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اطلاق المستحقه ... اذ ليس كل قايم بحقه
اولى به المحمود كل حال ... اذ فعله كل على نوال
منزل القرءان للارشاد ... على الامام الهاشمي الهاد
محمد نور الوجود البادي ... وسره السار في النادي
عليه منه افضل الصلاة ... واطيب التسليم والهبات
وءاله وصحبه والتابع ... لهم بلا غض ولا توابع
وبعد فاعلم ان في الكتاب ... مواضعا تخفى على الطلاب
جمعتها سميتها الفوايد ... لها المعين سايق وقايد
في ضبط ما خفي عن القراء ... من اهل الابتدا والانتهاء
من فعل ما ثنى ان تطرفا ... ولام بعد ما واو وقفا
ونون جمع للاناث ءات ... جميعه في حكم احلايات
وما اتى بالاتفاق قد رسم ... بالالف وما الخلاف ملتزم
وما اتى مخالفا للاصل ... من هاء تانيث فخذ بالنقل
ووقفهم او ضبطها ءاء الاصل ... ووقفها في وقفها او الوصل

صفحة الغلاف والصفحة الأولى من منظومة الفوائد المنسوبة للشريف محمد الأمين الهندي

عد إلى منظومتي (المعارف) و(الفوائد في علل الهمز والزوائد) ولن تجد هناك إلا ما وجدته هنا حذوك القذة بالقذة.

٣/ المصادر التي استقى منها ناظم (الفوائد) معلوماته هي ما ذكره الشريف تنصيصاً؛ جاء في منظومة (الفوائد) هذه:

وإن شككت فانظر النصوصا	والشاطبي منهم خصوصا
وطالع الإتقان بالشروط	في محكم القرآن للسيوطي
أو طالع الحرز مع التيسير	وكا....[1] للتحرير
والطي والنشر الذي في العشر	والتونسي وكاتب العصر

إلى أن يقول:

والشاطبي في حرز الأماني	وشرحه ابن القاصح الرباني
وشرحه المعز و السنوسي	ثم التجيبي بعده والسوسي

خذ هذه الأبيات وارجع بها إلى منظومة (المعارف في مشكلات الرسم والمواقف) واقرأ قول الشريف هناك:

وإن شككت في هذا يا صاح	فطالع النصوص في الصحاح
كالطيبة والحرز مع الاتقان	والدرة والتيسير والبيان
ثم العقيلة مع المعارف	والمقصد الأشموني في المواقف

---

(١) كلمة لم أتبينها.

تجد أن الإحالة في الموضعين على مشاهير علماء الفن. ولو قال قائل هي مصادر يمكن للشريف وغيره الرجوع إليها، قلت فانظر إذن إلى ما جاء بعدها من الشكوى من الجهال في المنظومتين؛ جاء في (الفوائد):

ولا تجادل عارفاً بالباطل تبقى عليك هيئة العواطل

والكل في الناس بهذا الحال لَمَّا احتوتهم دولة الجهال

قارن هذا بقول الشريف في (الصيانة) في حديث طويل عن الجهال والمدعين إلى أن يقول:

والكل لا يقصد وجه الله لكونه يلتذ بالملاهي

٤/ يأذن صاحب منظومة (الفوائد) بإصلاح ما قد يقع منه من خطأ أو خلل ويشترط في من يقوم بالإصلاح أن يكون عارفاً أخا صلاح فيقول:

وقد أذنت فيه للإصلاح لكل عارف أخي صلاح

في دينه أخي اتباع أَوْرَعِ وما أذنت فيه للجهول المدعي

وهذا هو ما ذهب إليه الشريف في منظومة (الصيانة) في قوله:

وأطلب العون من الإخوان من خلل فيه ومن نقصان

بالذل والخضوع وانكسار وأسأل الله العلي الغفار

لمن رأى لعيبه وصارا كاتمه أو كنس الغبارا

وأصلح الفاسد بعد النظر بالنص لا مجرداً للخطر

ففي كلا الموضعين إِذْنٌ لمن يطلع على هاتين المنظومتين بأن يصلح ما فيهما من خلل إن وجد على أن يكون القائم بالإصلاح من أهل الورع والصلاح وحسن الاتباع للأثر لأن القراءة سنة.

وهكذا تطول المقارنة التي أردت أن أشير بها فقط إلى التشابه في شكل المنظومة ومضمونها مع منظومات الشريف. ونسبة كتاب إلى مؤلف من مشكلات العلوم ولا تكون بالظن ولا بالاجتهاد وإن وصل التشابه إلى الدرجة التي عرضناها، ويبقى القول الفصل لدى من يملك الدليل الأقوى.

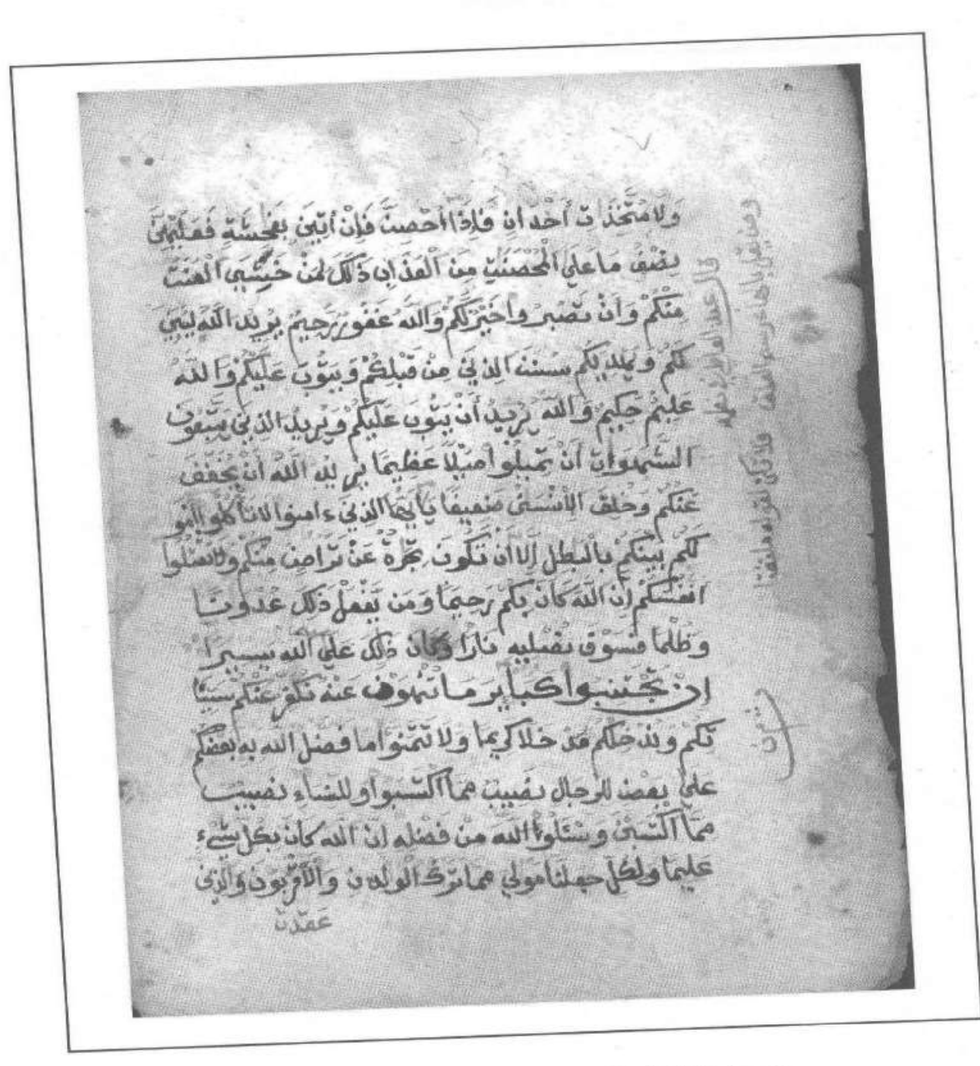
وبهذا أصل إلى ختام المبحث الذي استعرضت فيه مصنفات الشريف محمد الأمين الموجودة ولو وصلت إلينا كتبه كلها لوصل إلينا علم غزير ومع ذلك فإن الذي وصل إلينا من خير لكثير. كما وقفت عند مصنفاته المفقودة والمنسوبة إليه راجياً أن أكون قد قدمت تنويراً يعطي القارئ فكرة عن هذه الشخصية الفريدة الفذة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس في زمانها حتى أصبحت مساجده وخلاويه قبلة طلاب العلم وحتى أصبحت مصنفاته المرجع الحاوي على القول الفصل في كل خلاف ينشأ حول الضبط والرسم في كتاب الله العزيز. ولقد دلت هذه المصنفات التي لم نقف إلا على أقل من نصفها على أن الشريف كان بحراً في العلم وآية في الحفظ ومثلاً في التجويد والإتقان وقمة في التحقيق والتدقيق والتوثيق وغاية في الشمول والإحاطة وكان القدوة في الصبر وصدق النية وحسن الاتباع والجد والإخلاص في التوجه إلى الله، وهذا ما ستراه مبسوطاً -إن شاء الله- في المبحث الثالث الذي هو كالملحق لهذا المبحث إذ فيه أبين بعض ملامح شخصية الشريف العلمية من واقع تآليفه وتصانيفه.

المبحث الثالث

شخصية الشريف العلمية من واقع منظوماته

- **مصادر علوم الشريف من منظوماته**
- أمانته العلمية واعتداده بالسند
- الإحاطة والشمول والتفصيل
- الضبط والإتقان واعتماد الناس على مصنفاته
- اليقظة، وقوة الشخصية العلمية
- استدراكه على السابقين
- إصلاح الوهم
- المعلّم الأنموذج
- العالم القدوة
- **علوم العربية في منظومات الشريف**

  (اللغة والنحو والصرف)
- الإشارات والمصطلح في منظومات الشريف
- أسلوب النظم ومنهجه ودوافعه
- لماذا اختار الشريف قراءة أبي عمرو؟
- أخيراً ما الفائدة من دراسة مصنفات الشريف وأمثالها؟



مصحف الخليفة علي ود مساعد، تلميذ الشريف محمد الأمين،
وبالحاشية بيت من أرجوزة الشيخ عبد العاطي

المبحث الثالث

شخصية الشريف العلمية من واقع منظوماته

بعد أن حصد الشريف محمد الأمين عليه رحمة الله ورضوانه ما زرعه السودانيون من علوم القرآن والفقه والحديث تاقت نفسه إلى الرحلة فضم إلى محصوله علوم أهل مصر والحجاز ووقف على قدر عظيم من علوم المغاربة وأهل الشام والعراق. فاستوعب كل ذلك ثم شرع من قاعدة متينة في تأليف منظوماته الأربع (الصيانة، والمعارف، ومقدمة الأحكام، والفوائد في علل الهمز والزوائد) التي ضمنها تلك المعارف ووشحها بمسائل علوم القرآن فوضعها لطلابه في أسلوب سهل سلس وعبارات واضحة معبرة ومضمون شامل حاوٍ؛ فكانت عوناً لهم فقهتهم في رسم القرآن وضبطه وقراءاته وتجويده ومكنتهم من قراءة الدوري على وجه الخصوص ومن سائر القراءات السبع المشهورات. وصارت مرجعاً في خلاوي السودان منذ العهد التركي إلى زماننا هذا، فكيف كانت شخصية الشريف العلمية من خلال تلك المنظومات التي وقفنا على بعضها فيما تقدم؟.

مصادر علوم الشريف من منظوماته

لما كانت معرفة مصادر علوم الشريف ضرورة حتمية للوقوف على جهده في التحصيل وأصالة إنتاجه وتوثيقه ولما لم نكن نملك مصدراً مكتوباً يدلنا على ذلك كان لابد من تتبع منظومات الشريف واستقراء نصوصها للوقوف على المصادر التي استقى منها علومه.

فقد قرأ الشريف محمد الأمين ودرس وحفظ أمهات الكتب المصنفة في علوم القراءات والضبط والرسم والتجويد ليس ذلك فحسب بل درّسها لطلابه ووضع لهم المنظومات التي تفصل المجمل وتشرح المبهم وتعين على الحفظ والرواية والعمل. وأحسبه شرح ذلك في بعض منظوماته المفقودة. ولم يكن صعباً علينا تحديد المصادر التي استقى منها الشريف علومه سوى ما تناقله الرواة من مشايخه المشهورين وتلقاه على أيديهم لأن تصنيف الشريف اتسم بالأمانة العلمية والتحري والتوثيق وما أخذ شيئاً إلا عزاه لصاحبه ولا اقتبس من ناظم إلا أشار إليه، وما وجدت الشريف إلا محتفياً بذلك مستمسكاً به تنصيصاً وتصريحاً وإشارة.

فممّا أشار إليه إجمالاً قوله عن منظومة (المعارف في مشكلات الرسم والمواقف):

وضعتُها لقاصد المعارف	صيانة من السقط في المواقف
وجمعها الأصلي للصحابة	قد جاءنا في الوقف والكتابة
جميعها تأتيك في الأبيات	محررهْ بسند الرواة
بيانها أتى عن كل عارف	مختلفة الأحوال والمواقف
وكل ما ذكرته يا صاح	مؤيد بالأخذ عن الشراح
مقرر بالنقل عن الأعلام	روايةً ورسماً في الكلام

فسلسل أمر الرسم والضبط والأداء من الصحابة أهل الجمع الأول والثاني للقرآن وأفاد أن منظوماته محررة بأسانيد هذا العلم إلى رواته وأن كل ما ذكره فيها مأخوذ عن الشراح والأعلام نقلاً ورواية.

وقال رحمه الله في منظومة (مقدمة الأحكام):

ثم الحذف والإثبات في القرآن — والفصل والاتصال الكاينان

في الأحرف المذكورة الفوائد — وجملة الكحلاء في الزوائد

والربط والطلق في التاءات — وطرق الرواة والقراءات

ثم الخلاف الكاين المعروف — والحذف والإثبات في الحروف

معزو للصحابة الأبرار — بالسند المتصل عن الأخيار

سوى الهمز والسكون مع الحركات — والتنوين والإلحاق في الكلمات

ثم الدارة والنقط في التنزيل — معزو للدؤلي مع الخليل

ثم عزا نقله إلى عموم الأئمة والأعلام من مصنفين ورسام وشراح وقراء في مواضع متفرقة كما في منظومة الفوائد في علل الهمز والزوائد حيث يقول:

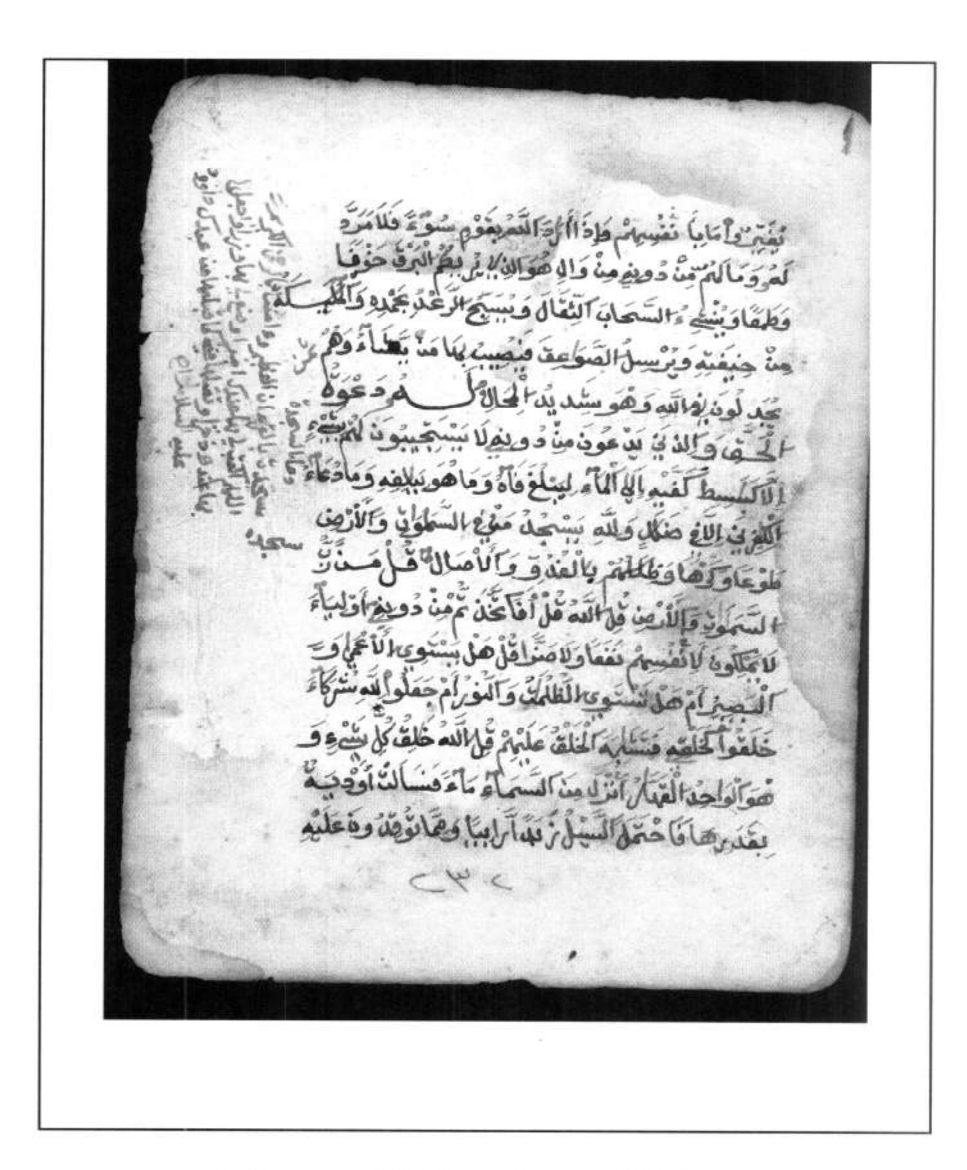
واشتهر هذا الرسم بلا تراخِ — واعتمده الناقلون من الأشياخ

وفي قوله أيضاً:

واحكم بالمد مع الإلحاق — في الألف قبل الهمزة للحذاق

لعمل الراسمين في النقول — وانتشر في سائر الأصول

وقوله في (مقدمة الأحكام):



مصحف الخليفة علي ود مساعد أحد تلاميذ الشريف محمد الأمين،
وبالهامش دعاء السجود

فهـــذه مقدمـــة الأحكـــام　　　مقـــررة بســـند الأعـــلام

وفي قوله أيضاً:

والعمـــل بهـــذا جـــاء وارد　　　واختـــاره النـــاقلون في المقاصـــد

وقال في (مقدمة الأحكام) أيضاً:

وكلـــما ذكرتـــه هنـــا في الأصـــل　　　في خـــبر صـــحيح النقـــل

وإن شـــككت في هـــذا يـــا صـــاح　　　فطـــالع النصـــوص في الصـــحاح

كالطيبـــةْ والحـــرز مـــع الإتقـــان　　　والـــدره والتيســـير والبيـــان

ثـــم العقيلـــة مـــع المعـــارف　　　والمقصـــد الأشـــموني في المواقـــف

وليس في الدنيا كتب في هذا العلم يحال عليها أصح وأشهر مما أحال عليه الشريف هنا فذكر:

١/ الطيبة، وهي طيبة النشر في القراءات العشر، المنظومة الشهيرة للإمام شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري.

٢/ الحرز، يريد حرز الأماني ووجه التهاني وهي للإمام الشاطبي اختصر فيها كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني. وهي القصيدة اللامية المشهورة بالشاطبية لا يجهلها ناظر في شيء من علوم القرآن. وهي التي توفر على شرحها جماعة من الأئمة كالسخاوي وأبي شامة والفاسي وابن أبي العز والجعبري وابن جبارة وابن القاصح وغيرهم.ومن المحدثين عبدالفتاح القاضي.

٣/ الإتقان: وهو الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، مشهور علم.

٤/ الدرة: وهو الدرة في القراءات الثلاث المتممّة للعشرة لابن الجزري أيضاً.



سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية وهي سبع ءايات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم ملك
يوم الدين اياك نعبد واياك
نستعين اهدنا الصرط المستقيم
صرط الذين انعمت عليهم غير المغ
المغضوب عليهم ولا الضالين
ءامين

الصفحة الأولى من مصحف الخليفة علي ود مساعد تلميذ الشريف محمد الأمين، وبالحاشية تعليق ماخوذ عن ابن القاصح

٥/ التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني، وهو الذي إليه انتهى علو إسناد القراءة وجودة التأليف. وهو أستاذ هذه الصناعة كما يقول ابن الجزري.

٦/ البيان: هو جامع البيان للإمام أبي عمرو الداني. قال عنه الشاطبي: "هو في القراءات السبع يشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق عن الأئمة السبعة وهو كتاب جليل في هذا العلم لم يؤلف مثله للإمام الحافظ الكبير أبي عمرو الداني، قيل إنه جمع فيه كل ما يعلمه في هذا العلم"[1].

وذكر الشريف هذا المرجع النفيس في منظومة الفوائد في علل الهمز أيضاً في قوله:

ورسم الهمزتين في هذا البيان　　معزو للإمام الداني

وقال فيها أيضاً:

وجمع الهمزتين هنا يا تال　　معزو للإمام الداني في الأحوال

٧/ العقيلة: هي عقيلة أتراب القصائد في بيان رسم المصاحف العثمانية، القصيدة الرائية التي نظم فيها الإمام الشاطبي كتاب (المقنع في مرسوم مصاحف أهل الأمصار) للإمام أبي عمرو الداني وهو أجل كتاب ألف في هذا الباب.

٨/ ٩/ ١٠/ المقصد الأشموني: الإشارة هنا إلى ثلاثة كتب في معرفة الوقف والابتداء الأول للأشموني وهو أحمد بن محمد بن عبدالكريم وكتابه هو (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) وهو كتاب جليل شامل وبذيله الكتاب الثاني وهو (المقصد لتلخيص ما في المرشد)

---

(١) النشر: ١/ ٦١.

في الوقف والابتداء لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري. أما الثالث فهو (المرشد) نفسه الذي لخصه الأنصاري وهو للحسن بن علي العماني.

١١/ ومن مصادر الشريف كتاب (الغازي في هجاء الستة) قال رحمه الله في الياءات الزائدة في منظومة الصيانة (البيت: ٣٥٤):

و(من وراء حجاب) مع (آناءِ) قل (أفإن) والغازي في (لقاءِ)

يشير إلى الغازي بن قيس الأندلسي أحد المختصين في قراءة نافع أخذها عنه عرضاً وسماعاً وله كتاب (هجاء الستة) في رسم المصاحف العثمانية يكثر ذكره عند الإمام أبي عمرو الداني وعليه وعلى كتابه كان جل اعتماده في مصنفاته خصوصاً (المقنع) الذي جاء فيه (وكتاب هجاء الستة الذي رواه الغازي بن قيس الأندلسي عن أهل المدينة...)[1]. هذا الكتاب ومقتبسات الداني منه هي أقدم مصادر منظومات الشريف في الضبط والرسم.

وفي موضع آخر أشار الشريف إلى بعض مصادره فقال في منظومة المعارف في حديثه عن اختلافهم في ترقيق الراء وتفخيمها من لفظة (فِرق) من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ الشعراء: ٦٣. قال الشريف:

تفخيمها جاء عن الأعيان تبعاً للتيسير والعنوان

ثم عثمان مع الرعيني قد أثبتا التحرير في الوجهين

والتفخيم جا على القياس مقرراً بسند الأكياس

والجمهور من سائر المغاربه ذهبوا إلى الترقيق قاطبة

فالتيسير المذكور هنا هو كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام الداني وقد مر ذكره.

---

(١) المقنع: ٢٢.

١٢/ أما العنوان فهو كتاب في القراءات السبع للإمام أبي طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري السرقسطي الأندلسي (ت ٤٥٥هـ) وهو محقق متداول الآن. وأما عثمان المذكور هنا فهو أبو عمرو عثمان بن سعيد الإمام الداني المعروف. وأما الرعيني فهو الإمام الشاطبي الأندلسي الرعيني أبو القاسم بن فيرُّه المعروف.

١٣/ ومما أشار إليه صراحة أيضاً كتاب (سلم المريد إلى علم التجويد) للشيخ حمد ود مدلول وهو من مشاهير علماء السودان في عهد الفونج. قال الشريف:

في سلم ومنه نستعير كغيره والله نستخير

يعني نأخذ من كتاب السلم كما أخذنا من غيره. والذي ذكره ود مدلول في سلمه واستعاره الشريف هو قوله:

تدغم (إذ) في أحرف تخص وهي ستة (ستجزدص)
و(قد بجص) شد صاد الماضية والزاي بين صادها الثمانية
والتاء (سل صاحب زهد ظل ثواب جد) أول حرف حلا[1]

وأشار إليه مرة أخرى في قوله:

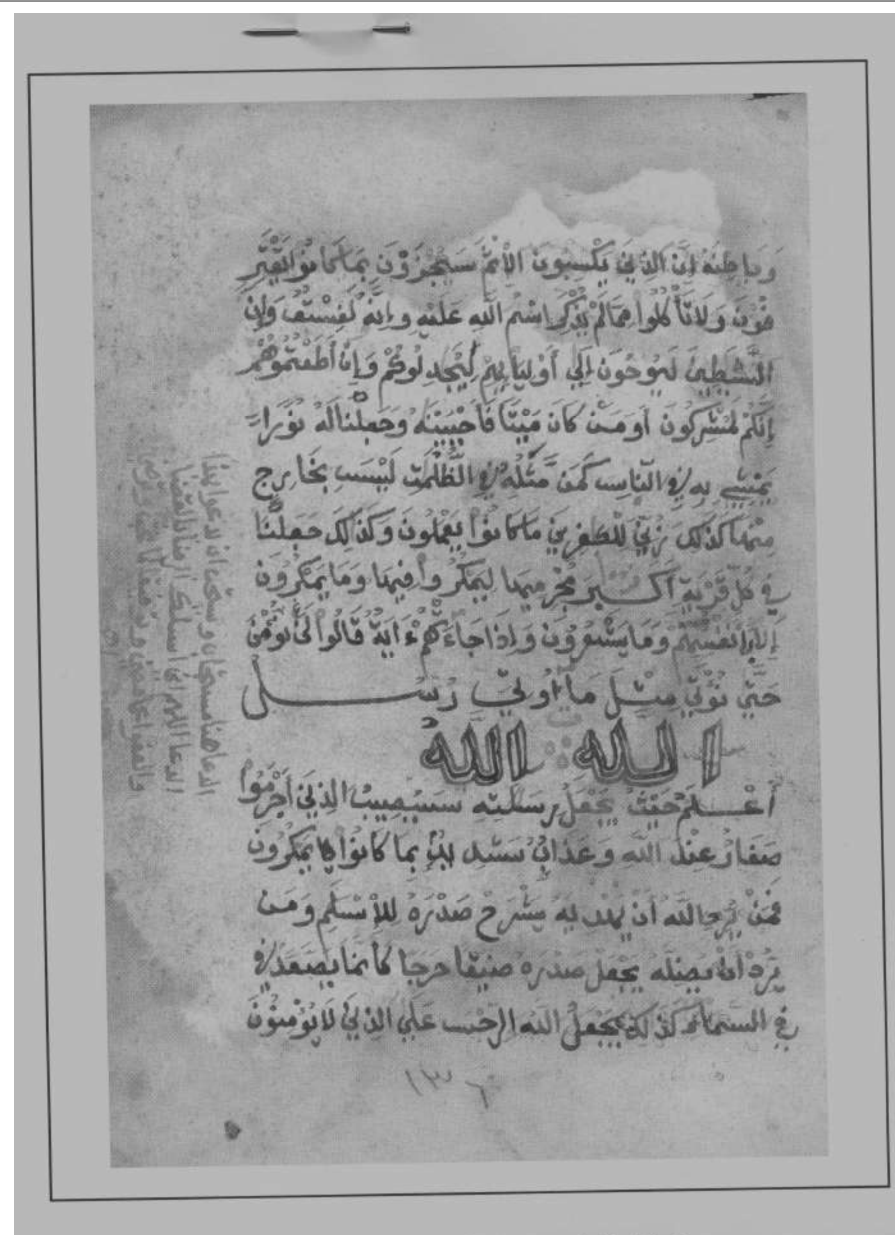
وهي سبع عندنا في الباب نظمها بعض ذوي الألباب

قال الدكتور علي العوض إن (بعض ذوي الألباب) المشار إليه هنا هو ود مدلول. وكتاب السلم لود مدلول "كتاب جيد التأليف ومعرب فصيح وسلس السياق. والكتاب على نمط الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابد من حفظه لمن يقرأ بقراءة أبي عمرو"[2]. فالشريف الذي رحل للعلم وهاجر لطلبه في الحجاز ومصر ما فعل ذلك إلا بعد أن حوى صدره علوم أهل بلاده.

---

(1) القراءات والرسم: ١٩٩.

(2) مجلة الضيا ٨٣، نقلاً عن القراءات والرسم ٢١٠.



وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقتر
فون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان
الشيطين ليوحون الى اوليايهم ليجدلوكم وان اطعتموهم
انكم لمشركون اومن كان ميتا فاحيينه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمت ليس بخارج
منها كذلك زين للكفرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا
في كل قرية اكبر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون
الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم ءاية قالوا لن نومن
حتى نوتى مثل ما اوتي رسل
الله الله
اعلم حيث يجعل رسلته سيصيب الذين اجرموا
صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلم ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السما كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون

١٣٦

مصحف الخليفة علي ود مساعد أحد تلاميذ الشريف محمد الأمين،
وبالهامش تنبيه

١٤/ وقرأ مصنفات القيسي فقال في موضع آخر من منظومة الصيانة:

(أحطت) مكي له قد ضَّما (نَخْلَقْكُمْ) والمرسلات عما

لكونه منقص الإدغام وهو الأولى كما ارتضاه سيد الأجلا

أعني به الإمام شمس الدين كما أخذته عن المبين

فالإشارة هنا إلى مكي بن أبي طالب القيسي صاحب (التبصرة في القراءات السبع) وغيرها من الكتب المفيدة في هذا الفن. والموضع المشار إليه في كتابه المذكور وقد بينته في موضعه. أما سيد الأجلاء الإمام شمس الدين فهو ابن الجزري صاحب التصانيف الغنية والأسانيد العلية والشروح الملية والحالة المرضية بل فوق الرضا وهو صاحب النشر في القراءات العشر وطيبة النشر وتحبير التيسير والدرة وغاية النهاية في طبقات القراء والتمهيد والهداية وغيرها. وذكر له:

١٥/ كتاب المبين وقد يكون اسماً لأحد كتبه المتقدمة أو اسم كتاب لم أقف عليه.

١٦/ ١٧/ ١٨/ أما الإمام محمد بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز فهو من مصادر الشريف التي لا يكف عن الأخذ منها وهو صاحب أشهر كتب الرسم والضبط في زمانهم وهو كتاب مورد الظمآن الذي شرحته جماعة واشتهر منهم المارغني في شرحه الموسوم بدليل الحيران وتذييله بفتح المنان لابن عاشر فهذه ثلاثة كتب في كتاب الخراز. هذا الإمام العلامة الذي يشير إليه الشريف محمد الأمين تصريحاً وتلميحاً. ومن تلميحاته قوله عنه في منظومة الصيانة في باب الإمالة:

وإن تسل عن موضع الإمالة بينه بعض ذوي الجلالة

وهو يريده ووجدت الموضع بنصه في المورد وهو قوله:

وعَوِّضَنْ الفتحة المهاله بالنقط تحت الحرف للإماله[1]

أما تصريحه بالأخذ عنه فقد جاء في منظومة الصيانة منصوصاً على اسمه ومشفوعاً بأبيات نقلها عنه بنصها مع إعجاب به ومدح له وذلك قوله في البيتين (٤٥٢ – ٤٥٣):

أما ترى محمداً يدل كلامه عن خلل يجل

وهو الذي نذكره قريبا ذكر ذا وغيره النجيبا

ثم أورد أبيات الخراز كما في المورد بنصها ما غير فيها إلا شطراً في خاتمتها وضع مكانه شطراً من عنده وستأتيك بقيتها قريباً.

١٩/ ونص الشريف على التونسي في غير موضع من منظوماته، ومن ذلك قوله في منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) في حديثه عن الوجوه في لفظة (تلقاء):

والتونسي جاء يا فقير بغير هذا الرسم والتحرير

والتونسي هو محمد بن عبدالله بن عبدالحميد أحد شراح ضبط الهجا للخراز وهي الأرجوزة التي شرحها من السودانيين الشيخ عبدالرحمن الأغبش في كتابه (مصباح الدجا في الضبط والهجا) ومنه نسخة بخط تلميذ الشريف محمد الأمين وهو الفكي العباس الفكي محمد الهادي. مما يدل على أنها كانت متداولة عند الشريف وتلاميذه.

٢٠/ ومن مصادره كتاب (التنزيل) لأبي داود سليمان بن نجاح ثاني شيوخ الرسم والضبط مع أبي عمرو الداني، وورد ذكره في منظومة (المعارف) في قوله:

وقفهم بألف التبديل ومثلهم هشام في (التنزيل)

وذكر الشريف التجيبي في غير موضع كما في قوله في منظومة (المعارف) أيضاً:

---

(١) مورد الظمآن: ٢٥٨.

وقيـــــل بالصــــلة يـــــا نجيبــــي لكــــل أشـــياخ عـــــدا التجيبــــي

والتجيبي هو أبوبكر الإشبيلي أستاذ مصدر[1].

٢١/ ٢٢/ وورد ذكر البلنسي واللبيب في بعض ملحقات منظوماته كما في آخر صفحات منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد). والبلنسي هو علي بـن محمـد بـن عـلي بـن الهـذيل الأستاذ أبو الحسن البلنسي[2] صاحب أبي داود (ت ٥٦٤هـ).

٢٣/ ٢٤/ وأشار إلى المنقول عن الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي والأخفـش في قولـه في منظومة الصيانة (البيت: ٢٥٨):

فـــــأول القـــــولين للخليـــــل والثـــــاني للأخفـــش يــــا جليـــل

٢٥/ وإلى المنقول عن الخليل وأبي الأسود الدؤلي في قوله في (مقدمة الأحكام):

ثــم الــدارة والــنقط في التنزيــل معــــزو للــــدؤلي مــــع الخليــــل

٢٦/ وذكـر أهـل المقـارئ عمومـاً مـن المشـارقة والمغاربـة فقـال في منظومـة (مقدمـة الأحكام):

منفـــــرداً أو متصـــــلاً بـــــاللام فهــــذا الــــذي تحــــرر عــــن الأعــــلام

مــــن تــــونس وأنــــدلس وقــــيروان القــــائمين بالنشــــر والإتقــــان

وقيــــل مطلقــــاً بالزيــــادة في شرق الشــــاميين الســــاده

فهــــذا هــــو الصــــحيح الجــــاري واشـــتهر في ســـائر الأقطـــار

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٧٠.

(٢) غاية النهاية ١/ ٥٧٣.

هذا وقد رجعت إلى المتاح من كل هذه المصادر وتتبعت إحالات الشريف رحمه الله عليها فما وجدته أخل بشيء مما أصلوه ولا نقص شيئاً مما حصلوه ولا فارق شيئاً مما نقلـوه، بـل زاد على كثيرين منهم بتفصيل ما أجملوه وبيان ما أهملوه وجمـع كثـيراً ممـا تفـرق في مصـنفاتهم في صعيد واحد فيسّر الرجوع إليه ومكّن من الوقوف عليه؛ فجزاه الله عن كتابـه والمسـلمين مـا هو أهله.

أمانته العلمية واعتداده بالسند

القراءة القرآنية سنة، والسند هو أحد شروط صحتها وأهمها لذلك تجد الشريف رحمه الله شديد الاحتفاء بالسند ينسب القراءات إلى أصحابها ويعزو الأقوال إلى قائليها من قراء ورسّام ومصنفين. قال في مقدمة الأحكام:

والرسم جاء بسند مبين بأنه ركن من أساس الدين

أثر هذا المنحى في الشريف فأثمر أمانة علمية نادرة أصبحت سمة مميزة لمنهجه فهو لا يروي حرفاً إلا بسند ولا يذكر حكماً إلا بدليل ولا يقرر قاعدة إلا بالنقل عن شيوخ النقل وأعلام علوم القرآن. وحين يقتبس شيئاً من السابقين يشير إليه ويدل على مصدره. فالعلماء كلهم يأخذ بعضهم عن بعض ولكن للأخذ شروطه وأولها الأمانة العلمية وعزو المقتبس إلى مصدره. ولله دره فقد قال بعض السلف "إن من حق من يقبسك علماً أن ترويه عنه"[1]. وما وجدت الشريف إلا مستمسكاً بذلك تنصيصاً وتصريحاً وتلميحاً. فعزا علومه إجمالاً إلى الصحابة وثقات الرواة وأعلام الأئمة.

وقد أشار الدكتور العوض إلى هذه السمة في عمل الشريف في منظوماته ووصفها وثمنها في غير موضع من رسالته العلمية القيمة[2].

ولم يكن الشريف بدعاً في ذلك وإنما يسير على مثال لأنه شديد الاقتداء بالسلف وقد رأينا أن إمامه في القراءة أبا عمرو بن العلاء يقول إنه ما روى حرفاً من القرآن إلا بسماع وإجماع من الفقهاء.

---

[1] معجم الأدباء: ١/ ٥٩.

[2] القراءات والرسم: ٢٠٠، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠٥.

وقد مرّ بك نصه على العلماء وذكره مصنفاتهم وإقراره بالأخذ عنها وعنهم وقد احتاط الشريف أشد الحيطة ووضع قاعدة شاملة تدل على سلامة النية حين قال في منظومة الصيانة (البيت ١٨) مبيناً منهجه في النظم:

وربما أدخلت نظم الغيرْ فيه لموجب كفيت الضّيرْ

يعني إذا وجد ما يوجب تضمين منظوماته شيئاً من منظومات الآخرين فإنه يفعل. ومن إجلال الشريف لهؤلاء الأئمة واعترافه بفضلهم ومن أدلة حسن اتباعه وسمو مقصده وسلامة طويته أنه إذا وجد كلاماً لآخر أبلغ من كلامه أو كانت عبارته أوجز فإنه يأخذ منه ولكنه ينص على ذلك ما أمكنه النظم وإمامه في ذلك الإمام الخراز الذي قال في مورده[1]:

وربما ذكرت بعض أحرف مما تضمن كتاب المنصف

والمنصف كتاب منظوم في علوم القرآن للبلنسي. ومصداقاً لذلك فإني وجدت الشريف يدخل في بعض منظوماته البيت والأبيات من نظم غيره ويوثقها إلا مرة واحدة ربما ضايقه النظم فلم يتمكن من عزو البيت إلى صاحبه ويحمل ذلك على قاعدته العامة التي أسس لها في بيته السابق. (وربما أدخلت نظم الغير) والبيت هو قول الخراز الذي ضمنه منظومة الصيانة (البيت رقم ٣٠٠) وهو قوله:

ونحو نبئهم أنبئك وبابه وقوله سنقرئك

أما تصريحه بالأخذ عنه وتضمينه بعض نظمه في منظوماته فقد جاء أيضاً في منظومة الصيانة (الأبيات ٤٥٤ – ٤٥٨) منصوصاً على اسمه فيه ومشفوعاً بالأبيات التي نقلها منه مع إعجاب به ومدح له مر بك طرف منه وذلك قوله:

وكل ما ذكرت من تنوين أو من حركات ومن السكون

---

(١) دليل الحيران: ٢٦.

والقلـــب للبـــاء ومـــا للهـــاء　　مـــن صـــلة مـــن واو أو مـــن يـــاء

ونحـــو يـــدع الـــداع والتشـــديد　　ومطـــــــــة ودارة المزيـــــــــد

ونقـــط (تامنـــا) ومـــا يشـــم　　مـــع الـــذي اختلســـته فـــالحكم

أن تجعـــل الجميـــع بـــالحمراء　　.................................

وخالفه فقط في عجز البيت الأخير حيث قال الخراز (هذا تمام الضبط والهجاء) وقـال الشريف (أما ترى لوهمك انجلاء).

ومما أشار إليه صراحة كتاب سلم المريد في علم التجويد للشيخ حمد ودمدلول وقـد مـر بك فقال في ذلك:

١١٠- في ســـلم ومنـــه نســـتعير　　كغـــــــيره الله نســـــــتخير

وأشار إليه مرة أخرى في قوله:

٢٢٨- وهـــي ســـبع عنـــدنا في البـــاب　　نظمهـــا بعـــض ذوي الألبـــاب

يريد الشيخ حمد ود مدلول كما تقدم.

وذكر الإمام ابن الجزري في قوله:

أعنـــي بـــه الإمـــام شـــمس الـــدين　　كـــما أخذتـــه عـــن المبـــين

فهو هنا يصرح بالمصدر وصاحبه وبالأخذ عنه. وهذا أمر لا يحتاج إلى استرسال في بيانـه لأنه ماثل في جميع منظوماته وسيرد عليك في غـير موضـع مـن هـذا المبحـث ولكـن الـذي استفدناه من هذه الخاصية في شخصية الشريف أنها في غيـاب المصـادر المكتوبـة عـن سـيرته

أوقفتنا بجلاء على جانب مهم وهو مصادر علم الشريف التـي استقى منها علومه وعول عليها في تأليف منظوماته.

الإحاطة والشمول والتفصيل

أتقن الشريف محمد الأمين بضبط فائق كل ما رواه شيوخ النقل من مسائل الرسم والضبط والقراءات فجمع ما تفرق عندهم وتلافى ما سها عنه بعضهم في شمول باهر واستقصاء نادر، ظهر في تصانيفه التي وقفنا عليها، وما لم نقف عليه أكثر. فهو صاحب معرفة واسعة ودراية تامة برسم الكتاب العزيز وضبطه ونقطه وتجويده وأدائه. دقيق المعرفة بوجوه القراءات السبع والعشر يعرف القراء بأسمائهم وألقابهم وكناهم ويعرف رواتهم ومواضع الاختلاف في حروفهم. متبحر في مصنفات علوم القرآن من رسم وضبط وقراءة كالتيسير والمقنع والعنوان والمقصد ويعرف منظومات هذا العلم كالشاطبية والعقيلة ومنظومات السودانيين كالدنفاسي وود مدلول وعبدالعاطي ونحوها ويحيل على علماء هذا الفن في مصنفاته فيذكر الداني والرعيني والتجيبي والبلنسي والتونسي إضافة إلى علماء بلده. ويشير إلى المدارس فيذكر المشارقة والمغاربة وأهل العراق والمصريين والسودانيين. ويسمي بعض أئمة اللغة واقفاً عند القوي والضعيف من أقوالهم فيذكر سيبويه والخليل والدؤلي والأخفش.

وكان علاجه لمسائل الضبط والرسم والقراءة شاملاً يذكر القواعد والأمثلة والاستثناءات ومواضع الخلاف والوهم أو الخطأ. ففي فصل الإمالة في منظومة الصيانة في الأبيات من (١٥٨ـ ١٧١) بين موضع الإمالة من الألفاظ الممالة في القرآن اعتماداً على ما نقله عن الأجلاء ومثل لها تمثيلاً دقيقاً ثم ذكر الالتباس الذي يقع فيه بعض المشتغلين بهذا العلم

وفند أقوالهم وبين الصحيح الذي عليه الأئمة ثم ختم كل ذلك ببيان نقط الإمالة وهو علامة حمراء توضع تحت الحرف الممال.

وكان يميل دائماً إلى بسط المختصر وتفصيل المجمل والإكثار من الشواهد وتبيين الوجوه المختلفة حتى يأخذ المتلقي الحكم عن قناعة وفهم كما فعل في التاء المطلوقة في منظومة (مقدمة الأحكام). بل تقوم منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) كلها شاهداً على ميل الشريف للتفصيل والاستقصاء. وقد يقع الحكم في بعض أراجيز السابقين في بيت شعر واحد فيشرحه الشريف في أبيات كثيرة فقد أورد الخراز بيتاً واحداً عن كلمة (تأمنا) من قوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ "[١١/ يوسف] هو قوله:

ونـون تأمنـا إذا ألحقتـه   فـانقط أمامـاً أو بـه عوضـته[1]

ولكن الشريف لما جاء عند هذا الموضع في منظومة (مقدمة الأحكام) شرحه في أربعة وعشرين بيتاً بينتها في موضعها من الحديث عن المنظومة وذلك لما رأى صعوبة الأداء في هذه اللفظة لأنها موضع خلاف عند أهل الفن.

وحين تحدث عن الحركة والتنوين بسط ذلك في ثمانية أبيات هي الأبيات من (٧٥-٨٢) في منظومة الصيانة بينما ذكر الخراز كل ذلك في بيت واحد ولك أن ترجع إلى ذلك في موضعه من حديثي عن المنظومة المذكورة.

وكانت له زيادات على من سبقوه، ففي حديثه عن المد أطال وفصل وذكر أنواع المد وأوضاعه وطرق رسمه واللون الذي يكتب به. قال الدكتور العوض: "وأتى الهندي هنا

---

(١) دليل الحيران: ١٤١.

بزيادات حيث تحدث عن ضبط حروف المد ووضع علامته فذكر أن علامة المد أخذت من كلمة (مد) بعد أن طمست ميمها وأزيل الطرف الأعلى من دالها، كما هو موجود الآن في المصاحف الخطية حيث قال:

والمد ميم ثم حرف دال — على وفاق لفظه يا تال

يكون فوق ألف وياءْ — وفوق حرف الواو لا امتراءْ

وقال عن ميل الشريف للشرح والتفريع "تميزت مصنفات الهندي... وكثرت فيها التفريعات فجاءت كالحواشي لتلك الكتب المختصرة التي نظمت في علوم القرآن مثل مورد الظمآن للخرازي وما حوته و(شملت) عليه مؤلفات الهندي في الحديث عن هذه المسائل لم تحوه إلا الشروح الكبيرة على تلك المنظومات مثل عمدة البيان للشيخ عبدالرحمن الأغبش وشرح مورد الظمآن للشيخ ابن عاشر الأندلسي المسمى فتح المنان[1]".

وقد وجدته في منظوماته لا يمثل إلا بالقرآن إلا ما ندر، وذلك قوله في موضعين في إدغام المثلين كالثاء في الثاء لأنها لم ترد في القرآن ومثل لذلك بقوله (ا مكث ثابتا) وفي إدغام الجيم في الجيم ومثل له (باخرج جرا).

والدكتور العوض الذي اجتهد في دراسة جهود الشريف محمد الأمين ومنظوماته أشاد في مواضع عديدة من أطروحته بميل الشريف إلى التفصيل والتفريع، فقال مرة معلقاً على حديث الشريف عن المد وأحكامه: وأتى بتفصيل دقيق يدل على علوّ منزلته وإلمامه بتلك

---

[1] القراءات والرسم: ٣١٤.

العلوم القرآنية التي ما توانى يوماً في تحصيلها ورحل للحصول عليها إلى عدة أقطار وأفنى في ذلك زهرة شبابه وقضى في تحصيلها خمسة وعشرين عاماً من عمره[1].

وفي حديث الشريف عن الهمزات قال الدكتور: وهذا النوع تحدث عنه الشيخ عبدالرحمن الأغبش من قبل حيث ذكرها فقط ولم يبين كيفية ضبطها كما ذكره الهندي[2]. وكان الشريف حين دخل على هذا الباب أعلن أنه من الأبواب المشكلة على الطلاب وأنه يحتاج إلى مزيد من العناية وبذل الهمة، جاء ذلك في قوله:

وينبغي اعتناء هذا الباب لكونه أشكل للطلاب
وها أنا صرفت فيه همتي مؤملاً به دُخُولَ جنة

وقال العوض في موضع ثالث في حديثه عن منظومة المعارف: وهذه المنظومة تمثل عندي خير شاهد على صحة ما قلته من قبل من تبحر الهندي في علم القراءات وغيرها من علوم القرآن وخاصة علم الرسم. وإحاطته بدقائق هذه الفنون وغوصه في أغوارها. وقد تتبع الهندي كثيراً من الكلمات القرآنية التي يصعب معرفة الوقف عليها على كثير من الطلاب وبين ذلك بياناً شافياً[3].

وفي حديثه عن (منظومة الفوائد في علل الهمز والزوائد) قال: وعلل الزوائد التي تحدث عنها الهندي بالتفصيل لم يتكلم عنها كثير من علماء الضبط خاصة في الكتب

---

(1) القراءات والرسم: ٢٨٠.

(2) القراءات والرسم: ٣٠٤.

(3) القراءات والرسم: ٣٢٠.

المختصرة مثل (دليل الحيران على مورد الظمآن للمارغني) و(لطائف البيان لأبي زيت حار)[1]..

كل هذه النقول تؤيد ما ذهبنا إليه من أستاذية الشريف الذي كان هاجسه الأكبر التوضيح والتفصيل الدقيق لطلابه حتى يعوا مرسوم القرآن ويتقنوا حفظه وتجويده.

(1) القراءات والرسم: ٣٥٨.

الضبط والإتقان واعتماد الناس على مصنفاته

تميزت مصنفات الشريف بالضبط والإتقان واشتهر عمله كله بالإجادة والإحسان حتى تقاطرت عليه أفواج الطلاب من أنحاء السودان كلها. وكانت المصاحف التي تكتب في مسيده من الجودة والإتقان بحيث يعتمد الناس عليها فكان أصحاب الخلاوي يصححون مصاحفهم عليها وقد مر بك أن بعض شيوخ القرآن كانوا يرسلون مصاحفهم لتلاميذ الشريف يضبطونها على مصاحفه لما عرف من ضبطه وضبط تلاميذه. وقد ذكرنا قصة الشيخ مالك محمد محمود الذي جلس ثلاثة أيام في مسيد الشريف يعرض عليه الحفاظ ألواحهم فما أدخل قلمه في الدواة ليصحح خطأً واحداً. لذلك ارتفعت أسعار مصاحف تلاميذه حتى بلغ سعر المصحف خمسين جنيهاً وهو مبلغ مذهل في أوائل القرن الماضي وآخر قرن الشريف الذي عاش فيه (الثاني عشر والثالث عشر الهجري) ولذلك ما اعتمدت الجامعات والمؤسسات العلمية على مصاحفه ومصاحف تلاميذه حين قامت بطباعة مصاحف في عصر ما بعد الشريف. وكان الدكتور علي العوض قد درس مصنفات علوم القرآن في عهد الشريف وما قبله فذكر أن كل المصنفات التي مرّ بها كمصنفات الأغبش وود مدلول وأضرابها كانت له عليها ملاحظ ووجد فيها أشياء تؤخذ عليها إلا مصنفات الشريف فإنه لم يجد فيها مأخذاً واحداً إلا مسألة خلافية وهي عده لآيات القرآن الذي خالف فيه عدّ المدرستين المشارقية والمغاربية. وخلص الباحث الكريم إلى استنتاج وجيه وهو أن البيت المشتمل على هذا الحكم المخالف لماعرف عن الشريف من ضبط ربما كان مزيداً في المنظومة. وهذا يريك مقدار إجلال هذا الباحث للشريف وإشادته بضبطه وإتقانه الذي عبر عنه في غير

موضع من رسالته[1] إلى أن قال: وبهذا أصبحت مؤلفات الهندي أحد المصادر التي يعتمد عليها قراء السودان في خلاويهم... فقد كان الخطاط والكتاب يسترشدون بمؤلفاته ويستشهدون بها في هوامش تلك المصاحف التي كتبت في عصره وبعده[2].

وما عدّ الشريف شيئاً فراجعته في مظانه إلا وجدته كما ذهب إليه لا يخالف ما عليه الأئمة في شيء مطلقاً. فقد أحصى ياءات الإمالة عند أبي عمرو وقال إنها ثلاثون فوجدتها كما قال. وذكر أن (بلى) وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعاً. وأن (كلا) في القرآن ثلاثة وثلاثين موضعاً وهو كما قال. بل كانوا يعدون حروف القرآن في زمن لم تعرف فيه المعاجم وكانت أساليب العدّ بدائية قياساً إلى تقنية زماننا ومع ذلك يقول الشريف:

فالألف في ساير القرآن	ثمانية وأربعون ألفاً بلا بهتان
ثم الباقي من هذا الوصف	أربعون وسبعمائة حرف
وعدد الواوت يا فقير	خمسة وعشرون ألفاً بلا نكير
وخمسمائة وستة من الواوات	معدودة لسائر الرواة

ونحو هذا كثير شحن به منظوماته.

ومن أمثلة ضبطه وإتقانه أن الخراز حين وصل إلى التاءات فاته ذكر بعضها، قال المارغني في شرحه للمورد: لم يذكر الناظم من جملة الألفاظ المرسومة بالتاء كلمتي (ذات ومرضات) نحو (ذات الشوكة) و(ذات بهجة) و(بذات الصدور) و(ابتغاء مرضات الله)

---

(1) القراءات والرسم: ٢٨٢.

(2) القراءات والرسم: ٢٧٩.

وكان حقه أن يذكرهما لشمول الترجمة لهما وقد ذكرهما الشيخان[1] يعني الداني وأبا داود. فلما راجعتها عند الشريف وجدته قد ذكرها باستقصاء لم يغادر شيئاً في منظومة (المعارف) وكان ذلك قبل أن يظهر شرح المارغني بزمان لأن الشريف أقدم منه زماناً. يقول الشريف:

وستة تأتيك يا ذكي ووقفها بالتاء للبصري
وهي (اللات) مع (مرضات) و(ذات) من قبل بهجة قل و(لات)
وهكذا(يا أبت) مع (هيهات) رسمها بالتاء للكل آت

فنص الشريف هنا تحديداً على الألفاظ التي استدركها الشارح على الخراز.

ومن نماذج الضبط والإتقان عنده أيضاً قوله في منظومة (مقدمة الأحكام) في حديثه عن زوائد الياءات:

وعدها في لو يا قاري محرر بسند الأخيار

وقد تتبعت هذه المواضع في كل سورة وعرضتها على كتاب السبعة لابن مجاهد وكتاب التيسير للداني وكتاب رواية أبي عمرو[2]، فما وجدته أخل بذكر شيء منها. ولكنه قال في آخرها: (وعدَّها في لو يا قاري) يريد أن هذه الياءات ست وثلاثون لأن (لو) في حساب الجمل تساوي (٣٦)، اللام ثلاثون والواو ستة، ووجدت الداني يجعلها أربعين ياءً في المقنع وإحدى وستين في التيسير، والشاطبي يقول إنها اثنتان وستون، ولا تناقض فيما ذكره الشريف مع ما قالوه فهم إنما يتحدثون عن جميعها المثبت منها والمحذوف ولكن الشريف يحصي رواية أبي عمرو بوعي ودقة وضبط والذي ذكره هنا هو ما أورده الداني في قوله:

---

(١) دليل الحيران: ٢٣٩.

(٢) انظر تفصيل الحديث في منظومة الأحكام.

"وأثبت أبو عمرو من ذلك في الوصل خاصة أربعاً وثلاثين وخَيَّرَ في [اثنتين] ﴿ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾ ١٥/ الفجر] ﴿ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ "[١٢/ الفجر] فعلى هذا مجموعها ست وثلاثون ياء، وهذا أحد المواضع التي تكشف عن جمع الشريف عليه رحمة الله بين الشمول والتخصُّص. فيتكلم عن الحكم في عامة مواضعه ثم يورد ما عليه صاحبه أبو عمرو بن العلاء في رواية الدوري.

وقد عرف الشريف بحفظه النادر وإحصاءاته الدقيقة التي تدل على ضبط وإتقان وثقة بالنفس عجيبة فما عدّ شيئاً إلا وجدته كما عده تماماً. فتراه يقول لك:

وزد أئمة في العدّ ... ولم نجد في الذكر غير الحد

هذا العدد المذكور زد عليه كلمة (أئمة) ولن تجد في الذكر غير هذا، فالزيادة التي أشار إليها هنا استدراك منه سنقف عنده وكونك لا تجد في الذكر غير ما أشار إليه فهذا دليل الثقة والضبط.

هذا وقد شغلتني بعض المواضع عنده إذ ذكر أنها خمسة وهي في القرآن ستة فلما تفحصتها وجدتها من المواضع التي تدل دلالة قاطعة على ضبط الشريف عليه رحمة الله وأنه يعيش في القرآن بكلياته ويعرف آياته وحروفه معرفة الحافظ الخبير؛ ففي حديثه عن كلمة (لؤلؤ) في القرآن في منظومة الصيانة يقول الشريف رحمه الله:

وَلُؤْلُؤاً بالرَّفْعِ أَوْ بِالجَرِّ ... في كَلِمَاتٍ خَمْسَةٍ في الذِّكْرْ
في الحجِّ والرَّحْمَنِ ثم فَاطِرِ ... رجح الألفِ زايد يا سَاطِرْ
ورجِّحَنَّ تَرْكَهُ في الطُّور ... والمُزْنِ لا فَارَقَكَ السُّرُور
وإنْ يَكُنْ تَنْوِيْنُهُ مُصَاحِبْ ... للنَّصْبِ وَهْوَ أَلِفُهُ يَا ذاهِبْ

في هذه الأبيات ذكر أن كلمة (لؤلؤ) خمسة مواضع، فوجدتها في القرآن ستة مواضع كما قدمت ثم تبين لي أنّ هذا من علامات دقة الشريف فهذه الكلمة موضعان مرفوعان في الطور[٢٤] والرحمن [٢٢] وموضـع مجرور في الواقعة [٢٣].وهي ثلاثة مواضع نصب في الحج [٢٣] وفاطر [٣٣] والإنسان [١٩] ولكن في قراءة غير نافع وعاصم النصب موضع واحد فيكون الرفع في موضعين والجر في ثلاثة مواضع وهذا تعليل قوله:

ولؤلـؤ بـالرفع أو بـالجر في كلـمات خمسـة في الـذكر

ثم زاد أن الألف المنصوب هو ألف تنوين النصب أصلاً، وإنما الإشكال في زيادة الألف بعد الواو في غير المنصوب وهو موضع خلاف بين أهل الرسم. قال المارغني: "والعمل عندنا على عدم زيادة الألف في الذي في الطور والواقعة"[1]. وهذا ما سبقه إليه الشريف في البيت (٣٨١). وستتبين لك ألوان من ضبطه في غير هذا الموضع في نحو حديثه عن كلمة (بأيد) في منظومة (مقدمة الأحكام) وغيرها.

[1] دليل الحيران: ١٩١.

اليقظة، وقوة الشخصية العلمية

استفاد الشريف عليه رحمة الله ورضوانه من معارف السابقين واطلع على علومهم فحواها صدره ووعاها قلبه، ولم يكن ظلاً لهم ولا تابعاً مقلداً فهو يثني عليهم ويذكر فضلهم ويصرح بالأخذ عنهم في أمانة متناهية وفي يقظة ووعي لا ينقل نقل المقلد الأعمى. ويحاج بالنص ويرد بالنقول عن الأئمة الأخيار. وقد رأينا في سيرته أنه كان يحاجّ بالقرآن حتى في أمور الحياة اليومية. وسيمر بك شيء من هذا في الأوهام التي صححها.

ومن علامات يقظته أنه يرجع إلى مصادر ومراجع معظمها يتناول قراءات غير قراءة أبي عمرو المختارة عنده ومع ذلك يعرف قراءات القراء وأحكام أهل الضبط والرسم ولا يفوته شيء من مذهب صاحبه أبي عمرو الذي اهتم به فكان من العلماء الذين مكنوا لقراءة أبي عمرو في السودان وعملوا على انتشارها فقرأ بها الناس في معظم أنحاء السودان إلى أن ظهرت المقارئ الأخرى خصوصاً رواية حفص بعد انتشار التعليم الحديث.

ومن دلائل يقظة الشريف وحضوره في النظم وإلمامه التام بقراءة أبي عمرو وضبطه قراءته أنه في حديثه عن الهمزتين في كلمة واحدة أحصى مواضعها في القرآن فقال:

وهمزةُ الوَصْلِ إذا أَبْدَلْتَا	علامةَ المدِّ لها جَعَلْتَا
وهمزةُ الاستفهامِ يرسمونا	قُبَيْلَهَا في السَّطْرِ يكتُبونا
وهي سبعٌ عندنا في الباب	نظمَها بعضُ ذوي الألباب
بقولِه: ءَالِذْ وءالله وءالَ	معاً و(ءالسِّحْر) به الإمامُ قَالَ

وحين راجعت هذا الموضع في منظومة الخراز وجدته يجعل هذه المواضع ستة فقال: "الآن بموضعي يونس، آلذكرين معاً بالأنعام، وآلله أذن لكم بيونس. وآلله خير بالنمل. فهذه

ستة أحرف[1]. ولم يذكر الموضع السابع الذي ذكره الشريف هنا وهو (آلسحر) وهو الآية ٨١ من سورة يونس. وهو الذي قال عنه الشريف (قال به الإمام) ويعني به أبا عمرو بن العلاء. وهو ما نقله ابن الجزري ولكن في غير هذا الموضع ونص عليه الغافقي جامع رواية أبي عمرو وذكره الداني قبلهم. فهذا الموضع مما تفرد به أبو عمرو من السبعة وأبو جعفر من العشرة وإلحاق الشريف له في نظمه دليل على حضوره في النظم ويقظته في بيان الأحكام وبراعته في تتبع حروف أبي عمرو على الرغم من أنه ينظر في مصنفات تعنى بشرح قراءة نافع مثل مورد الظمآن للخراز. وللقارئ أن يراجع المسألة في موضعها من المنظومة المشار إليها.

هذا الإلمام التام بالقراءات والقراء ووجوه القرآن وضبطه ورسمه أكسب الشريف ثقة كبيرة في نفسه فإذا عدّ لم يترك مجالاً لمستدرك وإذا ذكر حكماً قطع به دابر الشك. لذلك تجده قوي الشخصية معتمداً في ذلك على محفوظ غزير وحضور تام وتفرغ كامل وانقطاع لله لا تشوبه شائبة.

ومن مظاهر قوة الشخصية سوى الاستدراك على الجلة والضبط والإتقان وإصلاح الخطأ تجد له عبارات دالة على تمكن ومعرفة ثابتة لا تحركها كثرة الروايات وتعدد أوجه الخلاف بين الأئمة. فيقول مثلاً:

وبعض أهل الضبط يتركون	مكانها المدة يجعلونا
للجمع بين مدة وألف	ولا تكون واجداً للسلف
نصّاً، ولكن بعض من تأخرا	أجاز ذلك كما قد ذكرا

أو قوله:

---

(١) دليل الحيران: ٢٨٩.

وبعضهم يقول ذا عن شيخ أخذته وما أرى للشيخ

نصا، ويعرض عن الصواب وأمره آل إلى العتاب

فهو في الموضعين يؤكد أن ما ذهب إليه هؤلاء ليس فيه نص للسلف.

وله في منظوماته عبارات دالة على الفقيه المتمكن والعالم المتصدر والحافظ المتقن والمعلم الواثق مما يقول كنحو قوله: وكن بقولي آخِذْ، بلا امتراء – بلا نكران – بلا عناد، بلا خلاف – بلا ترديد – خذه بلا توهيم – بلا بهتان – بلا خفاء – بلا إشكال – بلا إيهام – خذ بياني – خذ تحقيقي – خذ قياسي – خذ نقلي – خذ إيضاحي – خذ مثالي – وعشرات أخرى من هذه الألفاظ جعلها مخارج لأكثر أبيات منظوماته ينهي بها الأحكام وهي من بعد دالة على ثقته بعلمه ويقينه من صحة ما ينقله ويرويه وحرصه على التحرير والتوثيق.

ومن علامات قوة شخصية الشريف العلمية أنه كان صاحب اختيار في مصنفاته وفي المصاحف التي كتبت بتوجيهه وكان اختياره هذا متبعاً من بعده. ففي حديثه عن حكم الواو والياء بعد النون الساكنة ذكر في منظومة الصيانة أن لكتاب المصاحف وجهين الأول وضع علامة التشديد على الواو والياء دلالة على إدغام النون فيهما وعلامة السكون على النون دلالة على الإدغام الناقص لبقاء الغنة. والوجه الثاني تعرية النون من علامة السكون إيذاناً بإدخالها وتعرية الواو والياء من علامة التشديد إشعاراً بأن الإدغام غير كامل. فاختار الشريف الوجه الأول وعليه جرى العمل في مصاحف عصره وما تلاه. ثم اختارت لجان المصاحف المطبوعة الوجه الآخر.

وكانت اختياراته في رسم الهمزة التي سار عليها كتاب المصاحف في السودان مثل رسم الهمزة إن كان معها لام ألف مثل (الأرض) فهي في هذه الحالة تكون على القرن اليمين ويجعل السكون فوق القرن الآخر ونحو ذلك.

وتبع في وضع علامة الصلة مذهب المغاربة في جعلها جرة صغيرة بالحمراء، وسارت على ذلك المصاحف الخطية. وقد خالفتها المصاحف المطبوعة بجعل هذه العلامة رأس صاد صغيرة.

واختار الشريف في رسم لفظة (أكون) من قوله تعالى (فأصدق وأكون من الصالحين) من الآية ١٠ من سورة (المنافقون) فالرسام لهم مذهبان تبعاً للمصحف الإمام هما حذف الواو في رواية الخاقاني وإثباتها في رواية الحلواني[١]. قال الشريف:

وأكون رسمها بالواو	عن الإمام المازني الراوي
ورسمها بالواو قل مختار	عن كل المغاربة الأخيار
لكن حذفها جرى به العمل	والراجح الإثبات والحذف أقل

وعلى قول الشريف هذا جرى العمل في المصاحف السودانية المخطوطة بإثبات الواو بالكحلاء. وسيأتي تفصيل هذا الحرف في موضع آخر[٢].

---

(١) المقنع: ص ٤٣.

(٢) انظر أيضاً القراءات والرسم: ٤٠٠.

استدراكه على السابقين

شغف الشريف محمد الأمين بالاستقصاء وولعه بالتفصيل وإيهانه بالتحرير والتوثيق والتجويد دليل على روح الأستاذية المتأصلة فيه فقد نشأ الرجل متعلماً وعاش عالماً ومعلماً. يضاف إلى ذلك عمق إيهانه وصدق توجهه إلى الله وإجلاله للكتاب العزيز وفناؤه في خدمته. كل هذه الأمور جعلت الشريف باحثاً لا يقر له قرار ومنقباً لا يكل من النظر في الآثار. هذا البحث المستمر المشفوع بصفاء الذهن وقوة الذاكرة والتفرغ لما هو فيه جعله يمحص أقوال السابقين ويختبر مروياتهم ويفحص نقولهم فوقف بذلك على أمور كثيرة فاتت على الجلة من أهل هذا الشأن.

والمعروف أن الشريف أقام بحوثه وأنشأ خلاويه ونظم منظوماته على هدى رواية الدوري عن أبي عمرو، هذا مع ضبطه وحفظه لبقية القراءات كما بان لنا من عرض منظوماته. والمعروف أن الناس كان أكثرهم في السودان على رواية ورش، وأن مصنفاتهم في ذلك كانت تبعاً لهذه الرواية، والمصادر المشارقية والمغاربية التي بنى عليها الشريف علومه أيضاً كانت تعتمد مقرأ الإمام نافع براوييه ورش وقالون ولكن الشريف اختار بعد إتقانه رواية ورش وغيرها رواية أبي عمرو الدوري عن أبي عمرو البصري. فكان في مؤلفاته صاحب يقظة تامة لا تختلط عليه القراءات ولا الروايات. وفي تتبعي لرواية الدوري وجدت علماً من الأعلام القدماء هو الإمام الخطيب المقرئ الفاضل العلامة أبو القاسم أحمد بن جعفر بن إدريس الغافقي قد جمع قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري في كتاب سماه (رواية أبي عمرو) ماترك فيه شاردة ولا واردة من قراءة هذا الإمام بطرقها ورواياتها المعروفة ومع ذلك وجدت الشريف يقف على أمور ثابتة في رواية أبي عمرو بن العلاء فاتت على الغافقي جامع

قراءة أبي عمرو. ومن ذلك أن الشريف يثبت لأبي عمرو موضعين نقل فيهما حركة الهمزة إلى الساكن بعدها فقال:

٣٤٠ والنقل جاءنا بموضعين كـ(عادلولى) أول يا عيني

٣٥١ والثاني (بيس الاسم) ضبطه أتى فكسره أسفل لام ثبتا

فبين أن أبا عمرو ينقل في هذين الموضعين من سورة النجم وسورة الحجرات كما بينته في استعراض منظومة الصيانة ولكن الغافقي جامع قراءة أبي عمرو قال: وليس من مذهب أبي عمرو نقل شيء من الهمزات إلى الساكن قبلها البتة... لا إلى لام التعريف ولا إلى كلمة أخرى[1].

غير أنَّ الغافقي حين وصل إلى سورة النجم أثبت النقل فيها. ووجدت الداني وابن الجزري وغيرهم أثبتوا لأبي عمرو ما نقله الشريف وبذلك يكون قول الغافقي سهواً منه ودليلاً على حفظ الشريف وتجويده لرواية أبي عمرو كما فصلته في موضعه[2].

وفي موضع آخر يذكر الشريف عليه رحمة الله رسم الهمزة المسهلة فيقول:

وصوروها في حروف عشر أي كتبوا بالياء يا من يدري

إلى قوله:

وزد (أئمة) على ذا العدِّ ولم نجد في الذكر غير الحدِّ

وبرجوعي للغافقي لم أجده يجعل (أئمة) على الصفة التي جعلها الشريف إذ جعلها الموضع الحادي عشر في الياءات المسهلة بينما يشير الغافقي إلى مذهب واحد لأبي عمرو في

(١) رواية أبي عمرو: ص ٧٧.

(٢) الصيانة الأبيات: ٣٤٠-٣٥١.

ذلك وبناءً على ما ذكره ابن القاصح وابن الجزري يكون ما ذكره الشريف استدراكاً على جامع رواية أبي عمرو كما حررته في موضعه[1].

وفي حديثه عن همزة الاستفهام ذكر الخراز ستة مواضع لها، ولكن الشريف يجعل هذه المواضع سبعة في قوله:

وهي سبع عندنا في الباب   نظمها بعض ذوي الألباب

ومع أن هذا لا يعد استدراكاً على الخراز لأنه يحصي مواضعه في قراءة ورش ولكنه دليل على وعي الشريف ويقظته في المعالجة ومع أنه نظر في الخراز وفي سلم المريد كما أشار إليه ولكنه أثبت المواضع الستة كما أثبتوها ثم أضاف الموضع السابع الخاص بصاحبه الدوري كما بينته في موضعه[2].

ومن المواضع التي اهتم بها الشريف ولم يهتم بها غيره وهي موضع إشكال كبير إثبات الواو من لفظة (أكون) في قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [١٠/ المنافقون]. ولم يتكلم الشيخ عبدالرحمن الأغبش في كتابه عمدة البيان عن هذه الواو واعتنى بها الشريف محمد الأمين[3]. قال الشريف عن هذه اللفظة:

وأكون رسمها بالواو   عن الإمام المازني الراوي
ورسمها بالواو قل مختار   عن كل المغاربة الأخيار
لكن حذفها جرى به العمل   والراجح الإثبات والحذف أقل

---

(١) انظر استعراض منظومة الصيانة: الأبيات ٢١٠-٢١٩.

(٢) البيت ٢٢٨ الصيانة.

(٣) القراءات والرسم: ٤٠٠.

يثبت الشريف هنا قراءة أبي عمرو كما نقل عنه. ويذكر اختيار المغاربة إثبات الواو تبعاً لمذهب أبي عمرو ولكن الذي جرى به العمل عند الشريف وهو الذي في معظم المصاحف هو حذف الواو. ومع ذلك يرى الشريف أن الراجح إثباتها كما أتت به الرواية وأن حذفها أقل من إثباتها. لذلك نجد في مصاحف الشريف وتلاميذه الإثبات وسار عليه معظم أهل الرسم في السودان كما نجد الحذف ورسمها بالحمراء دليلاً على إلحاقها كما في مصحف تلميذه ضرار. فكأن الشريف يحافظ على الأثرين.

هذا وقراءة أبي عمرو بن العلاء و(أكون) بواو بين الكاف والنون ونصب النون. قال عنها صاحب الإتحاف: اتفقت المصاحف على رسمها بلا واو ولم يكن أبو عمرو ليجرؤ على القراءة بلا أثر مخالفاً للرسم. وقد روى الحلواني عن بعضهم: قال رأيت في المصحف الإمام(وأكون) بالواو. ورأيته ممتلئاً دماً[1]. ونقل الداني هذا الوجه عن الحلواني وأثبت الوجه الآخر عن أبي عبيد القاسم بن سلام بلا واو.

قال ابن قتيبة: كان أبو عمرو يقرأ (فاصدق وأكون) بالنصب ويذهب إلى أن الكاتب أسقط الواو كما تسقط حروف المد واللين في (كلمون) وأشباه ذلك[2]. أراد قولهم (كلمن).

وقال أبو عبيد قرأ أبو عمرو (وأكون) وذهب الواو من الخط كما يكتب (أبو جاد): (أبجد).

واحتج أبو عبدالله بن خالويه لأبي عمرو بقوله: قرأ أبو عمرو وحده (وأكون) بالواو جعله نسقاً على (فأصدق) وذلك أن (لولا) معناه (هلا) وجواب الاستفهام والتحضيض

(1) إتحاف فضلاء البشر: ٤١٧.

(2) مشكل تأويل القرآن: ٥٦.

بالفاء يكون منصوباً. واحتج بأن في حرف عبدالله وأُبَيّ (أكون) بالواو مكتوباً. قال إنما حذفوا الواو في الكتابة كما حذفت من (كلمون) وكما حذفت الألف من سليمان[1]".

(1) إعراب القراءات لابن خالويه – رسالة دكتوراه، إبراهيم القرشي، ورقة: ٥٤٠أ.

إصلاح الوهم

الاشتغال بعلوم الرسم والضبط والقراءة هو اشتغال بما يتعلق بكتاب الله العزيز، وعلم كهذا يحتاج مزاوله إلى الإتقان والتجويد والتجرد وإخلاص النية؛ لأنه عمل لله وخدمة لكتابه وللمسلمين. وقد كان الشريف رحمه الله يضع هذه الحقيقة نصب عينيه، وقد رأينا فيما تقدم أنه جعل عمله كله خالصاً لله لم يخلطه بدنيا منذ أن شبّ متعلماً إلى أن صار عالماً ومعلماً. لذلك كان همه الضبط والإتقان والتحقيق والتوثيق، وكثيراً ما طالب تلاميذه بالإتقان والضبط:

والظّاء عند التاء سكّنوها وشددوا للتا وأتقنوها

أو قوله:

ك(قوما الله) و(خيرا هبطوا) و(عَدْنٍ التي) لكل اضبطوا

وكثيراً ما طالبهم بتحرير التجويد ومعرفة الفصيح الصحيح كما قال في منظومة (المعارف):

واعرف الأفصح من الفصيح وحرر التجويد بالتصحيح

وهو مع كل ذلك يصدر عن تواضع عظيم، فحين يحرر حكماً ويرضى عنه ويشير إلى أنه ضمنه في منظومته يتنابه الخجل فيسارع إلى كسر جماح النفس فيقول:

٣٩٩ ومثله السكون، والجميع بيانه في نظمي المطيع

٤٠٠ وذاك ظن عاجز ذليل لربه إذ فيضه جزيل

وكم نادى الشريف في منظوماته بالمبادرة من طلاب العلم إلى إصلاح ما يجدونه من خطأ في نظمه شريطة أن يكون القائم بالتصحيح ورعاً يعتمد النصوص والنقل الصحيح؛ وذلك قوله في منظومة الصيانة:

١٩ وأطلب العون من الإخوان — من خلل فيه ومن نقصان
٢٠ بالذل والخضوع وانكسار — وأسأل الله العلي الغفار

إلى أن يقول:

٢٣ وأصلح الفاسد بعد النظر — بالنص لا مجرداً للخطر

فهو يريد من المصلح أن يكون إصلاحه بعد إنعام النظر وبالاعتماد على النصوص لا بالاجتهاد وما يخطر على البال لأن هذه علوم نقل لا مجال فيها للاجتهاد والآراء الشخصية وهو المعنى الذي أشار إليه في موضع آخر:

وإن تر منازعاً في هذا — إن رده بالنص نعم هذا
وإن يكن يرده مجانا — فبئس ما صنعه وهانا

وكان شديد الوقوف عند النصوص كما في قوله:

وذا هو المختار عند القوم — ولستُ زائداً له في النظم

وكان الشريف رحمه الله صبوراً على تحرير الخلاف وقتل المسائل بحثاً، فإن وجد بعد ذلك وهماً أصلحه أو وجد خطأ قوّمه اعتماداً على النصوص. وقد كان معروفاً بالمحاجة بالنصوص القرآنية قال له بعض الأتراك –وكان بعضهم جائراً قاسياً متجاوزاً– ألم يقل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ

وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩ . فرد عليه على الفور: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨. كما كان يحاج بأقوال العلماء المنظومة والمنثورة. فقد أشار مرات إلى ما يأخذه من العلماء تنصيصاً، فمرة يأخذ ويقتبس من ود مدلول ومرة من ابن الجزري ومرة من الخراز ومرة من مكي بن أبي طالب القيسي وقد أثبتنا ذلك في أمانته العلمية وفي مصادر علمه. أما ما أخذه من القيسي وابن الجزري محتجاً به فقوله في منظومة الصيانة:

١٢٧ – (أَحَطْتُ) مَكّيٌّ له قد ضَمّا	(نَخْلُقكُّمْ) في المُرْسَلاتِ عَمَّا
١٢٨ – لكونه منقَّص الإِدْغَامِ	ومالَ بعضٌ من ذَوي الأَفْهَامِ
١٢٩ – لخالصِ الإِدْغامِ وهو الأَوْلَى	كما ارتَضَاهُ سَيِّدُ الأَجِلاّ
١٣٠ – أعني به الإمامَ شمسَ الدينِ	كما أَخَذْتُهُ عَنْ المُبِيْنِ
١٣١ – والقّافُ جَاء عارياً بالجَزْمِ	والشَّدُّ في الكافِ وُقِيْتَ الهم
١٣٢ – والضَّادُ إن دكِرَ قبل الطَّاءِ	مُسكَّنٌ وقَبْلَ حَرْفِ التَّاءِ
١٣٣ – هُمّا يُحَرَّكانِ والتَّشْدِيدُ	يَتْرُكُهُ المُحَقِّقُ المُجِيْدُ
١٣٤ – وَوَضْعُه نَوعٌ من الضَّلالِ	والجَهْل والفَسَادِ والخَبَالِ
١٣٥ – مِثالُهُ (اضْطُر) وفي (مَرِضْتُ)	(أَفَضْتُم) اِقْرَأْهُ كما بَيَّنْتُ

ثم انتقل إلى بيان حكم آخر وبيان وهم آخر. فالحكم أن الضاد إذا ذكر قبل الطاء الساكنة والتاء الساكنة حُرِّكا دون تشديد وهذا هو الأسلوب السديد المحقق ومن الجهل وضع الشدة عليهما.

فقد أشار إلى اللفظ موضع الخلاف وبين أن مكي بن أبي طالب القيسي له قول فيه. ومال آخرون إلى وجه آخر وهو الذي ارتضاه ابن الجزري ولم يكتف بالإشارة إليه بل ذكر المصدر الذي أخذ عنه هذا الرأي وهذه غاية التحري.

وقطعاً للظنون والتوهم يورد الشريف النصوص التي يحتج بها كاملة ويضمنها في منظومه إمعاناً في التحرير وقطعاً لخصومه بعد أن يناقش المسألة من كل وجوهها. فمن الأوهام التي وقف عندها وصححها بناءً على النصوص الموثقة. قوله في منظومة الصيانة (٤٤٦ - ٤٥٨):

فَوَاجِبٌ وَجَايِزٌ وَلازِمْ ... يَكُونُ بِالأَحْمَرِ قَوْلٌ لاَزِمْ

وَرُبَّما فَضَّلَ مَنْ تَنَاءَى ... عَنِ السَّدادِ إِذْ لَهُ تَرَاءَى

ومَذْهبٌ هادِي إلى الضَّلالِ ... والجَهْلِ والفَسَادِ والخَبَالِ

وإِنْ تَرَى مُنَازِعاً في هذا ... إِنْ رَدَّهُ بِالنَّصِّ نِعْمَ هَذَا

وإن يَكُن يَرُدُّه مَجَّانَا ... فَبِئْسَ مَا صَنَعَهُ وَهَانَا

وإنّما ذكرْتُهُ اقتداءا ... بِهِم ولَمْ أُحْدِثْهُ افتراءا

أَمَا تَرَى مُحمداً يَدُلُّ ... كَلامُهُ عَنْ خَلَلٍ يَجِلُّ

وَهْوَ الذي نّذْكُرُهُ قَرِيبَا ... ذَكَرَ ذَا وغيرَه النَّجِيْبَا

[وَكُلَّ مَا ذكَرْتُ مِنْ تَنْوِينِ ... أَوْ حَرَكَاتٍ أَوْ مِنَ السُّكُونِ

والقَلْب للبَاءِ وما لِلْهَاءِ ... مِنْ صِلَةٍ من واو أوْ مِنْ يَاءِ

وَنَحْوَ (يَدْعُ الدَّاع) والتَّشْدِيدْ ... وَمَطَّةٌ وَدَارَةُ المَزِيدْ

وَنَقْطُ (تَامَنَّا) وَمَا يُشَمُّ ... مَعَ الذي اخْتَلَسْتَهُ فَالحُكْمُ

أَنْ تَجْعَلَ الجميعَ بالحمراءْ] ... أَمَا تَرَى لِوَهْمِكَ انْجَلاءْ

يتحدث الشريف هنا عن لون المداد الذي تكتب به علامة المدّ وهو القلم الأحمر، قال: وهناك قوم ابتعدوا عن السداد والتوفيق ففرقوا بين لون المداد الذي يكتب به المد فإن كان لهم في ذلك نص فأكرم وأنعم وإن كانوا يردون ذلك بالمجان أي دون سند فبئس ما صنعوا وأنا إنما أذكر هذا لألزمهم الحجة فقد قال محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز في مورد الظمآن ما يثبت كلامي. ثم أورد أبيات الخراز بنصها وضمنها في أبياته وهي الأبيات الأربعة من قوله [وكل ما ذكرت] إلى الشطر الأول من البيت الخامس أي [أن تجعل الجميع بالحمراء].

فهو بعد أن ذكر الصحيح وفنَّد الوهم وذكر الحجة نقل النص الذي يحتج به حتى لا يدع مجالاً لمجادل.

وقال في موضع آخر من الصيانة (٢٥٠ – ٢٦٨) وبالغ في الاستقصاء والتتبع والرد على الجهال وبيان وجه الصواب في قوله:

وإن أتى بالضمِّ وَهْو صُوِّرا ... بألفٍ في وَسْطِهِ مُسَطَّرا

لم يُرَ في ذلك من خلافِ ... ويزعمون أهلُ الانحرافِ

بأنَّه يكونُ فوق الصُّوره ... وذاك محضُ جَهْلِهِم ضَرُورهْ

وبعضُهم يقول ذا عن شيخ ... أخذتُه، وما أرى للشَّيْخ

نَصّا، ويعرض عن الصواب ... وأمره آل إلى العتاب

مُعْتَكِفاً على الضَّلال البادي ... مكتفِياً بالجهل والعِنَاد

وربما قال فهذا شاع ... شُيوعُهُ يزيل الامتناعَ؟

وذاك غاوٍ ذو دليل واهي ... لكونه يَتَّبِع الملاهي

وإن طلبتَ منه النَّصَّ قالا ... العلمُ واسعٌ كثير مالا

نظير هذا يقرأون الرَّاءَ ... من يونسٍ للحِجْرِ لا امتراءَ

بهمـــــزةٍ ســـــاكنة ويكســـرون	الهـــاء في أول كـــافٍ يخســـرون
بــــل إنهـــا مُمالــــةٌ للــــدوري	واليـــاءُ مفتـــوح مُنِحْـــتَ النُّـــور
والألْـــفُ ناشـــئٌ مـــن الحـــرفين	وتركُـــــه يحـــــرُم دونَ مَـــيْن
كيـــاء ياســـين وهـــاء طـــه	وطائهـــا والشـــعراء ضـــاهى
وَنْملُهـــــا وقَصَــــصٌ وحـــاء	حـــم في السـبع وحـــرف الـــراء
في يـــونسٍ ومـــا يليهـــا الجمـــعُ	في (حَـــيّ رَهْـــط) قصـــرُها والمَنْـــعُ
وَرَدَ في إســـــقاطِ ألـــفٍ نـــاشي	منهـــا وذاك في النُّصـــوص فَـــاشِي
وَرَاءُ (رى) يُقْـــرا كَـــرَاءِ (البُشْـــرى)	وكـــ(افـــتَرى عَـــلَى) ونحـــو (ذِكْـــرَى)
والهمـــزُ لا يُسْـــمَعُ عنـــد الفُضَـــلاَ	قَطْعـــاً وإن أَشَـــاعَهُ مـــن جَهِـــلا
وأَلِـــفُ الإلحـــاقِ ذو امتنـــاع	في أول السُّـــــورِ بالإجمـــــاع

يبين الشريف هنا بدراية ومعرفة تامة ما يقع فيه بعض الجهلة بأحكام الضبط والشكل فبعضهم يرى أن توضع الهمزة فوق صورة الألـف وهـذا جهـل محض ثـم يبـدأ في تفنيـد حججهم فإن قالوا أخذنا هذا عن شيخ فهو لثقته بصواب ما ذهب إليه يرى أن هـذا الشـيخ وإن وجد فإنه لن يكون له نص اعتمد عليه. وربما قال بعضهم هذا الوضع أصبح شايعاً فيرد عليه الشريف ببراعة: وهل شيوع الخطأ يجعله صحيحاً؟ وهذا دحض جيد مقنع لما شاع عند الناس من أن الخطأ الشايع صواب. فمهما كانت درجة شيوع الخطأ فإن الشيوع لا ينقلـه إلى الصحة. وهذا منطق سديد.

والخطأ الثاني أنهم يقرأون الراء بالفتح يعني بتجريدها من الإمالة في أول السور الست: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر، يعني في قوله تعالى في فواتحها (الـر، والمـر) ويمدون بالفتح حتى تنشأ همزة ساكنة بعد الراء، وهذا خطأ لا يسمع عند الفضلاء العـارفين

بالتأكيد وإن شاع في استخدام الجهال. وهذه الأحرف ممالة إمالة محضة في رواية الدوري عن أبي عمرو، وهو الذي عناه الشريف بقوله (وراء رى) أي الراء من (الر، والمر) تقرأ كما تقرأ الراء من كلمة (البشرى) ممالة إمالة خالصة بل قال الإمام الشاطبي:

وإضجاع (را) كُلِّ الفواتح ذكره ... حما غير حفص طاوياً صحبة تلا

يعني أن هذه الراء في فواتح السور الست ممالة للكل إلا حفصاً. فالذين يكسرون الهاء ويفتحون غيرها يخطئون لأن الكسر مروي في الجميع. وقوله (في أول كاف) يريد أول سورة مريم لأنها مبتدأة به. والحروف المقطعة في أوائل سور القرآن مجموعة في قوله (طرق سمعك النصيحه) والذي يُمَدُّ منها مجموع في قولهم (نقص عسلكم) وقد ذكره الشريف في قوله:

وهو مخصوص بأول السور ... وضبطه في (نقص عسلكم) انحصر

ومما يتعلق بالإمالة أيضاً ما صححه الشريف من الوهم في أن بعض الناس يجعل علامة الإمالة تحت الألف الذي نشأ نتيجة المد وإنما الصواب أن تكون تحت الحرف الممال أصلاً بل يذهب بعضهم بعيداً فيرسمونها كسرة تحت الشدة من كلمات مثل (الناس والنار) وإنما تكون النقطة تحت الحرف ذاته يقول الشريف في منظومة الصيانة (١٦٤-١٧٠):

وإنّما بَيَّنْتُه للنَّاسِ ... لِمَا رَأَيْتُهُ من الْتِباسِ

فَرُبَّما تَرَى الجَهُوْلَ الغَاشِي ... يَجْعَلُهَا أَسْفَلَ أَلْفٍ نَاشِي

بل رُبَّما غَيَّرَها وَجَاءَ ... بالكَسْرِ في مَكَانِهَا أَسَاءَ

كَجَعْلِهِ الكَسْرَةَ تحتَ الشَّدِّ ... وانظُرْ لَهُ أَخِي بعَينِ الرَّدِّ

والكَسْرِ لا يَصْعَدُ فوق الحَرْفِ ... نَعَمْ وإنْ شُدِّدَ أَيْ في العُرْفِ

وَلاَ يَسُوغْ جَمْعُهُم لِلْفَتْحِ ... مَعَ الإِمَالَةِ، وَأَهْلُ الفَتْحِ

اقتصَــــرُوا عليـــــــه لا مَحَالَـــــــهْ   أيْ وَضَـــعُوا وتَركـــوا الإمَالَــــهْ

أشار الشريف من أول أبياته إلى أن نقط الإمالة يكون تحت الحرف الممال لا تحت الألـف وأصل الأمر هو فتحةٌ على حرف إما أن يؤتى بها كاملة فيحدث المد ألفاً وإما أن يمال الصوت فيخرج شيئاً بين الألف والياء. ونقط الإمالة عبارة عن نقطـة بـالقلم الأحمـر. وقـال إن هـذا القول والضبط أشار إليه بعض ذوي الجلالة وهو يعني الإمام محمد بن محمد الخراز صاحب مورد الظمآن الذي يقول:

وَعَوِّضَـــــنَّ الفتحـــــة المهالـــــة   بـــالنقط تحـــت الحـــرف للإمالـــة

قال المارغني: "وأشار بقوله (تحت الحرف) إلى بيان محـل الـنقط... ولـيس المـراد تحت الألف الناشئ كما عند كثير من الجهلة"[1] وهذا هو قول الشريف الذي اطلع قطعاً على قـول الخراز ولكنه لم يطلع على قول الشارح لأنه متأخر عنه زماناً –أعني المارغني– فاتفق المارغني مع الشريف على وصف من يقول بهذا بالجهل.

والجهل بهذا قديم قال ابن خالويه: (الإمالة لا تكون إلا في الألف وإنـما يشـم مـا قبلـه الكسر لتصح الإمالة. وقد قال قوم إنهما ممالان)[2]. لذا فهم حين وضعوا العلامة تحت الحرف الأول فلأنه ابتداء الحركة والحركة بعض الحرف. وبعد التمثيل له أوضح السبب الذي جعله يسهب في البيان والتمثيل وهو أنه رأى الأمر ملتبساً على بعض الناس وأن بعض الجهلة منهم ربما وضعوا نقط الإمالة تحت الألف الناشئ بل ربما وضع بعضهم كسرة محضـة مكـان نقـط الإمالة. فهذا كما يقول الشريف مردود غير مقبول عند أهل الضبط. ثـم أبـان أنـه لا يسـوغ

(١) دليل الحيران: ٢٥٨.

(٢) إعراب القراءات السبع (رسالة دكتوراه غير منشورة) إبراهيم القرشي. الورقة٢١٩

الجمع بين الفتح والإمالة وأن الذين يقرأون بالتفخيم أو الفتح كما في رواية قالون عن نافع يقتصرون على الفتح فيضعون حركته ويتركون الإمالة ونقطها وهو الوجه المروي عن نافع.

ويستفاد من هذا الجدل الذي أداره الشريف – وإن لم نقف على الأطراف الأخرى المشاركة فيه– أن الحركة العلمية في ذلك الزمان كانت قوية وأن الشريف تأتيه وفود من الطلاب من مدارس مختلفة يحملون آراء تخالف ماعنده وهو العالم الذي لا يسكت عن خطأ. وربما ناظره بعض العلماء في ذلك فأنشأ ما أنشأ في الرد عليهم وهذا محض استنتاج لا تعضده رواية لأنا لم نعلم في زمان الشريف رجلاً وصل إلى ما وصل إليه الشريف في العلم والإتقان والتجويد والتصنيف المفيد وكانت له مدرسة في خلاويه لم تقم لها مدرسة لما عرف من ضبطه وإتقانه وانقطاعه التام لرسالة خدمة علوم القرآن.

ويقف الشريف عند الأقوال الواهية الضعيفة فيؤكد على ضعفها حتى لا تجد أذناً صاغية ممن يثق في كل قول منسوب إلى عالم قديم. كقوله:

والأَلِفُ إن عانَقَ حرفَ اللاَّمِ	وكان ذا مَدٌّ لهمْزٍ سَامِ
فالمدُّ فوق قَرْنه اليمين	وللشّمال فَتْحُهُ مبين
وعَكْسُهُ وُهِّنَ عِنْد النَّاسِ	فَلاَ تَكُنْ لِحُكْمِهِ بالنَّاسِي
فَأَوَّل القولينِ للخَليلْ	والثاني للأخفشِ يا جليلْ

فهنا قولان الأول للخليل بن أحمد الفراهيدي إمام العربية وهو الذي اختاره الشريف وسار عليه الرسم في مصاحف السودانيين وأما القول الثاني فهو للأخفش وهو ضعيف واهن لذا يحذر تلاميذه من العمل به في الرسم.

ومما نسبه إلى الضعف أيضاً قوله في رسم التنوين على المقصور:

(عليها مفترى) مع المضاهي والواو في (ربوا) لقول واه

يعني أن (مفترى) وما شابهها وضاهاها مثل (قُرَى وفتى) وكل اسم مقصور رسمت ألفه ياءً كتبت علامة النصب والتنوين على الياء مثلما تضعها على الألف من (علياً) وهذا قول الخليل وسيبويه. والقول الآخر وضع الحركة على حرفها ووضع علامة التنوين على الألف أو ما يقوم مقامه كالواو في (ربوا) وهذا القول ضعيف كما ذهب إليه الشريف رحمه الله.

ولولا خوف الإطالة لوقفنا عند كثير من الأوهام التي نبه عليها ولكن يكفينا من الزاد ما يبلغنا المحل.

المعلّم الأنموذج

لم أجد في تاريخ السودان –فيما بلغه علمي- رجلاً صاحب عزيمة حذاء وهمة ماضية قضى عمره كله –إلا سني اليفاعة- متعلماً ومعلماً كالشريف محمد الأمين الذي وقفنا يقيناً على أنه قضى خمساً وعشرين سنة متعلماً متنقلاً بين المشايخ، ثم قضى نحو خمسين سنة معلماً لا يعرف مهنة أخرى ولا صنعة –إلا التعليم- ولا يفكر في كسب ولا ثروة ولا جاه ولا يمارس عملاً سوى الزراعة مع تلاميذه في أيام المسور (الموسم) وقد عرف بعلو الهمة منذ صغره شهد له بذلك أستاذه وشيخه الصليحابي كما مر بنا إقراره لوالده بأن سبب تفوق الشريف على أقرانه أن الشريف حين يحضر أقرانه وإخوانه إلى الخلوة يكون هو قد أعاد لوحه مراراً وتكراراً. وفي تنقله بين المشايخ في أنحاء السودان وخارجه دليل على الجد في التحصيل. أما نقل خلاويه من جهة إلى أخرى فهو أكبر دليل على العزم والرغبة في الاستقرار وتوفير المناخ الصالح للعطاء الفياض.

وقد جرت الأستاذية في دماء الشريف وكان الحرص على إفهام طلابه هو هاجسه الذي لا يهدأ، وهو الذي دفع به إلى التصنيف لهم وحدا به إلى الاجتهاد في حلّ المنظوم وتفسيره وإلى نظم المنثور وتقعيده وتحريره. وما أكثر ما يشير إلى صعوبة بعض أبواب علوم القرآن ويجتهد في تذليل صعابها لطلابه خصوصاً المبتدئين كما قال في منظومة الصيانة:

٢٩- وإنما رأيت أمراً كانا	إشكاله يحير الإخوانا
٣٠- أي الذين وصفهم بالابتدا	لا العلماء الماهرين بالأدا
٣١- أردت الإيضاح والانشراحْ	لهم وكنت راجي الفلاحْ

أو قوله في المنظومة نفسها في حديثه عن باب الهمز:

١٨٧- وينبغــي اعتنــاء هــذا البــاب لكونــه أشــكل للطــلاب
١٨٨- وهــا أنــا صرفــت فيــه همتــي مــؤملاً بــه دخــول جنــة

ويلاحظ القارئ دائماً وأبداً أن الشريف يوجّه العملية التعليمية كلها لله راجياً بعمله الفوز والفلاح ومؤملاً به دخول الجنة، فعمله كله عبادة خالصة لله. وقد مرّ بك قول ابنه الشريف يوسف "ويقف المعنى عليهم –أي تلاميذه- فيقولون له ما ظهر لنا هذا المعنى فيغوص في دقيقه ويظهر لهم المعنى ظهوراً لا غبار عليه حتى يبتهجوا ويكادوا يطيرون من أنوار الفهوم". وتجد الشريف محمد الأمين نفسه يسر حين يصل المعنى لطلابه أو حين يجد المثال واضحاً مفهما كما في قوله:

١٢٠- (جُنُوبُهـا) ونعـم ذا المثـالْ لكونـه أزال للإشـكال

وما أكثر ما تتمثل في نظم الشريف روح المعلم الذي يقلقه الفهم ويشتد عليه فتراه يحاور طلابه في منظوماته كأنهم بين يديه في كل حين، فمرة يقول (أما ترى لوهمك انصرافا) ومرة (أما ترى لوهمك انجلاء) ومرة (أما يهون؟) وأخرى (أما ترى انشراحها يا تالِ) وهو في منظوماته دائم التنبيه لطلابه على الإصغاء والتركيز والتأمل وحسن الفهم:

والثـاني كـالتقيتم والتقتـا تـأملَنْ فـيما ذكـرت يـا فتـى

وما أكثر ما جاء في أبياته الحث على ذلك بنحو قوله: فافهم واعرف، لتفهمن، فافطنوا، خذه وافهم، خذه واعتبر، فاحرص. فافهم أُخَيَّ هذا واعتبر.

وهو دائم الحض لطلابه بتحريك هممهم وحفزهم لترقية الفهم وتجويد التحصيل كما قال لهم في منظومة (مقدمة الأحكام):

مشـحونة بالوضـع والتركيـب مفتقـرة لقـارئ أديـب

وكما قال مخاطباً لهم في منظومة المعارف:

وانظـــر لمـــا بعـــد السـكون الــــوافي إن كنـــت ذا لـــب وفهـــم شـــافِ

ويطالبهم دائماً بالتحرير والتدقيق لأن هذا العلم الجليل يتعلق بكتاب الله ودينه كما قال:

ثـــم ابتـــدئ بعـــدها بالكـــاف وحـــرر التجويـــد في القـــوافي

والرســـم جـــاء بســـند مبـــين بأنــه ركـــن مـــن أســاس الـــدين

أو قوله:

والآي ذو كـــــــلام انظـــــــروه كـــذا (أو نبـــئ) أيضـــاً حـــرروه

وكثيراً ما يخاطب عقولهم بقوله: يا من عقلا – فخذ بقلبكا – فافطنوا – خذه وافهم ونحو ذلك.

وهو مع اجتهاده في التصنيف لطلابه لا يرى أن ما قام به هو نهاية المطاف لأن العلم أوسع من أن يحاط به، لذلك وجدنا طلابه لا يقفون عند مصنفاته وحدها بل دعاهم وحضهم على الاستفادة من غيره، وهذا شأن الأستاذ المفيد. ومن أمثلة حضه على ذلك قوله:

وبَعْـــضُ أهـــل الضَّـــبطِ يـــذكرونَ زيـــادةً فراجِعُـــوا تَـــدْرُونَ

أو قوله عن مقدار المد:

والقَـــدْرُ ذو بحـــثٍ كثـــيرٍ جَمَّـــا وهـــا أنـــا ذكـــرتُ مـــا أَهَمَّـــا

أو قوله بعد أن أورد رواية أبي عمرو:

وعنـــد ورشـــهم لهـــا تفصـــيلْ يطلـــب في محلّـــه الجليـــلْ

ولا يدعوهم إلى الأخذ كخبط العشواء أو كحاطب الليل بل يحضهم على التمحيص والتحقيق والضبط:

كـ(قوماً اللهُ) و(خَيْرٌ اهبِطُوا) و(عَدْنٍ التي) لكل اضبطوا

وللشريف رحمه الله أسلوب تشجيع في النظم بديع يحبب المنظوم لطلابه وفيه ملاطفة تولد حميمية عالية وقرباً بين الأستاذ والتلميذ فيقبل على حفظ تلك المنظومات لأن كل طالب يرى الناظم كأنها يخاطبه دون غيره، وقد تتبعت ذلك في بعض منظوماته فوجدته عليه رحمة الله يستخدم أكثر من خمسين لفظاً استفاد منها مرتين، مرة في إتمام شطر البيت بعد استفراغ الحكم المراد، والمرة الأخرى مخاطبة وجدان الطالب بعبارات مفردة مرة ومجموعة مرة أخرى وصفات وألفاظ مشجعة حافزة مادحة مرة وحاثة مرة أخرى، مضافة مرة ومجردة مرة أخرى، مفردة مرة ومجموعة مرة أخرى. أما المضاف فمنه قوله: يا ذا الفهم – يا ذا العقل – يا ذا الإفادة – يا ذا القصد – يا ذا البال – يا ذا النظر. يا أخا الإتقان – يا أخا العلوم – يا أخي – يا أُخيّ، بالتصغير – يا ابن خالي – يا صفيّ – يا خليلي. وأما المجردة المفردة فمنها: يا نبيه، يا سميع، يا مطيع، يا مريد، يا رائي، يا عاني، يا فقير، يا فطين، يا منير، يا سليم، يا راوي، يا ناوي، يا رشيد، يا فهيم، يا وافي، يا تال، يا ذكي، يا خبير، يا واع، يا حادي، يا قاصد، يا فتى، يا عارف، يا قارئ، يا دانِ، يا طالب، يا نجيب، يا ساقي، يا ساطر، ويا كاتب، يا هذا. وأما المجموع فنحو يا وُعَاة، ويا قُرَّاء، ويا رواة.

كل هذه الأوصاف مما ينشّط الطالب ويجعله مخاطباً موصوفاً بتلك الأوصاف مما يحفزه على أن يجتهد ليكون مستحقاً أن يوصف بها علاوة على ما توجده من حميمية بينه وبين أستاذه الناظم.

وكان شديد الحب لطلابه يكثر من الدعاء لهم وهذا من أساليبه الناجعة في تنشيط الهمم وتقوية الصلة بالله وترسيخ اللجوء إليه:

وَرَجِّحَنَّ تركه في الطور   والْمُزْن لا فارقك السرور

أو قوله (وقيت الضرا) (كفيت الضير) (نسأله الأمن من الضلاله) (فاسألوه المأوى).

ومثلما يطالب الشريف طلابه بالإصغاء والإنصات طلباً للاستفادة كان هو أيضاً شديد الإصغاء لطلابه مرهف الحس في التأمل معهم يذوب وجداً لإيصال المعاني الشريفة التي ملأت نفسه إلى طلابه. يستمع إليهم بجوارحه كلها يقوّم هذا ويصوّب ذاك ويثني على هذا ويحض ذاك، يتجلى ذلك في ما مَرَّ بنا من قوله حين كانوا يعرضون عليه زرافات فيصحح كل واحد منهم ويقول لهم: (أنا كلي سمع).

العالم القدوة

عرف الشريف عليه رحمة الله بالاستقامة والاعتماد على الله والاستغناء عمّا بأيدي الناس واشتهر بالتمكن من ناصية علوم القرآن والثقة بالنفس فأكسبه ذلك مهابة في نفوس العامة والخاصة وكان جليلاً موقراً بين طلابه ظهر ذلك في ثناء تلاميذه عليه في حياته وبعد موته. ولا يكون العالم مفيداً ما لم يتحلّ بهذه الصفات. وكان رحمه الله يزين ذلك بتواضع جم وسهولة جانب ولين عريكة وزهد منقطع النظير لا يقبل في عمله أجراً من حاكم ولا هبة من وجيه ولا هدية من متعلم.

وكانت حياته كلها قدوة لتلاميذه فهو إمام الصلاة الراتب في أوقاتها الخمسة، وهو صاحب قيام لا يدع اثنتي عشرة ركعة بالليل. يفرّق الطعام بيده على تلاميذه ويجلب الماء على ظهره ويشارك في الزراعة والحش. كما قدمناه في سيرته.

كان صبوراً يتجلى صبره في رحلاته في طلب العلم ثم في عزمه الماضي في منظوماته التي بلغت آلاف الأبيات وفي إتقانه العجيب وإحكامه المذهل لأحكام القرآن. وفي تحمل شظف العيش والتنقل بطلابه من جهة إلى جهة حتى طاب له المقام في شرق الجزيرة. بل يتجلى في صبره على انقطاعه حياته كلها لخدمة كتاب الله متعلماً ومعلماً.

ومع تمكن الشريف واقتداره وشمول علمه وإتقانه وضبطه كان عظيم التواضع لطلابه وإخوانه يطلب منهم البحث والفحص والتمحيص وأن ينبهوه على ما قد يقع منه من الخلل والنقص الذي هو من طبع البشر كما في قوله:

وأطلب العون من الإخوان   من خلل فيه ومن نقصان
بالذل والخضوع وانكسارْ   وأسأل الله العلي الغفار

لمـــــن رأى لعيبـــــه وصـــــار كاتِمَـــــهُ أو كـــــنس الغبـــــارا

أو قوله:

جئـــتكم يـــا إخـــوتي معتـــذرا فَصَـــفْوَهَا خـــذوا وخَلّـــوا الكـــدرا

وفي هذا تواضع واضح ورحابة صدر لقبول النقد والاستدراك لأن هذا العمل لله وينبغي أن تتضافر جهود العلماء وتتكامل معارفهم لتجويده.

أما خضوعه وتذلله لله فإنه أول ما يلقاك في كل حركاته وسكناته في علمه أو عمله.

وذاك ظـــن عـــاجز ذليـــلْ لربـــه إذ فيضـــه جزيـــلْ

لذلك تجده دائم التوجه لله تعالى صادق الإنابة إليه دائم الاستعانة به:

مـــن ربنـــا إيـــاه نســـتعين في كـــل شيء وهـــو المعـــين

وكان نظمه وعمله كله عبادة خالصة لله راجياً رحمته مؤملاً في جنته:

وهـــا أنـــا صرفـــت فيـــه همتـــي مـــؤملاً بـــه دخـــول جنـــة

ويظهر ذلك في كثير من قوافي أبيات منظوماته التي جعلها مواضع للتوجه إلى الله والاستعانة به والثناء عليه والإلحاح في الدعاء له ولتلاميذه فجمع بين حسن الخروج وحسن التدين وسداد المنهج التعليمي:

واشـــترطوا في ضـــم ذا الأصـــالة والحمـــد لله بكـــل حالـــة

أو قوله:

في الـــواو والبـــا بـــان غايـــة البيـــان والحـــمد لله كـــما هـــداني

هذا سوى أبيات الاستهلال وخواتيم منظوماته التي جعلها دعاءً محضاً له ولوالديه ولتلاميذه ولمشايخه.

علوم العربية في منظومات الشريف

اللغة والنحو والصرف

على الرغم من المسامحة في لغة العصر الذي عاش فيه الشريف وما سبقه ومراوحتها بين الفصحى والعامية كما في كتاب الطبقات وكاتب الشونة ونحوه، تعد لغة الشريف قياساً بلغة ذلك العصر في غاية الفصاحة وأسلوبه في غاية السلاسة وتراكيبه في منتهى السلامة إلا ضرورات النظم ورخصه. ونحن لا نشك في تبحر الشريف في علم العربية كتبحره في علوم القرآن لأن تعلم العربية كان عند السابقين فرضاً من الفروض لا يتم طلب العلم إلا بتحصيله وقديماً قالوا يحتاج الفقيه إلى اللغة حاجة شديدة وقالوا أيضاً (الذي يتعلم الحديث ولا يتعلم العربية كالذي له برنس وليس له رأس) أي كالذي له طاقية وليس له رأس يضع عليه تلك الطاقية، إمعاناً ومبالغة في ضرورة تعلم العربية. وقد عرفنا من سيرة الشريف أنه تلقى مبادئ القراءة والكتابة على شيوخ السودان ولكنه في مصر جلس إلى علماء البلاغة والنحو والصرف كالعدوي وعليش والباجوري.

وعلى الرغم من أن الشريف قد نص في بعض منظوماته على أنه ألفها للمبتدئين لا المنتهين كما في قوله:

أي الذين وصفهم بالابتدا لا العلماء الماهرين بالأدا

إلا أنها صيغت بلغة متينة صحيحة سليمة مع حرصه على اختيار اللغة السهلة وتجنبه تعقيدات الإعراب التي يلجئ إليها النظم. وقد طوع اللغة لاستيعاب الأحكام بأسلوب رصين رغم صعوبة النظم وتعذر انقياده في مثل هذه العلوم. وكانت له إشراقات بلاغية معجبة كاستعارته الجميلة في قوله:

لمــــــن رأى لعيبـــــه وصــــــارا كاتمــــــه أو كـــــنس الغبـــــارا

يكني بذلك عن ستر العيب أو إصلاحه.

ومن تشبيهاته الجميلة المعبرة وصفه لنقط الإمالة وهو علامتها وهي تكتب بالقلم الأحمر حيث قال عنها:

وهـــــي نقطـــــة ولكــــن حمــــرا كأنهـــا قُطيعـــة مـــن جمـــره

وكان كثير الحض لطلابه على تحرير التجويد بمعرفة الفصيح من الأفصح لأن كتاب الله يختار له اللغة العالية دائماً قال في منظومة المعارف:

وبعـــد ذكـــر الوقـــف في الهمــزات فنعتنــــي بســــيرة اللغـــات

واعـــرف الأفصـــح مـــن الفصـــيح وحـــرر التجويـــد بالتصـــحيح

وفي إشاراته المتكررة إلى علماء اللغة دليل وبرهان على وقوفه على آرائهم التي يبني عليها أهل الرسم والضبط والقراءة أحكامهم فقد أشار إلى الخليل والأخفش في قوله في الصيانة:

فـــأول القـــولين للخليـــل والثـــاني للأخفـــش يـــا جليـــل

وأشار إلى الخليل وأبي الأسود وهما من أشهر علماء اللغـة والنحـو في قولـه في منظومـة (مقدمة الأحكام):

ثـم الـدارة والـنقط الكـائن في التنزيـل معـــزو للــدؤلي مـــع الخليـــل

وتتجلى معرفته النحوية في سلامة تراكيبه، واستخدامه بعض الوجوه النحوية التي تحتاج إلى بصر ومعرفة في تأويل توجيهها النحوي، فهو كثيراً ما ينصب على النداء المحذوف في نحو قوله:

وإن أتـــى بالكســر تحـــت الكـــل كــ(لؤلــؤ) و(سُــئلَتْ) ذا الفضـــل

أي (يا ذا الفضل) فنصبها على النداء المحذوف وهو كثير مستفيض في كلام العرب وأساليبهم وقد ينصب على المدح كما في قوله:

هو الذي نذكره قريبا ذكر ذا وغيره النجيبا

فهي مع أنها في محل الرفع على الفاعليه أو على البدل من الضمير في ذكر إلا أنه لما احتاج إلى القافية المنصوبة نصبها على المدح أي (أخص النجيب).

وقد يبدو للقارئ من أول وهلة أن في بعض منظوماته شيئاً من اللحن أو الإقواء في القوافي ولكن بإسكان قوافيه على مذهب الرجاز المعروف في قوافيهم المقيدة تصح كلها. وأكثر ما يبدو للقارئ المتعجل لحناً له تأويل في النحو قريب أو بعيد وكله مما يدل على إلمامه الجيد بالنحو ومعرفته بأساليب العربية.

ولم أجده خالف النحو إلا في كلمتين (الأخوان – والحرفان) حيث رفعهما وحقهما الجر، وفي حملها على الإقواء وضرورة النظم عذر كاف إذ لم نجد له في الحشو من منظوماته التي هي ليست من مواضع الضرورة ما يمكن أن يعد لحناً. جاء اللفظ الأول في منظومة المعارف في قوله:

والوقف جاء في الحرفان لحمزة مع هشام بلا بهتان

وفيها أيضاً:

والخلف في فرق بلا بهتان لكسر تقرر في الحرفان

واللفظ الآخر في قوله:

إمالتها في الوقف يا عان للفتى البصري مع الأخوان

فإن كان قد اضطره النظم فذهب بها مذهب الإقواء فإن ذلك وإن عدّ عيباً عروضياً فقد وقع في أشعار الفحول والجلة. وإن ذهب بها مذهب الحكاية كقولهم (دعنا من تمرتان) أو حملها على لغة بني الحارث الذين يلزمون المثنى والأسماء الخمسة الألف فهو أيضاً وجه لا نسوغ به للشريف ولا نعتذر له به ولكنه محكيّ. وبالجملة فإن قليل المخالفة عنده -مع كثرة ما نظم- يشفع له قياساً إلى الصحيح المستفيض عنده.

أما معجمه اللغوي فغني اشتمل على كثير من الكلمات الفصيحة المأنوسة وغير المأنوسة التي استخدمها مما قد يحتاج إلى معجم خصوصاً لدى طلابه المبتدئين ومن ذلك استخدامه ألفاظاً نحو الطَّلِبةُ: وهي المقصد. في قوله:

فذات فتحة مع المنقلبه ... وضمة والوقص فيها طلبه

أي مقصود ومراد مطلوب. ومنها أيضاً: الضير والخبال والأثيل والمين والتوهين والتمشدق والكبر القَلاّءُ ونحو ذلك[1].

وقد يستخدم بعض الكلمات والأساليب التي تبدو من أول وهلة وكأنها غير مفهومة ولكن لها من التأويل المقبول حظاً عظيماً فقوله مثلاً:

وهذه الأمثلة البديعة ... محذوفة الصورة يا مطيعه

فالهاء فيها كالقلقة وما هي بذلك، فتأويلها قريب بأن يكون أراد (هاء الغائب) (يا مطيعَهُ) يريد النظم أي يا مطيعا هذا النظم، أو أراد بها هاء الجماعة أي جماعة الطلاب المطيعة لشيخها أو أنها هاء سكت مطلقاً.

---

(1) الضير: الضرر، الخبل: النقصان وفساد العقل، الأثيل: المؤصل، المين: الكذب، التوهين: الإضعاف، التمشدق: التفاصح، قلاء: بغيض.

أما معرفته الصرفية فبادية ظاهرة في جميع منظوماته جارية على قواعد الصرفيين ومصطلحات الصرف وتتجلى معرفته به في تعليله لحكم زيادة الياء في (بأييد) من قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[٤٧/ الذاريات]. حيث قال:

وزد آخـــــر اليـــــاءين في التعليـــــل	مـــن (بأييـــد) المـــذكورة في التنزيـــل
وعلـــــة الزيـــــادة يـــــا ذا القصـــــد	للفـــــرق بينهـــــا وبـــــين الأيـــــدي
والهمـــــزة الأصـــــلية قـــــل للفـــــاء	واليـــــاء للعـــــين بـــــلا امـــــتراء
ودالهـــــا الأخـــــير في النـــــزول	تقـــــديرها للـــــلام في الأصـــــول
والأيـــــدي المضـــــافة للحـــــروف	تحريرهـــــا في الـــــوزن قـــــل معـــــروف
والبـــــاء بعـــــد الهمـــــزة في النقـــــل	فاؤهـــــا تحـــــررت في الأصـــــل
ودالهـــــا للعـــــين قـــــد انصرـــــفا	واليـــــاء لـــــلام كـــــن معترفـــــا
والهمـــــزة القطعيـــــة في المنقـــــول	خرجـــــت عـــــن الـــــوزن والأصـــــول
وثبتـــــت اليـــــاء بعـــــد الـــــدال	في الأيـــــدي المضـــــافة يـــــا ذا البـــــال

فـ (الأيدُ) في اللغة هو القوة أما (الأيدي) فهي جمع (يد) وقد علل الشريف زيادتها بصورة تدل على تمكنه من علم الصرف ففرق في الميزان الصرفي بين الكملتين: فقال إن كلمة (الأيد) بمعنى القوة الهمزة فيها تقابل الفاء والياء تقابل العين والدال تقابل اللام (أَيَدَ = فَعَلَ). أما الأيدي المضافة للحروف ويعني بها قوله تعالى: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥﴾[١٥/ عبس] ﴿أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ۝٤١﴾[٤١/ الـــروم]، ﴿أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ ۝٢٠﴾ [الفتح] ﴿وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[٢/ الحشر] فهذه أربعة مواضع جاءت فيها (الأيدي) مضافة إلى ما بعدها وكلها جمع (يد) وهي غير الأولى لذلك جعل هذه في الميزان الصرفي معروفة الأصول ووزنها بأن تجعل

همزة القطع فيها زائدة خارجة عن الأصل والياء منها تقابل الفاء، والدال تقابل العين والياء الأخيرة تقابل اللام (يَدَيَ = فَعَلَ) فهو يريد أن يدل على أن الأصول الصرفية للكلمتين مختلفة لذلك جيء بالياء الزائدة فرقاً بين الأصلين.

ولم أجد عنده ما يمكن أن يعد خارجاً عن أصول التصريف إلا قوله (طافية) في قوله في المعارف:

مشحونة بصعائب القرآن طافية للهب الظمآن

فلو قال مطفئة لوافق الوجه الصرفي لأنها رباعية مهموزة، ووزنها وزنها إلا أن تكون من تحريف الرواة والنقلة. وكلمة أخرى هي قوله (المزادة) ووجهها (المزيدة) ومع ذلك فإن لاستخدامه سنداً في كلام العرب في الشاهد المشهور:

مَنْ يَبِعْ فرساً فليس جوادنا بِمُبَاع

وإن كانت قليلة.

وعلى الجملة فإن تراكيب الشريف قوية متينة ولغته صحيحة فصيحة وألفاظه منتقاة وتصريفه سليم وتعابيره بليغة. وقد طوّع معرفته بعلوم اللغة وسخرها للتعبير عن علوم القرآن بما يدل على تمكنه من العلمين معاً علم العربية وعلم القرآن.

الإشارات والمصطلح في منظومات الشريف

يحتاج الناظر في منظومات الشريف أول ما يحتاج إلى حفظ كتاب الله العزيز أو أن لا يفارقه المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، كما يحتاج إلى معرفة بالقراءات والقراء والطرق والروايات والمصنفين والتصانيف ومصطلحات علوم القرآن بأنواعها لأن النظم أحياناً يكون بالإشارة التي لا يفهمها إلا من ألم بهذه المعارف السابقة. وكان هؤلاء المشايخ يتدرجون فلا يتعاطون علم القرآن إلا بعد الحفظ، ولا يستطيع مجاراة هؤلاء الناظمين في رموزهم وإشاراتهم واختصاراتهم إلا حافظ للقرآن عارف بمواقع ألفاظه ومواضع الخلاف فيها. فمن الإشارات التي تحتاج إلى معرفة بالمصنفين قوله:

و(من وراء حجاب) مع (آناء) قل (أفإن) والغازي في (لقاء)

سيكون هذا أشبه باللغز إذا لم تكن تعرف أنه يتحدث عن (ياءات الزيادة) وأن الغازي بن قيس وهو صاحب (كتاب هجاء السنة) هو الذي نص على زيادة الياء في رسم كلمة (لقاء) في قول الله تعالى ﴿ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٤ ﴿ وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴿١٤٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٧ والستة هي المصاحف التي بعث بها الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الآفاق بعد أن كتب المصحف الإمام.

ومن الإشارات أيضاً قوله في منظومة المعارف في حديثه عن النون التي تكتب ألفاً في القرآن فقال:

(إذاً) مع (لنسفعا) مستبين وصف لها حرفاً جاء قبل (الصاغرين)

فالحرف الذي جاء قبل (الصاغرين) هو (ليكونن) في قول الله تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٣٢/ يوسف].

وانظر قوله في حديثه عن التاء المطلوقة:

وهي (اللات) مع (مرضات) و(ذات) من قبل (بهجة) وقل (وَلاَت)

أما (اللات) فواضحة، وأما (مرضاة) فالمعجم المفهرس يفيدك فيها وفيما قبلها ولكن (ذات) إذا لم تكن حافظاً فلن تفلح في فك مرموزه إليها في قوله (وذات قبل بهجة) وهو يريد كلمة (ذات) الواقعة قبل كلمة (بهجة) من قوله تعالى: ﴿ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [٦٠/ النمل].

ومن إشاراته اللطيفة قوله في حكم الإدغام عند التقاء الباء بالميم:

كذاك حكم الباء عند الميم وحكمه مبين منظومي

وهو (يعذب) آخراً في البقرة وك(اركب) السفينة المهاجرة

يريد (يعذب) الأخيرة في البقرة وهي قوله تعالى ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٤ ﴿٤٠﴾ حيث التقت الميم بالباء وهو موضع إدغام. أما قوله وك(اركب السفينة المهاجرة) فهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴿٤٢﴾ ﴾ من آية سورة هود [٤٢] في قصة سفينة نوح المهاجرة من الطوفان. والآيتان من مواضع الإدغام.

ومن إشاراته التي ساير فيها الأئمة السابقين كالشاطبي والخراز والدنفاسي وود مدلول قوله في تحديد مواضع الأحكام (فوق سورة كذا وتحت سورة كذا) وهو كثير جداً عند الشريف كقوله:

والثـــاني تحـــت الشـــعرا والثالـــث ورد تحـــت غـــافر يـــا وارث

ورابـــع وجـــد فـــوق الـــروم وهـــو الأخـــير يـــا أخـــا العلـــوم

فقوله تحت الشعراء إشارة إلى أن هذا الحرف يوجد في سورة (النمل) وهي تحت الشعراء أي بعدها للمتجه من البقرة نازلاً إلى قصار السور. والتي تحت غافر هي سورة (فصلت) أما التي فوق الروم فهي سورة (العنكبوت). وهذا الأسلوب مستفيض عند الجلة في منظوماتهم؛ يقول الإمام الشاطبي[1]:

وفي الشـمس والأعـلى وفي الليـل والضـحى وفي اقـــرأ وفي النازعـــات تَمـــيَّلا

ومـــن تحتهـــا ثـــم القيامـــة ثـــم في الـــ معـــارج يـــا منهـــال أفلحـــت مـــنهلا

ويدخل في الإشارات والمصطلح تسميته السور بأسمائها القديمة التي سار عليها الناظمون إلى زمان الشريف، ثم جاءت المدارس والتعليم النظامي الحديث فما عاد أحد يعرف هذه الأسماء القديمة إلا من كان صاحب اطلاع في المصنفات القديمة. ومن هذه الأسماء (البكر والعوان) وهما من أسماء سورة البقرة، ربما لوقوع كل كلمة منهما مرة واحدة في السورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۝٦٨﴾[٦٨/ البقرة]. والكلمتان من بعد صفتان للبقرة، فجعلتا علماً على السورة. ويكثر الشريف من تسمية سورة البقرة بالبكر كما في قوله:

كــــ(أنبتـــت ســـبع) كـــما في البكـــر و(حصـــرت صـــدورهم) في الـــذكر

وتنوع أسماء السورة يفيد الناظم ويمنحه مرونـة في الـنظم، فالاسـم الـذي لا يخـف في موضع قد يخف في غيره فيختار الناظم ما يناسبه دون تضييق. ومن أسماء السور التـي وردت

---

(1) انظر سراج القارئ: ١٣٤. وحرز الأماني: ٢٥.

عندهم من غير المألوف في المصاحف المتأخرة سورة (العقود) وهي المائدة وسورة (الظلة) وهي الشعراء وسورة (المزن) وهي الواقعة. جاء ذلك في قول الشريف:

وذاك في آئـــنكم في أربـــعْ	فـأول تحـت (العقـود) يسـمعْ
آ إن في (الظلـــة) قـــل آإنـــا	في ســورة النمــل كفيــت الظنـا
(آإفكـــا) آإن بحــرف (المــزن)	فهـــذه عشــرة في الـــوزن

وقد شرحت هذه الأبيات تحت أرقامها في مواضعها ويمكن الرجوع إليها وهي مثال فقط لكثير من أسماء السور التي جاءت على شاكلة هذه الإشارة كـ(الفلاح) و(اقتربت) و(اليقطين)، وهي (المؤمنون) و(القمر) و(الصافات) على التوالي[1].

وذكر في منظومة مقدمة الأحكام طائفة من الأبيات وردت فيها أسماء كثيرة من هذا الباب كقوله:

ثلاثــة في ســورة (العــوان)	الــداعِ واتقــون ودعــانِ
(حتــى تؤتــوني) أتــت بــالتحقيق	معروفــة في ســورة (الصــديق)
(أشركتمــوني ودعــائ) يــا عــان	في ســـورة (الخليـــل) واردان
وســته في (الــرقيم) قــل مقصــودة	(المهتـــدي وتهتـــدي) معـــدوده

فذكر (العوان) وهي سورة البقرة و(الصديق) وهي سورة يوسف و(الخليل) لسورة إبراهيم، و(الرقيم) ويريد بها سورة الكهف لقوله تعالى﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾[الكهف: ٩] على عادة السلف في ذلك.

---

(١) انظر: النشر ٢/ ٣٨٠، مورد الظمآن: ٢٣٧.

وتجد في منظومات الشريف كل مصطلح استعمله المشتغلون بعلوم القرآن، ابتداء بمصطلحات القراءات والنحو والتجويد كما في قوله في منظومة المعارف:

كقبل وبعد بلا ارتياب مبنية كانت أو مع الإعراب

وقفهما بالرَّوْمِ والإشمام وبالسكونين والنقل بلا إيهام

فقوله (وقفهما) يعني الوقف وهو من مصطلحات القراءات وقد بنى عليه منظومة المعارف في مشكلات الرسم والمواقف وتناوله في غير موضع من سائر منظوماته. والبناء والإعراب معروفان في مصطلحات النحو. وتبنى (قبل وبعد) إذا جاءتا مبهمتين مقطوعتين عن الإضافة وتعربان فيما عدا ذلك. والروم والإشمام والنقل من مصطلحات القراءة والتجويد فالروم عند القراء هو النطق ببعض الحركة أو هو تضعيف الحركة حتى يذهب معظمها. والإشمام هو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت والنقل هو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وقفاً. أما السكون فهو الأصل في الوقف على الكلم المتحركة وصلاً.

وقد جمع الشريف رحمه الله هذه الوجوه في قيد واحد في منظومة (مقدمة الأحكام) في حديثه عن علامات الرسم والنقط وأشكاله المنفصلة والمتصلة بالألفاظ في قوله:

فهاك ما جاء من أشكال متصلة في وضعها لكل تال

وهي اثنا عشر في العد لا محاله الحركة والتنوين والإمالة

والشد والسكون مع الإشمام والمد والنقط بلا إيهام

ثم أحرف الاختلاس معروفة في الخط بلا التباس

ودارة وقلب مع الابتداء منفصلة للكل بلا امتراء

محصورة في قيدها بلا ملامه وهي (احتس انشد اقامه)

ثم قال عن المتصلة:

وأربعة متصلة باتفاق — الهمزة والصلة مع الإلحاق

ورابعها جرة المنقول — متصلة في سائر النقول

والقيد المذكور هنا وهو (احتس انشد اقامه) جمع فيه أشكال النقط المنفصلة الاثني عشر كل حرف يقابل واحداً منها فالألفات الأربعة للإمالة والاختلاس والابتداء والإشمام والدال لدارة المزيد والقاف للقلب والشين للشدّ والسين للسكون والتاء للتنوين والنون للنقط والميم للمد. ثم زاد عليها في البيتين التاليين العلامات المتصلة وهي الهمزة والصلة والإلحاق وجرة النقل. وهذه هي علامات الوقف والابتدا وأشكاله المعروفة المستعملة عند علماء القراءات والرسم والضبط.

ونقل الشريف كثيراً من القيود التي استخدمها السابقون وأنشأ هو قيوداً أخرى يسهل بها ضبط الأحكام كما في أبياته السابقة في حصره وتقييده لمصطلحات الوقف والابتدا والشكل والضبط وله قيود أخرى حصر فيها مثلاً سقوط الألف بعد الواو في رسم بعض ألفاظ القرآن كما ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١﴾ [الحج ٥١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ [الفرقان: ٢١] وهي سبعة ألفاظ ذكرها في قوله:

وأسقط الألف بعد الواو — في أحرف معلومة يا راوي

وقيدها يأتيك بالتمام — (فَبِتَسع جد) خذ نظامي

وهي خمسة أبيات فصلت شرحها وفككت قيدها في حديثي عن (منظومة الأحكام) فاطلبه في موضعه.

ومن قيوده قوله في منظومة الصيانة عن الأحرف الشمسية:

وجميعهـا أوائـل مـن كلـم بيتـين فـافهمنهما في الـنظم
تسـأل ثابتـاً دلـيلاً ذاع روى وزان سـائراً وشـاع
وصـح ضـعفي طائعـاً ضـعيفا لغـو نمـى إلي في سـنينا

أما الأحرف القمرية فنقل فيها ما قيده المصنفون السابقون وثبت عنهم فقال:

وهـي خمسـة مـن غـير مـين ومثلهـا واثنـان مـرتين
جميعهـا في (أبـغ حجَـك) أتـى (وخـف عقيمـه) كـما قـد ثبتـا

واستخدم الشريف عليه رحمة الله علامات النقط والشكل وذكر الإمالة بأنواعها وأسمائها من بطح وإضجاع وبين بين وتقليل وذكر ضدها من فتح وتجريد، في نحو قوله:

ولا يسـوغ جمعهـم للفـتح مـع الإمالـة، وأهـل الفـتح
اقتصـروا عليـه لا محالـة أي وضـعوا وتركـوا الإمالـة

وتحدث عما يمدُّ ويقصر من الحروف المقطعة أوائل السور وهي المجموعة في قولهم (طرق سمعك النصيحة) والممدود منها مجموع في (نقص عسلكم) وهو المد الحرفي المخصوص بأول السور ذكره الشريف في الصيانة في قوله:

وهـو مخصـوص بـأول السـور وضبطه في (نقـص عسـلكم) انحصر

وغير الممدود مجموع في قولهم (حي رهط) وهو الذي ورد في قول الشريف في منظومة الصيانة:

في يـونس ومـا يليهـا الجمـع في (حَـيّ رهـط) قصـرها والمنـع

وتكلم عن الإدغام والمدّ والوقف والابتدا وذكر الرسم المخصوص لبعض الحروف كالعقص والوقص في الياءات:

والياء في الحرف على قسمين ... بالوقص أو بالعقص دون مَيْنِ

وتكلم عن صفات الحروف وألقابها: فذكر الاستعلاء والإطباق والقلقلة وذكر المثلين والمتقاربين والمتجانسين وعرف كل ذلك بها لا مزيد عليه نحو قوله:

فاتحد المثلان في المقاطع ... وفي الصفات خذ بنص قاطع

والمتقاربان ما تقاربا ... يهلك من للظالمين قاربا

في مخرج، والمتجانسان ... اشتركا فيه ويجريان

واختلفا في صفة يا صاح ... وإنما ذكرت للإيضاح

وكان يبين ألوان الرسم المعروفة عندهم بأقلام التجويد وهي أربعة الأسود (الأكحل) والأحمر والأخضر والأصفر. كقوله:

(والابتداء نقطة بالأخضر) ... فليس أصفر ولا بأحمر

وقوله عن نقطة الإمالة:

وهي نقطة ولكن حمرا ... كأنها قطيعة من جمره

قال تلميذه الفكي صالح في رسالة لابن الناظم الشريف يوسف بين له فيها حيثيات كتابة مصحف فحل كلفهم كتابته سنة ١٣٤٤هـ: فاندفع (الفكي آدم) يكتب الآي (طبعاً بالأسود) ونحن اقتفيناه بوضع الأحكام فصار بعهدة الفقيه عبدالله أم مرحي القلم الأصفر والأخضر، فالأصفر للهمز والأخضر للابتداء... وبعهدة العبد الحقير القلم الأحمر لوضع

الآي والخمس والعشر والإلحاق والتسهيل والإمالة والبدل والمد والصلة والمواقف من تام (وكافٍ وحسن...) قال الشيخ يوسف إبراهيم النور (كانت المصاحف تكتب على هذه الأقلام: السواد للقرآن والصفرة للهمزة المحققة والخضراء لهمزة الابتداء وباقي الأشياء كالهمزة المسهلة والمبدلة والإمالة والاختلاس.. يكتب بالأحمر فالمصحف المخطوط إذا لم يكن به أربعة أقلام.. فإنه مصحف ناقص[1].

ويتحدث الشريف في منظوماته عن الكُتّاب والرُّسام وأهل النقط والخط والنَّقَلَة والرواة يسميهم ويسمي مصنفاتهم ويورد آراءهم وأقوالهم وينقل اتفاقهم واختلافهم ويذكر مدارس القراءات والرسم والضبط:

لكونه ينشأ من مجانس لـه، كما اشتهر في المدارس

وهو يعني مدارس علوم القرآن كالمغاربة والمشارقة والمصريين والحجازيين والعراقيين ولا يقل عنهم السودانيون والشريف على رأسهم ومنهم ود مدلول وعبدالرحمن الأغبش وعبدالعاطي والدنفاسي وهم أئمة ولكننا لم نخرج نتاجهم للناس.

وهكذا يطول الأمر، وبمراجعة منظومة الصيانة وأخواتها تقف على ما ذكرنا وفوق ما ذكرنا بشأن المصطلح والإشارات التي وردت في منظومات هذا العالم الجليل.

---

(1) مع المصاحف: ص ١١٥.

أسلوب النظم ومنهجه ودوافعه

تأكدنا نظراً وخبراً أن للشريف محمد الأمين عشرة مصنفات مخطوطة في علوم القرآن ووقفنا يقيناً على خمسة منها وكانت منظومات وهي التي مرّ بك استعراضها في المبحث الثاني وقد وجدنا أن أربعة منها فقط بلغت أبياتها ألفاً وثمانمائة وثلاثة وثمانين بيتاً. وإذا قورن هذا الجهد بما وصلنا إليه في زماننا هذا من تفجر ينابيع المعرفة ووفرة المعلومات والمصادر ومن تطور أدوات الكتابة والتأليف وتقنياتها بان لنا أن عمل الشريف هذا كان إعجازاً علمياً في زمانه. فقد سمعنا لسابقيه ومعاصريه بالمنظومة والمنظومتين والشرح والشرحين أما أن يؤلف خمس منظومات كما وقفنا عليه يقيناً وأن يكون له خمسة مصنفات أخرى تأكدنا من تآليفه لها ولكننا لا نستطيع أن نقطع إن كانت نظماً كلها أو كان بعضها نثراً حل به بعض منظوماته وشرحها فإن ذلك مما يدل على مضاء همة الشريف وصبره على البحث والتأليف في خدمة كتاب الله معلماً ومصنفاً.

ولا جدال في أن الشريف في نظمه كان شديد التأثر بسابقيه فموضوع النظم واحد وهو علوم القرآن والمشارب متحدة أيضاً لأن الشريف كان شديد الاعتداد بالسلف الصالح من العلماء اقتفى آثارهم ونهل من مناهلهم وكان شديد الحرص على توخي الأمانة العلمية في نقله عنهم وقد صرح في غير موضع بأخذه من العلماء السابقين كما في قوله:

وربما أدخلت نظم الغيرْ فيه لموجب كفيت الضيرْ

وقد ثبت لنا فعلاً أنه ترسم خُطى هؤلاء العلماء واقتبس من أشعارهم بل نقل بعض أبياتهم بنصها كما في أبيات الخراز وودمدلول التي أثبتها في مواضعها. وتجد شبهاً شديداً بين منظوماته ومنظومات السابقين كالدنفاسي صاحب المتن الشهير في رسم القرآن وضبطه. وقد

ذكره صاحب الطبقات وأشار إليه السودانيون في مصنفاتهم مثل ود ضيف الله ولشهرته ذكره الرواة في أشعارهم: قال الشيخ محمد حياتي يتمنى أن يكون مثله ومثل الشيخ عبدالعاطي[1]:

أيـــا مـــن مالـــك الأنفـــاس كعبـــدالعاطي والـــدنفاس
أصـــير وأكـــون كســـاكن فـــاس وكالشـــاع بي أمانـــة الفـــاس

ومر به الدكتور علي العوض وذكر أن صاحب الطبقات لا يعرف له اسماً سوى الدنفاسي ولم يعثر هو لاسم له، وبالبحث وجدت أن الرجل مشهور وصلت سيرته إلى المغاربة ورووا متنه المطول المشهور الذي يبلغ نحو أربعمائة بيت[2] فجاء في بعض مصنفاتهم أن اسمه محمد بن إبراهيم الدنفاسي.

كما تشبه منظوماته منظومة الشيخ حمد ود مدلول المعروفة بسلم المريد في علم التجويد وبنظم الشيخ عبدالعاطي راجل العطشان في منظومة (الفوائد) المنسوبة له. هذا عن السودانيين. كذلك ترسم الشريف خُطَى غير السوادنيين فكان شديد التأثر بالخراز شديد الإعجاب به حذا حذوه في النظم وصاغ منظوماته على غرار صياغته وكان مستمر الثناء عليه كثير الاقتباس والتضمين لنظمه كما مرّ بنا في مواضعه. هذا بالإضافة إلى تأثره بالمنظومات القُدْمَى كالشاطبية وعقيلة أتراب القصائد ونحوهما مما أشرنا إليه في المباحث السابقة.

هذا وقد عاش الشريف عليه رحمة الله في نظمه ومصنفاته بكلياته وجعل ذلك عبادة خالصة لوجه الله كما قال في منظومة الصيانة (البيت ١٨٨):

وهـــا أنـــا صرفـــت فيـــه همتـــي مـــؤملاً بـــه دخـــول جنـــة

---

(١) ديوان الشيخ حياتي: ٤١٢.

(٢) التسهيل: ص ١٠١.

ويظهر لك ذلك جلياً في الدعاء وحسن التوكل في كثير من أبيات منظوماته كقوله:

(من ربنا) إياه نستعين لكل شيء وهو المعين

ويتجلى ذلك في نهايات كثير من أبيات أراجيزه بما سميناه حسن الخروج وفن الدعاء في منظوماته وسيأتيك مفصلاً ومنه:

(من زينة القوم) و(من سلالة) نسأله الأمن من الضلاله

وقوله:

يصورونها بياءٍ نَحْوَ (جيتم وشيتم) فاسألوه المأوى

إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى. وعندي أن خلوته التي انقطع فيها أربع سنوات عن الناس بنوارة في شرق الجزيرة كما بينته في سيرته إنما كانت تفرغاً لهذه الرسالة العظيمة. خلا فيها لنفسه ومصادره فألف هذه المنظومات أو بعضها وكل همه تقريب الفهم وتيسير الحفظ لطلابه كما قال في نهاية الصيانة (٤٨٤).

قد انتهى المملي للعلوم مقرباً للقصد والفهوم

هذا وربما كان اتجاه الشريف إلى تأليف هذه المنظومات لأسباب: منها اعتقاد المجتهدين من طلاب العلم أن كل من يحاول علماً جليلاً لابد له أن يحفظ فيه منظومات ومتوناً قال الشيخ يوسف إبراهيم النور: "القراء نصُّوا على أنه يجب على كل قارئ بقراءة أن يحفظ كتاباً مؤلفاً في تفاصيلها وتفريعاتها"[1].

---

[1] مجلة الضياء: ٢٣ (نقلاً عن الرسم والقراءات ص ٢١٠).

والثاني سهولة حفظ الشعر وسرعة استعادته لاستخراج القاعدة والشاهد. والثالث أن كتب المتقدمين كانت لا تخلو من إجمال وإشكال فأراد الشريف تفصيل ذلك المجمل وإيضاح ذلك المشكل بما يجعل الأمر يسيراً على الطلاب. كما قال في منظومة الصيانة (البيت ١٨٧-١٨٩) في باب الهمز:

١٨٧- وينبغي اعتناء هذا الباب   لكونه أشكل للطلاب

إلى قوله:

١٨٩- واعلم بأن الهمز ذو أحوال   وها أنا بينته في الحال

والرابع أن معظم مصنفات القراءة كانت تدور حول قراءة نافع بروايتيها عن ورش وقالون وكان أهل السودان إلى زمان الشريف يقرأون بمقرأ نافع. وكان الشريف قد اختار مقرأ الإمام أبي عمرو برواية الدوري، ولما لم تكن بين يدي الطلاب مراجع كافية تعينهم على حمل هذه القراءة واستيعابها كان لابد لهم من عالم متمكن يتصدى لتأليف منظومات تفك الرموز وتبين الخفي وتشرح الغامض وتفصل المجمل وتبسط الأمثلة فكان الشريف ذلك العالم وهو يشير إلى حاجة طلاب القرآن إلى ذلك في كل منظومة من منظوماته لذلك قال في منظومة (الصيانة):

يصونهم من الضلال والخطا   في حكم تنوين ونون في غطا

وقال في منظوماته الثلاث الأخريات:

وبعد فاعلم إن في الكتاب   مواضعاً تَخْفَى على الطلاب

ومعلوم أن الأراجيز والمنظومات العلمية يجد الناظم مشقة في نظمها وتحتاج إلى غزارة معجم وملكة شعرية صقيلة وتمام معرفة وشمول إحاطة بمادة المنظومة. هذا فيما يخص

الناظم. أما قارئ هذه المنظومات فهو يحتاج حاجة شديدة إلى بصر بقراءة الشعر من مطل وقصر ونقل واختلاس وتخفيف همز وتحقيقه وإسكان وتحريك. وكثيراً ما تقع فيها المزاحفة التي تجعل القارئ العادي يحس بثقل في النظم وقد يتهمه بالخروج على قواعد الشعر وأوزانه. والأراجيز حقل واسع للمزاحفة التي هي عند العروضيين نقص أو زيادة تلحق أجزاء بيت الشعر لا يكاد يسلم منها شعر كما قال ابن رشيق والزحاف في الشعر كالرخصة في الفقه لا يقدم عليها إلا عالم[1].

وقد يميل الناظمون عندنا إلى إسكان كثير مما ليس من حقه الإسكان ليستقيم الشعر ولأن الإسكان غالب على ألسنة العامة عندنا. فإذا نظرت في قوافي الشريف أوحت لك النظرة الأولى بأنّ بها لحناً أو مزاحفة فإذا أسكنت استقام الأمر كما هو معروف وجائز في القوافي المقيدة وفي الرجز على وجه الخصوص. نحو قول الشريف:

وربما أدخلت نظم الغيرْ فيه لموجب كفيت الضيرْ

فالعروض مجرورة والضرب منصوب فإذا أسكنت استقام الأمر.

بل ربما مال إلى الإسكان في حشو أبياته التي تبدو لك المزاحفة واضحة فيها فإذا أسكنت استقام النظم كما في قوله في منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد):

وعلة الزيادة يا ذا القصد للفرق بينها وبين الأيدي

فالقارئ هنا محتاج إلى اختلاس الكسرة في آخر كلمة (الزيادة) أو إسكانها إسكاناً محضاً ليستقيم البيت. وهذا كثير عنده وعند غيره من الناظمين. قال ابن عاشر:

المدني والملكِ والإمامِ والكوفِ والبصرِ معاً والشامِ

---

[1] العمدة: ١/ ١٣٩.

اجتزأ بالكسرة وحذف ياء النسبة المشددة في الأربعة المواضع"[1].

وقد تكثر في النظم الضرائر وهي مشروعة فيه، لذلك قالوا: يباح للناظم والشاعر ما لا يباح للكاتب والناثر.

ومن الضرائر التي وقعت في نظم الشريف تحريك الساكن كنحو قوله في منظومة الصيانة:

والهمز إن أَتَى بِضَمٍّ أو فَتِحْ   يكون فوقها وكل يَتَّضِحْ

احتاج فحرك التاء من (فتح) من بعد سكونها بالكسر لتتساوى مع (يتضح) وهذا معروف كثير في كلام العرب ومنه قول الراجز:

علمها أخوالها بنو عِجِلْ   شرب النبيذ واصطفاقاً بالرجل

ولنا مع هذه الظاهرة الصوتية وقفة لاحقة.

وهناك تجاوزات وقعت في النظم أجزم أنها لا تقع من الناظم لتمكنه والغالب أنها من عمل النساخ. وعندي أيضاً أن للنساخ يداً في كثير مما نلحظه من الخلل والمزاحفة والخروج عن الوزن في منظومات الشريف وغيرها. ومعظم الهنات الخفيفة التي نلحظها في منظومات الشريف وغيره هي صادرة منهم لأنهم ليسوا أهل ضلاعة مثله ولا أصحاب صناعة في النظم وقد يعتمدون على الذاكرة ويطول الوقت فيحكون ما حفظوا بالمعنى. ولما لم يكونوا شعراء ولا أهل اطلاع على كثير من الشعر فإنهم إذا استوى عندهم المعنى لم يلقوا بالاً للعروض والوزن. وبلمسات طفيفة لا تؤثر في المعنى يمكننا إزالة كثير من الخلل في الوزن أو حتى في

(1) تنبيه الخلان: ٣٤١.

اللحن ولنأخذ أربعة أبيات من منظومة الشريف (الفوائد في علل الهمز والزوائد) ولتكن قوله:

فهاك ما أقول من فوائد في علل الهمز والزوائد

فبعضها ملازم للداره وبعضها خالياً في الحكم من أماره

ثم حروف الدارة في المعروف ساقط في الوصل والوقوف

فهذا الذي عليه دارة المزيد في سائر النقول والتجويد

تلاحظ شيئاً من القلق والاضطراب في بعض ألفاظ هذه الأبيات وأظنه من صنيع النساخ لكن بتغييرات طفيفة من حذف وإضافة لا تمس المضمون تستقيم الأبيات على ما أظن أنه هو حالها قبل تصرف النساخ والرواة. والآن اقرأها معي بعد التعديل الذي سأحصر مواضعه:

فهاك ما أقول من فوائد في علل الهمز [وفي] الزوائد

فبعضها ملازم للدارة وبعضها (في الحكم خال) من أماره

ثم حروف الدارة في المعروف (ساقطة) في الوصل والوقوف

(هذا) الذي عليه دارة المزيد في سائر النقول والتجويد

لاحظ الزيادة المحصورة في البيت الأول، والتقديم والتأخير المحصور في البيت الثاني وزيادة التاء في البيت الثالث كما يقتضيه السياق وحذف الفاء من أول البيت الرابع وما أظنها إلا كانت هكذا في نسخة الناظم عليه رحمة الله. ولي على ذلك شواهد وأدلة ستأتي. كذلك لا أرى غضاضة في إصلاح بعض هذه الأمور وإن لم أمل إلى شيء من هذا لأسباب: أولاً لأن الرواة قديماً كانت تصلح أشعار الشعراء، ولأن الشريف نفسه طلب من قارئ منظوماته أن يصلح ما يجده فيها من خلل وذلك يشمل الشكل والمضمون ولكن على شرط أن يكون

المصلح من أهل المعرفة ومن المتقيدين بالنصوص: وقد وقفت في نظمه على أشياء نجله عنها ونستبعد وقوعها منه لتمكنه ولوقوفنا على نظائر لها جاءت كما ينبغي نحو قوله في منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد):

فالالف المنفصل المزادة مخصوصة بدارة الزيادة

فهو إذا لم يقل (المزادة) -وقد تقدم الحديث عنها صرفياً- لصح قوله (الألف المنفصل) لأن حروف المعجم تذكر وتؤنث ولكن قوله (المزادة ومخصوصة) توجبان تأنيث لفظة (المنفصل) فالصحيح (المنفصلة) وزيادة هذه التاء غير مخلة بعروض البيت.

ومما لا يفوت على الشريف مثلاً وهو من صنيع الرواة والنساخ قطعاً قوله مثلاً في منظومة (مقدمة الأحكام):

مفتقرة لعارف فهيم ذا لب وعقل ثابت سليم

والوجه في (ذا لب) أن يكون (ذي لب) لأنها من صفة العارف الفهيم وموضعه جر. فليس ههنا ضرورة ولا أرى الشريف يفوته هذا القدر من المعرفة النحوية. إلا أن يتأول متأول أنه أراد النصب على الاختصاص وهو وجه وإن كان بعيداً ههنا.

وقد يغير النساخ ألفاظاً بعينها وقد يغيرون أبياتاً برمتها ومما فعله النساخ في بعض الأبيات زيادة لفظ في قول الشريف:

ابن الهندي جاء بالمختار متوسلاً به إلى الغفار

فهو كذلك في منظوماته إلا في منظومة المعارف نسخة الشيخ المكاوي الذي أضاف:

ابن الهندي جاء [متوجها] بالمختار متوسلاً به إلى الغفار

فزاد الاسم (متوجهاً) وهو مخل بعروض البيت، فدل ذلك على تصرف الناسخين.

وفي منظومة المعارف للشريف تغير بيت في نسختين مع بقاء الحكم. قال في نسخة الشيخ محمد التهامي:

وقفهـــــم بـــــألف أتـــــى معـــــروف وكـــذا هشـــام في الوصـــل والوقـــوف

وفي نسخة الشيخ المكاوي:

وقفهـــــــم بـــــــألف التبـــــــديل ومـــــثلهم هشـــــام في التنزيـــــــل

وبيت آخر تغيرت فيه ألفاظ في نسخة التهامي يقول:

فهـــــاك لام الأمـــــر يـــــا مريـــــدي معروفـــــة في الخـــــط بـــــلا ترديـــــد

والذي في نسخة المكاوي:

فهـــــاك لام الأمـــــر يـــــا حـــــاوي معروفـــــة في الخـــــط لكـــــل راوي

ولنأخذ الآن مثالاً على اختلاف نسخ المخطوطات، فهي وإن كانت فروقاً طفيفة إلا أنها دالة على ما يقع من النساخ والرواة بكثرة التداول واختلال المحفوظ أحياناً ففـي الصفحتين الأوليين من منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) نسخة الشيخ المكاوي ونسخة الفكـي الحلاوي زيدت بهامش نسخة الحلاوي ستة أبيات في الزوائد في هجاء بعض كلمات المصحف نحو (الرسولا والسلسبيلا والظنونا) والأبيات شبيهة بنظم الشريف محمد الأمين ولكني لم أجدها في منظوماته الأربع التي وقفت عليها وإن وجدت مادتها في بعض هذه المنظومات. وربما كانت من بعض منظوماته المفقودة. وتخلو نسخة المكاوي من هذه الأبيات.

وفي نسخة الحلاوي جاء بعد البسملة (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم) أما في نسخة المكاوي فقال بعد البسملة (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) واختلاف صيغة الصلاة واضح في النسختين.

وفي أول أبيات المنظومة كتب الحلاوي في الشطر الثاني: (الذي هدانا لطرق الرشد والصواب) بينما كتب المكاوي (الذي هدانا لطريق الصواب). وفي البيت السابع كتب الحلاوي (خفية في وضعها) وكتب المكاوي (خفية في موضعها). وكتب الحلاوي في البيت الثامن (في علل الهمز والزوائد) بينما كتب المكاوي (في علل الهمزة). ورسم المكاوي (الضبت) بالتاء بينما رسمها الحلاوي (الضبط) وهو الصواب. وكلاهما كتب في البيت الحادي عشر (يبرزها في حالة الميدان) بينما الوارد في منظومة المعارف التي تكرر فيها هذا المعنى قوله (في حارة الميدان) و(حارة) أقرب إلى المراد مما كتباه.

وهذا النموذج للمعتاد من صنيع النساخ وهو يؤيد ما ذهبت إليه من أن النساخ كان لهم عمل –وإن لم يكن مقصوداً– في صور المخطوطات التي وصلت إلينا. وهو من وراء بعض الخلل الذي يلحظه القارئ في منظومات السابقين.

فن النظم عند الشريف:

مع أننا لم نسمع للشريف محمد الأمين بيت شعر واحد منسوب إليه في أي غرض غير القرآن على كثرة حديث تلاميذه عنه وثنائهم عليه إلا أن الشريف في منظوماته أبان عن شاعر نابغ متمكن وناظم حصيف على دراية تامة بأوزان الرجز وعلله وزحافاته، صاحب لغة علمية عالية ومعرفة بالنظم ضليعة ونفس في الشعر طويل حتى بلغت أطول منظوماته التي وقفنا عليها ثمانية وثمانين وخمسمائة بيت وهي منظومة (مقدمة الأحكام) وبلغت منظومة (المعارف) خمسمائة وأربعة وأربعين بيتاً على اختلاف في نسخها بينما بلغت منظومة (الصيانة) نحو أربعمائة وتسعة وثمانين بيتاً وكان عدد أبيات منظومة (الفوائد في علل الهمز والزوائد) نحو خمسة وستين ومائتي بيت، ليصل عدد أبيات منظوماته التي وقفنا عليها فقط نحو ألفي

بيت (١٨٨٣) بيت. وهذا دليل على معرفة باللغة بالنظم ولكنه كما انقطع في حياته كلها للقرآن وعلومه وتعليمه قصر معرفته بالشعر على علوم القرآن وحدها. ولذلك ما كررت أن هذا الرجل كان صاحب مسيرة قاصدة لله وحده لم يشغل نفسه بغيرها أبداً رحمه الله.

وتتجلى معايشة الشريف لهذا النظم وغوصه فيه بكل جوارحه في أسلوبه في النظم وبراعته في تطويعه ليستوعب هذه العلوم التي يكثر الخلاف والاختلاف فيها حسب الأثر وتعدد الروايات والوجوه فيها كما يتجلى ذلك في فن الدعاء الذي ما وجد سانحة في بقية بيت إلا جعل الدعاء تتمة لها كما تظهر براعته في حسن الخروج من قوافيه التي جعلها محلاً للتعبد والدعاء وحسن التوجيه والملاطفة وحض الطلاب وحثهم على الحفظ بها كشف عن متعلم أصيل وعالم نبيل ومعلم جليل ويحسن أن أبرز لبراعة النظم وفن الدعاء وحسن الخروج مساحات خاصة ليتبين الأمر بالشاهد.

فن الدعاء:

معايشة الشريف للنظم بكلياته هي امتداد لما عرف عنه من تعبد لله لا ينقطع فقد شهد تلاميذه وزوجاته وأبناؤه بأنه الإمام الراتب للصلوات الخمس في مسيده لم يتخلف عنها وبقيامه الليل وأنه لا يدع اثنتي عشرة ركعة وبأن لسانه رطب بذكر الله دائماً وأن يده لا تخلو من مسبحة مذكرة أو غرفة (جزء) من القرآن. هذا إذا لم يكن منهمكاً في تدريس أو مشتغلاً بإطعام تلاميذه. هذا السمو الروحي والاتصال المستمر بالخالق يجعله ينتهز كل سانحة للدعاء، والدعاء هو مخ العبادة وهو مجاديح السماء التي لا تخيب ويقيننا أنه صاحب دعوة مجابة بدليل إكرام الله له بالآلاف المؤلفة من البشر وكان مع ذلك يطعمهم من عمل يده وأيدي تلاميذه في أرضه المخصصة لمعيشتهم لا يقبل هبة ولا عوناً إلا من الله ومع كثرتهم لم

يسمع لهم بضائقة تموينية. وأكثر مايتم الشريف حكماً في بيت فإذا بقيت فيه ثغرة سدها بدعاء نافع كما في قوله في منظومة الصيانة:

مـــن زينـــة القـــوم ومـــن ســـلالة نســـأله الأمـــن مـــن الضـــلاله

وقوله:

(مـــن ربنـــا) إيـــاه نســـتعين في كـــل شيء وهـــو المعـــين

وقوله:

إذا أتـــت مـــن بعـــد حـــرف المـــدِّ نســـأله الوقـــوف عنـــد الحـــدِّ

ولهذا ما قلت إن نظمه استمرار لعبادته. ويدخل تلاميذه في هذه الفضيلة فيشحذ هممهم ويوجد حميمية ودِفئاً بينه وبينهم:

يصـــــورونها بيـــــاء نحـــــو (جيـــتم) و(شـــيتم) فاســـألوه المـــأوى

ويدعو للقارئ منهم على انفراد فإذا سمع دعاء شيخه له زاده عزيمة وأعانه على مـا هـو فيه.

كـــذاك (قومـــاً نكثـــوا) (غفـــور رحـــيم) لا فَارَقَـــكَ السُّـــرور

وهو كثيراً ما يكرر هذه الدعوة خاصة، ودوام السرور وملازمته للإنسان ملاطفة محببـة ودعوة طيبة.

ويحذرهم من الظلم أثناء تعليمه لهم وجوه الضبط والقراءات كنحو قوله:

والمتقاربـــان مـــا تقاربـــا يهلـــك مـــن للظـــالمين قَارَبَـــا

وهو فقيه بارع في الدعاء، يظهر ذلك في قوله:

وشرحـــه يغفـــر لكـــم بالفضـــل (قـــل رب) لا تعـــذبن بالعـــدل

فهو يطلب المغفرة بفضل الله ويطلب النجاة من العذاب برحمته لأننا إن وُكِلْنا إلى عدله فإن أعمالنا لا تقوى على ذلك لأن من نوقش الحساب فقد عذب.

ويتكرر عنده هذا الأمر لقوة إيمانه وحسن اعتقاده في فضل الله ورحمته:

وهـو الموافـق للفـظ الجُـلِّ   نسـأله مغفـرة بالفضـل

حسن الخروج:

كما تفنن الشريف في الدعاء وجعل خواتيم أبياته مرتعاً خصيباً لذلك فإنه أيضاً كان بارعاً في الخروج من حكم إلى آخر. فكان إذا فرغ من الحكم وبقيت في البيت مساحة شغلها بحمد الله والثناء عليه نحو قوله:

و(المنفقـين) ثـم (مـن قـرار)   (مـن كـان)، والحمـد لـه يـا قـاري

أو قوله:

واشـترطوا في ضـم ذا الأصـالة   والحمـد لله بكـل حالـه

أو قوله:

وتحـت ألـف في (رأى) (ممـا رأى)   والهمـز فوقـه، وسـخطه نـأى

وقوله (سخطه نأى) دعاء بأن يبعد عنهم سخط الله وغضبه.

أو قوله:

وعنـد حـرف التـاء في (أشـهدت)   ونحـوه، لفضـله انتظـرت

وما أكثر ما خرج الشريف رحمه الله من أبياته بألفاظ محببة منشطة باعثة لهمم طلابه لأنها تصفهم بصفات كلهم يتمنى أن تكون فيه؛ ولا تكون فيه إلا إذا عمل بها يوصي به شيخه.

وقد ذكرت طرفاً من ذلك فيما سبق نحو قوله: يا قاري، يا رشيد، يا منير، يا فهيم، يا ذا العقل، يا ذا اللب، يا فقير، يا عاني، و يا أخي، ويا ابن خالي وهكذا.

واستفاد من معرفته اللغوية فوظفها في الخروج من البيت حين يفرغ من الحكم كقوله:

وراع تـــــرك شـــــدة للبـــــاء بالشـــين أو بالـــذال، وهـــو نـــاء

وجردوهــــا، أي مــــن الســـكون فـــيما ســـوى ذي، وهـــو المصـــون

فالعادة أن يقول أصحاب المتون: وهذا الوجه (بعيد) وهذا الوجه هو (المحفوظ) فاستفاد الشريف من المترادفات وخرج بها من كثير من أبياته كما في البيتين السابقين حيث وضع لفظة (نائي) مكان (بعيد) ووضع لفظة (المصون) مكان (المحفوظ) وهي مرونة جيدة. وحين خرج مرة من حكم لإدغام النون في الياء وبقيت في البيت بقية أتمها بصفة هي من باب الإيغال ولكنه إيغال مفيد فقال:

تقـــول في الـــواو (كثـــيراً وسَـــعَهْ) (وعَـــدن يـــدخلونها) مُتَّسِـــعَهْ

وليست كلمة (متسعة) من الآية في شيء ولكنها من صفة الجنة كما هو معلوم.

وهكذا يطول الأمر لأن مثل هذه الإشراقات أكثر من أن يحاط بها في نظم الشريف عامة وفي منظومة الصيانة على وجه الخصوص.

براعة النظم:

يعجبني تفنن الشريف كثيراً في الوصول إلى المعنى الذي يريده، وقد يحتاج الأمر أحياناً إلى ضرب من المعرفة بألفاظ القرآن ومواضعها من الآي فأحياناً يعطيك ضوابط وقيوداً يجمع فيها بعض الأصول ويكون حل القيد في البيت نفسه كنحو قوله في الحروف التي تعرى عندها التاء من التشديد حال الإدغام في قراءة أبي عمرو:

والتـــاء تعــرى عنـــدنا في الـــذكر ... لـــدى حـــروف نظمهـــا كالـــدر

وهـــي (ســل صــاحب زهــد ظــلا ... ثـــواب جـــذ) أول حـــرف حَـــلاَّ

فقوله (أول حرف حلا) يعني حل قيد البيت في الحروف الأوائل من الكلمات الست التي ذكرها وهو يريد السين من (سل) والصاد من (صاحب) والزاي من (زهد) والظاء من (ظل) والثاء من (ثواب) والجيم من (جد). وهذا الأسلوب قديم وقد جمعها قبله صاحب العنوان في قوله:

صـــــد جـــــائراً ظهـــــرا ... ثـــــم زارني ســـــحرا[1]

وهذا البيت على وضوحه فهو في الغزل ويفضله بيت الشريف بسلامة موضوعه وهو الزهد.

ومن براعته الواضحة قوله:

ونحـــوه للتـــا ودال في الثَّـــا ... (و مـــن يُـــرِدْ ثَّوابهـــا) قـــد بُثَّـــا

فقوله (ومن يرد ثوابها) الهاء إشارة إلى الدنيا أو للآخرة من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [١٤٥/ آل عمران] وهذا كقول الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٤٥/ البقرة] وقوله ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾[٩/ النحل] حيث عادت الهاء في الموضعين على ما لم يتقدم ذكره ولكنه معروف من السياق. فهذه استفادة من أسلوب القرآن وتطبيقه في علوم القرآن في وقت واحد.

---

[1] العنوان في القراءات: ٥٦.

ومثلها إشـــــارته إلى الساق في قـــوله (والتفت الساق قل بذاك) يريد ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ (٢٩/ القيامة) فهو لما أعجزه النظم من أن يقول (بالساق) اكتفى بالإشارة إليه بالاسم (ذاك) وهي براعة واضحة.

وقد يداخل أجزاء الآي في الأبيات مداخلة محكمة ولكنه يعتمد على القارئ الحافظ الذي يماثل صدره في الحفظ القاموس في زمان لم تكن فيه قواميس إلا صدور الرجال. نحو قوله:

و(حرمـــت ظهورهـــا) و(كـــذبت ثمـــود) للرســـل كـــما قـــد (وجبـــت جنوبهـــا) ونعـــم ذا المثـــال لكونـــه أزال للإشـــكال

أحسَّ الشريف نفسه بتوفيقه هنا فأثنى على ما تسنى له وما فتح الله بـه عليـه، وذلـك أن العرب تعيب التضمين في الشعر وهو الخروج من البيت قبل أن يتم المعنى وإكـمال معنـاه في البيت الذي يليه. ولكنه هنا ساغ وحَسُنَ جداً حتى إنه أكسب البيت اتصالاً وثيقاً وموسيقى لا تجعلك تشعر بفاصل بين البيتين.

وهذا يقودنا إلى إشاراته التي تبدو بعيـدة إلا عـلى الحفـاظ الـذين يعرفـون كـل شـاردة وواردة في القرآن فحيثما أوجزت أو أطنبت يعرفون ما تشير إليه تلميحاً أو تصريحاً ولعمـري لقد كان هو رضي الله عنه من هؤلاء. يقول:

وهـي(الـلات) مـع (مرضـات) و(ذات) مـــن قبـــل (بهجـــة) قـــل (ولات)

فإن لم تكن حافظاً مستحضراً مواقع الألفاظ من الآي لن تصل إلى مراد الناظم هنا وهو يريد أن (ذات) في القرآن كثيرة ولكن التي يريدها هي (ذات) التي تعقبها كلمة (بهجة) يريد

قوله تعالى: (حدائق ذات بهجة) وقد وقفت عنده في حديثي عن إشاراته واختصاراته التي تحتاج إلى معارف مخصوصة. وأكتفي بهذا هنا لما كنت فصلته في موضع آخر.

لماذا اختار الشريف قراءة أبي عمرو؟

من المعلوم أن ما يقرأ به اليوم يتمثل في رواية حفص عن عاصم وتغطي معظم أرجاء المعمورة، ورواية ورش عن نافع ويقرأ بها في شمال إفريقيا وغربيها ومصر وشمال السودان، وقالون عن نافع ويقرأ بها في ليبيا، والدوري عن أبي عمرو البصري التي يقرأ بها في معظم أرجاء السودان[1]، وقد خرج الشريف عليه رحمة الله من السودان وهو يتقن قراءة ورش عن نافع التي كانت سائدة في السودان وقد عرف قراءة أبي عمرو برواية الدوري وهو في السودان وذلك أنه كما يظهر في منظوماته قرأ كتاب (سلم المريد) للشيخ حمد ودمدلول وهو كتاب في قراءة أبي عمرو أشبه بالدّرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع. ثم دخل الشريف مصر فوجد فيها رواية ورش عن نافع ولما رحل إلى الحجاز وجد قراءتي نافع وابن كثير، وقرأ مصنفات المغاربة وربما لقي بعضهم في الأزهر وهم يقرأون لنافع بروايتيه. وكان أهل العراق يقرأون لأبي عمرو وقد وقف على مصنفاتهم كما تدل مصنفاته، وبعد اكتمال معرفته بقراءات الأئمة السبعة وقع اختياره على قراءة أبي عمرو برواية الدوري لأسباب نتلمسها تلمساً؛ فالإمام أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني التميمي البصري النحوي هو إمام العربيةوشيخ شيوخها لا ينازع، وهو سيد القراء كما يقول الأندرابي وقارئ أهل البصرة ومقرئهم بها وإمامهم الذي تمسكوا بقراءته وكان أعلم الناس في زمانه بالقرآن والعربية والشعر وأيام الناس

---

[1] قراءة أبي عمرو: ١٢.

وكان كثير الرواية للحديث والعلم[1]. وكان أعلم النـاس بالغريـب والعربيـة والقـرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس[2]. كان مقـدماً في دهـره عالمـاً بـالقراءة في عصـره، عارفاً بوجوهها، قدوة في العربية، معوّلاً على الخبر، مستمسكاً بالأثر، عالماً في كل بلـد، لا يُعدُّ القارئ قارئاً في زمانه إلا من قرأ عليه[3]. وهو القائل عن نفسه: "ما قرأت حرفـاً من القرآن إلا بسماع وإجماع من الفقهاء[4]. وكان أكثر الناس شيوخاً قرأ على عبدالله بـن كثير أحد السبعة وسمع أنس بن مالك ولسمو منزلته في العلم بلغ حرص النـاس عـلى قراءاته حرصاً شديداً حتى روى الغافقي بسنده أن سفيان بن عيينة قال: رأيت رسـول الله ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله، قد اختلفت علي القراءة فبقراءة من تأمرني أن أقـرأ؟ قال: اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء[5].

والسبب في إقبال الناس على قراءته فوق علمه وضبطه أنـه كـان كـما يقـول ابـن مجاهـد حسن الاختيار، سهل القراءة غير متكلف، يُؤْثر التخفيف ما وجد إليه السبيل[6]. لذلك قـال السامري: من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبي عمرو[7].

---

(1) قراءات القراء المعروفين: ٨٣.

(2) الإقناع: ١/ ٩٣.

(3) رواية أبي عمرو: ٩٣.

(4) المصدر السابق: ٤٥.

(5) نفسه: ٤٣.

(6) كتاب السبعة: ٨٤.

(7) غاية النهاية: ١/ ٧٥.

وقراءات السبعة كلها صحيحة السند موافقة لمصحف الإمام عثمان موافقة لوجوه العربية والثناء على الإمام أبي عمرو لا يقدح في قراءة غيره ولكنه لما كان بهذه المنزلة السامية ولما كان الشريف ضابطاً عارفاً بالقراءة كان اختياره لقراءة أبي عمرو موفقاً لأنه شيخ أهل الضبط والإتقان. بل أبعد من ذلك فإن اختيار الشريف لرواية الدوري عن أبي عمرو لها مزايا وفيها توفيق أيضاً لأن حفصاً بن عمر الدوري روى عن إمامين في اللغة والنحو والقرآن وهما أهل علم ودراية بكلام العرب وأهل بصر ورواية لعلوم القرآن هما أبو عمرو بن العلاء وعلي بن حمزة الكسائي. بل قرأ حفص الدوري على اليزيدي، أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي النحوي وهو طريقه إلى أبي عمرو البصري والكسائي. والدوري مقرئ نحوي لا يقدم عليه أحد من أصحاب أبي عمرو في الضبط لمذاهبه في القراءات. وكان شيخ الإقراء في وقته قرأ على إسماعيل بن جعفر وعلى اليزيدي والكسائي وقيل إنه أول من جمع القراءات وطال عمره وقصد من جهات حتى ازدحم عليه الحذاق لعلوِّ سنده وسعة علمه، وكان صدوقاً ذا دين كتب عنه الإمام أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٤٦هـ[1].

لكل ذلك نحسب أن اختيار الشريف لحرف أبي عمرو كان بعد رويّة ودرس وفحص وقد قام الشريف بقراءته خير قيام فأتقنها وألف فيها ونشرها بين عشرات الآلاف من تلاميذه وتلاميذهم الذين كان لهم شأن في العهد التركي إلى قيام المهدية وامتد أثرهم إلى زماننا هذا.

وقد بان من منظومات الشريف شدة إعجابه بأبي عمرو وبالغ في احتفائه بقراءته، وكان يثني عليه كلما وجد إلى ذلك سبيلا. يسميه أبا عمرو والفتى البصري والفتى النحوي والمازني

[1] العنوان في القراءات: ٥٦.

والتميمي والرضي، وإذا قال الإمام بلا قيد فإنما يعنيه كما قال في منظومة الصيانة (البيت ٢٢٨):

(معاً و السحر به الإمام قالا).

وهو لا ينفك يثني عليه ويجله كما قال في منظومة الصيانة أيضاً (١٨٤ – ١٨٦).

وهاك ما أبسطه في الهمز　　في محكم النظم العظيم العز

على قراءة الرضي التميمي　　ذي المجد والمحترم العظيم

أخيراً: ما الفائدة من دراسة مصنفات الشريف وأمثالها؟

بعد كل ما تقدم من جهود الشريف العظيمة في بلاد السودان وبعد جهود الأئمة الذين سبقوه في خدمة علوم القرآن خصوصاً الضبط والرسم والقراءات قد يسأل سائل: ما الفائدة من دراسة هذه المصنفات القديمة وقد استقرت الخطوط الآن وأصبحت لنا مصاحف موحدة الرسم وقراءات متفق عليها؟

أقول: إن الفوائد عظيمة وجليلة منها أن هذه الجهود التي بذلت في علوم القرآن هي البرهان المستمر على تكفُّل المولى عز وجل بحفظ كتابه في قوله الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [٩/الحجر] فقيّض لهذا الكتاب أمة من العلماء في كل عصر ما تركوا فيه شاردة ولا واردة مما يبلغه علم البشر إلا حصلوها في تعلمه وتعليمه، ونحن نفخر أيما فخر بأن لنا مشايخ كالشريف محمد الأمين وأضرابه كانوا ممن خصهم الله تعالى بشرف المساهمة في حفظ كتابه العزيز. ومن حقهم علينا ومن البر بهم أن نبرز جهودهم ونجلي صنيعهم للأجيال وأن نعتمد هذه الجهود لبنات راسخات في صرح ثقافتنا وعلومنا الدينية. ثم إن هؤلاء العلماء والشريف منهم خدموا دون أن يشعروا لغة هذا الكتاب وهي العربية التي شرفها الله بأن تكون وعاءً للقرآن. بل خدموا لهجاتنا العامية التي تستعصي علينا فيها كثير من الأصول المستخدمة وبالرجوع إلى مصنفات هؤلاء القوم نحكم المعرفة بلساننا العربي وتزداد معرفتنا بكثير من أمور ديننا ونحسن المعرفة بعاميتنا المحكية.

أما في مجال الفصحى فللضبط والرسم ووجوه القراءات فوائد لا تحصى أولها أن في اختلاف وجوه القراءات توسيعاً على الأمة ورحمة بها "فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ليقرأ كل قوم على لغتهم وعلى ما يسهل

عليهم... فقوم جرت عادتهم بالهمز وقوم بالتخفيف وقوم بـالفتح وقـوم بالإمالـة وكـذلك الإعراب واختلافه في لغاتهم والحركات واختلافها في لغاتهم فتفصح كل قـوم وقـرأوا عـلى طبعهم ولغتهم..."[1].

ودعنا نأخذ الإمالة في قراءة أبي عمرو برواية الدوري فهـي قـراءة سـبعية وهـي عربيـة فصيحة من لغة بني أسد ولكنها اختفت من اللسان العـربي المعـاصر ولا تكـاد توجـد إلا في جيوب من البلاد العربية مثل جنوب الحجاز ولبنان. وهي قراءة أهـل السـودان عـلى زمـان الشريف يجيدونها ويتقنونها حتى انتقلت إلى كلامهم العادي وإلى أشعارهم كما سأوضحه بعد قليل.

هذا وما يزال المسلمون في بقاع الدنيا يقرأون بحروف مختلفة فحفص في الحجاز والشام وورش في بلاد مصر وقالون في المغرب والدوري في السودان فحاجة الناس إلى معرفة العلل ووجوه القراءة قائمة. أما الرسم الذي اهتم به هؤلاء الأئمة فقـد حفـظ مـن لغـات القبائـل وجوهاً لا نكاد نجدها إلا في المصحف، منها إمالة الألف نحو الياء التي تقدم ذكرهـا كـما في (النير والكيفرين) وإمالة الألف نحو الواو أو تفخيمها وهذه لا تكاد تجدها إلا في نزر يسـير من لهجات شرق الجزيرة العربية وهـي محفوظـة في الرسـم العـثماني لألفـاظ مثـل (الصـلوة والزكوة والحيوة) وهي لغة هُذَليّة اندثرت. والوقف عـلى التـاء تـاء كـما في (الحيـاة والزكـاة والصلاة) وقد كانت معروفة عند العرب وعليها قولهم (يا أصحاب بعيثْ الشـجرتْ) وقـد حفظ الرسم العثماني عدداً من هذه الألفاظ عالجها الشريف وأقرانه في مصنفاتهم وأراجيزهم في مباحثهم المختلفة كحديثهم عن التاءات المطلوقة والمربوطة.

---

[1] الإبانة عن معاني القراءات: ٥٩.

كما مكن الرسم الذي اجتهد هؤلاء العلماء في المحافظة عليه في تنويع الوجوه الفقهية والأحكام المحتملة تبعاً للرسم. كما في (لمستم) (ولامستم)[٤٣/ النساء، ٦/ المائدة] إذ اللمس هو المس والملامسة هي الجماع فلو أنها كتبت بالألف فقط لامتنع الوجه الثاني وكذلك الحال في يخدعون ويخادعون. ومن ذلك قراءات ورسوم تتعلق بالعقيدة والعبادات لا يسع المجال لتفصيلها وكلها مما أتاحه اختلاف الرسم وتعدد وجوه القراءات.

والتفات هؤلاء الأئمة منذ نزول القرآن إلى الاهتمام بالوقف والابتداء فيه دحض لكثير من الدعاوى المعاصرة فاعتقاد جماعة من متعجلي المعاصرين أن علامات الترقيم مثلاً محدثة وأنها غير عربية الأصل وأننا أخذناها عن غيرنا فيه دفن لذكاء الأمة العربية ووأد لوعيها بتراكيب لغتها وأساليب كلامها فما علامات الوقف تامِّهِ وكافيهِ وحسنِهِ إلا بادرة مبكرة واكتشاف قديم لحاجة المكتوب إلى ما يقربه من المنطوق ولم يمض وقت طويل حتى استخدموا حروفاً في الكتاب تقوم مقام علامات الترقيم منها (أه) بمعنى انتهى و(الخ) بمعنى إلى آخره وهلم جرا. وهذا قريب من قضية ترتيب حروف المعجم بما يسمونه الطريقة الحديثة (أ ب ت ث) وينسبونها للفرنجة وما هي بحديثة ولا هي للفرنجة بأي حال. فعلي بن حمزة الهنائي المعروف بكراع النمل والمتوفى في القرن الثاني الهجري وضع معجماً بهذه الطريقة فُقِد فيما فُقِد من تراثنا وبقيت بعض مواده في كتب اللغة دالة على منهجه. وليس بعيداً عنا معجم أساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة ٥٨٣هـ فهو مرتب على ما يسميه أبواق الفرنجة بالطريقة الحديثة وقد ترى أنه قديم كسابقه. فقد اجتهد الأسلاف وشمر الشريف عليه رحمة الله وأضرابه في أثرهم فإن كان ثمة قصور فإنه من الخلف فقد وضع السلف لبنات صالحات لكثير من العلوم فغفل عنها الخلف فتلقفت ذلك أمم غيرنا فأتموا ما بدأه أسلافنا في كثير من

العلوم ثم نسبوا براءة الاختراع لأنفسهم. فإن لم نفعل ما فعل السلف فإن أضعف الهمة أن نقف على ما فعلوا.

والذي وقفنا عليه فيما تقدم أن السودانيين كانوا يقرأون القرآن برواية ورش عن نافع إلى أيام الشريف إلا قلة، ثم جاء الشريف الذي كان يعرف هذه الرواية معرفة الخبير ولكنه مع ذلك اختار قراءة أبي عمرو ونشرها بين تلك الألوف المؤلفة من طلابه فأصبحت هي مقرأ أهل السودان إلى أن غطى التعليم النظامي على الأجيال المعاصرة فتحولت إلا بقية قليلة –إلى رواية حفص عن عاصم– فيكون أهل السودان من بين المسلمين عامة هم ممن يقرأون القرآن بأربعة مقارئ وبرعوا في زمان كل مقرأ وإن طغى حرف حفص هذه الأيام ومع ذلك فإن قراءتي ورش والدوري ما تزالان معمولاً بهما في كثير من المعاهد والخلاوي والجامعات وما تزال بقية ممن حفظوا القرآن بتينك الروايتين يقرأون بهما. فما أثر تلك القراءات على اللهجة المحلية في السودان؟

أما في مجال العامية السودانية فقد أثرت القراءات القرآنية في مكونات اللهجة المحكية تأثيراً بيناً. نقف منه فقط على طرف من تأثير قراءاتي الدوري عن أبي عمرو بن العلاء وورش عن نافع وقد كان الشريف محمد الأمين إماماً عالماً بحروف القراءات كلها واختص بهذين الفرعين اللذين أثرا في عامية أهل السودان تأثيراً بيناً.

ويتجلى أثر القراءات في العامية السودانية في كثير من الظواهر الصوتية كالتسهيل والإمالة والنقل والإدغام والتفخيم والترقيق ونحوه.

أما النقل وهو مما اختص به ورش وعرف منه القليل عند الدوري كما بينه الشريف في منظومة الصيانة. فيظهر في عامية أهل السودان في مظهرين نقل الحركة مطلقاً، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن الذي يليها. فمن الأول أن السودانيين ينقلون كسرة الحرف الأخير إلى

الساكن قبله ويسكنون الأخير فيقولون (الحِجِلْ في الرِّجِل، والنَّقِلْ والأكِلْ والجَرِد) وقس عليها وهو عندي أقرب إلى الإتباع وعليه قول بعض رجاز العرب:

علمهـــا أخوالهـــا بنـــو عِجِـــلْ شرب النبيـــذ واصـــطفاقاً بالرِّجِـــلْ

وقد طبق الشريف هذه اللغة في منظوماته الفصيحة حين احتاج لذلك فقال في منظومة الصيانة:

والهمـــز إن أتـــى بضـــم أو فَـــتِحْ يكـــون فوقهـــا وكـــل يَتَّضِـــحْ

فنقل وأتبع في (فَتِحْ).

أما نقل حركة الهمزة كما في (عادلُّولى) فهو كثير لا يعرف السودانيون غيره في كل كلمة استوفت ما في (عادلُّولى) فيقولون (المسألة اللُّوْلى) يريدون (الأُولى)، و(اللُبَيِّض) يريدون (الأُبيض) واللُّمة (الأمة) واللّجل (الأجل) واللّحو (الأحو) ومنه قول الحاردلو:

اللَّحَماني ما أشَهِّل جُمال العيش ...

أما الإمالة فهي وإن كانت شائعة في إمالة الفتحة نحو الكسرة في نحو (بَيْت) و(زيت) فإن إمالة الألف نحو الياء عرفت عندهم خصوصاً في أشعار المديح النبوي وذلك قطعاً بتأثير القراءات فيقول ود عبد الملك:

يـوم وُضِـعَ الرسـول انهـلّ سُـحب الخـير زخـرف للفـراديس سـدّ بـاب (النـير)

أراد (النار) فأمال، وهو كثير في شعر المديح النبوي.

وقد تشرَّب الشريف محمد الأمين قراءة أبي عمرو هذه حتى صارت الإمالة له مذهباً وحتى جعلها رويّاً في بعض منظوماته فوضع لفظة (النار) ممالة في قافية ياؤها محضة فقال:

ونحـــو صـــالو الجحـــيم وصـــالو النـــير ومـــا قـــدروا الله أتـــت بـــالتحرير

ولم تعرف العرب تطبيقاً صوتياً مكتوباً للإمالة كما عرفه السودانيون متأثرين برواية الدوري هذه.

ومن آثار القراءات في اللهجة السودانية ظاهرة الترقيق الذي اشتهرت به قراءة ورش؛ فالراء عند السودانيين مرققة في أكثر أحوالها (فلان راجل) (وإنت راجي شنو) و(المرْتَبه) و(الشرَّ برَّه وبعيد) والحيران (جمع حوار) ومنها كُنية الشريف محمد الأمين (أبو الحيران) كل ذلك ونحوه مرقق عندنا وهو مظهر صوتي معروف في لغة الحجاز التي تمثلها قراءة نافع وشاع عند أهل السودان. بل هناك ظاهرة صوتية في الترقيق عند السودانيين لم أجدها عند غيرهم ولا وجدت لها شاهداً في كلام العرب وأراها مما أضافه السودانيون إلى الثراء الصوتي في اللغة العربية وذلك أن كثيراً من الكلمات عندنا رسمها واحد ولكنك حين ترقق راءها تعطيك في عامية أهل السودان معنى وحين تفخم الراء تعطيك معنى آخر. نحو (الراحة) –بالترقيق– وهي باطن الكف و(الرَّاحة) –بالتفخيم– ضد التعب. و(لاتتبرَّك) بالترقيق أي لا تبرك كالبعير و(لا تتبرك) –بالتفخيم– من البركة. و(الحرارة) بالترقيق –الأصالة وهي بالتفخيم السخونة وهلم جرا.

ومن آثار قراءة ورش الواو التي يضيفها بعض أهل كردفان إلى أواخر الأفعال نحو (نسافرو – نسلمو) يريدون (نسافر – نسلم) وهي عربية قال ابن خالويه: ذكر الخليل بن أحمد في كتاب العين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ الفاتحة: ٥. يشبع الضمة في النون وكان عربياً قلباً، أي: محضاً. قال وهي قراءة ورش

في رواية[1]. ولعلها ملحوظة أيضاً في صعيد مصر وفي بعض بلاد المغرب وهؤلاء أيضاً ممن يقرأون بقراءة ورش وأثرها في ذلك لا يخفى.

ومن التسهيل عندنا تحويلنا كل همزة مكسورة إلى ياء وكل همزة مضمومة إلى واو وكل همزة مفتوحة إلى ألف فنقول (جيت) نريد (جئت) و(يا مُوْمِنْ) نريد (يا مؤمن) و(راس) ونريد (رأس). وكله عربي بالغ وتحويل الهمزة المضمومة خاصة إلى واو محضة في نحو (يوده – يواخذ – يولف) كل هذا مشهور في قراءة ورش نحو (موصدة – المومنون) ونحوها[2]. وهو لغة السودانيين.

أما في الإدغام وأثره في العامية السودانية فحدّث ولا حرج. فالسودانيون يدغمون إدغاماً صغيراً وكبيراً في كثير من استخداماتهم ولا يخرجون على ما رواه الشريف عن أبي عمرو ولا يخالفون ما عرف عن العرب: فكل سوداني يقول (مناسِكّم ومشابكُّم ونغركّم ونفركُّم) يريدون: (مناسككم ومشابككم ونغرِّقكم ونُفَرِّقكم). وكل السودانيين يقولون (قالّك وجعلّك وعملّك) يريدون (قال لك) و(جعل لك) و(عمل لك) يدغمون المتحركين وهو المعروف بالإدغام الكبير.

ولهم ضروب من الإدغام محكية عن العرب منها قولهم: (ارفحّا واسمّحا)، يريدون (ارفَعْهَا واسمَعْهَا) فيبدلون العين والهاء حاءين ثم يدغمونهما. روى ياقوت في معجم الأدباء قول بعض الكذابين وأنه روى في مجلس أُنس خبراً جاء فيه (ما من قطرة تنزل من السماء إلا

---

(1) المختصر في شواذ القراءات: ١٦.

(2) انظر النشر: ١/ ٣٩٥.

ومحّا ملك يَتْبحَّا حتى يَضَحَّا في موضِحَّا ثم يصعد ويَدَحَّا)[1]. يعني: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يتبعها حتى يضعها في موضعها ثم يصعد ويدعها. وهذا كما قال شاعر قبيلة رفاعة القديم:

شوف جملي اب دلاعه مسك الدرب واداعى لي بنيتاً في رفاعه

القُرْقُد بالحّا ولبن الضان فاقِحّا ....

يعني القرقد -وهو الشعر (بالِعْها) من غزارته ولبن الضان (فاقِعْها) من فرط السمن والشحم وقال الحاردلو:

ملزوم بِي مَرَاتحّنْ وخبرةْ مَا هِنْ

أراد (مراتعهن) فأبدل وأدغم. وقال الجموعي في الزبير باشا:

مما قام صغير قَطْ حُرّة ما بيدنحّا

أي (يِدْنَعُها) أي يقرب منها، والدناعة لغة في الدناءة. كل ذلك عربي قديم. قال سيبويه: "ومما قالت العرب تصديقاً لهذا الإدغام قول بني تميم (مَحُّمْ) يريدون: معهم. و(مَحَّاؤُلا)، يريدون: مع هؤلاء"[2].

وقال ابن جني في سر الصناعة: ولما أرادت بنو تميم إسكان عين (معْهم) كرهوا ذلك فأبدلوا الحرفين حاءين وقالوا (مَحُّمْ) فرأوا ذلك أسهل من الحرفين المتقاربين. وتميم شطر الفصاحة.

---

(1) معجم الأدباء: ٣/ ١٤٩

(2) كتاب سيبويه: ٥/ ٥٤٠.

هذه عجالة راكب في أثر القراءات والرسم والضبط في الفصحى والعامية وفي العبادات وتوجيه المعنى عموماً. ولو قصد الباحث الإطالة فيها ما كان يعجزه ذلك بسبب ثراء هذه العلوم وعظيم مردودها على الدراسات اللغوية. ولكن تكفينا هذه اللمحة التي أحببنا أن نختم بها نظرنا المتواضع في جهود هذا العالم الشامخ والأستاذ الماهر الذي أمضى عمره في خدمة الكتاب العزيز وعلومه متعلماً وعالماً فكانت ثمرة جهوده نافعة قيمة، طلاباً ملأوا الآفاق وعلوماً ملأت الطباق نسأل الله تعالى أن يجزيه عن كتابه وعن المسلمين وأولادهم ما هو أهله وأن ينفعنا به وبعلومه وبركاته. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سـيرَة ذاتِـيَّة



المعلومات الشخصية:

الاسم: إبراهيم القرشي عثمان.

تاريخ ومكان الميلاد: ١٩٥٥م – ود مدني – السودان.

العنوان: كلية اللغات والترجمة–جامعة الرباط الوطني – الخرطوم

موبـايل:

بـريد إلكترونـي: qurashi1955@hotmail.com

المؤهلات العلمية:

- درجة الأستاذية (بروفيسور) جامعة الرباط الوطني – الخرطوم – ٢٠٠٦م.
- درجة الدكتوراة في اللغة والنحو والصرف في (إعراب القراءات القرآنية) – جامعة الخرطوم – ١٩٩٣م.
- درجة الماجستير في اللغة والنقد – جامعة الخرطوم – ١٩٨٥م.
- بكالوريوس اللغة العربية بمرتبة الشرف الأولى – جامعة الخرطوم – ١٩٨٠م.
- دورة تدريبية في (إدارة الموارد البشرية) – مركز تطوير الإدارة – ٢٠٠٨م.

الخبرات العملية:

- أستاذ العربية وآدابها – كلية اللغات والترجمة – جامعة الرّباط الوطني – السودان.
- أستاذ زائر – جامعة الجزيرة / جامعة سنّار – السودان.

- محاضر – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية (١٩٨٦م – ٢٠٠٥م).
- مُعيد بجامعة الخرطوم – (١٩٨٠م – ١٩٨٢م)
- تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها – جامعة الخرطوم –(١٩٨٠م – ١٩٨٢م).
- الإشراف على طلاب الماجستير والدكتوراة – كلية اللغات – جامعة الرباط الوطني – السودان.
- الإشراف الخارجي على بعض الرسائل العلمية في الماجستير والدكتوراة – جامعة الخرطوم – السودان – معهد الخرطوم الدولي للعربية للناطقين بغيرها.
- ناقش مجموعة رسائل ماجستير ودكتوراة – جامعة الجزيرة / جامعة سنّار – السودان.
- تحكيم بحوث الأساتذة بغرض الترقية – لعدد من الجامعات والمعاهد العليا.
- تحكيم الأعمال العلمية لبعض المجلات والدوريات العلمية المُحكّمة والموسوعات: مجلّة الدراسات اللغوية – مركز الملك فيصل – المملكة العربية السعودية / مجلّة جامعة الجزيرة – السودان / مجلّة جامعة سنّار – السودان / الموسوعة العربية العالمية.
- تدريس المواد والمقررات التالية: علم النحو، علم الصرف، القراءات القرآنية، علم العروض، النقد الأدبي، التطبيقات النحوية، المهارات اللغوية، الدراسات اللغوية، الدراسات الأدبية، التذوق الأدبي والتحرير العربي.
- تحكيم المسابقات الطلابية والتدقيق والمراجعة اللغوية لبعض إصدارات الكلية والجامعة وغيرها.

- الإشراف على صحيفة رسالة الكليات - المعارف السعودية - المملكة العربية السعودية.
- الإشراف على صحيفة صوت الرّباط - جامعة الرباط الوطني - السودان.
- الإشراف العام على صحيفة الأمكنة - ولاية الجزيرة - السودان.
- كاتب وناقد في: مجلة الفيصل ، مجلة شِقّيش / الخرطوم، مجلة الدستور / الخرطوم، مجلة مأثورات شعبية / الدوحة بدولة قطر، مجلة بشائر/ الرّياض ، مجلة الدراسات السودانية / مجلة سنار/ مجلة المجمع اللغوي/ مجلة الثقافة السودانية.
- كاتب ومحرر ومصحّح المادة الأدبية - صحيفة رسالة الجامعة - جامعة الملك سعود/ المملكة العربية السعودية.
- كاتب مشارك في: مجلة الصحة والمجتمع / وزارة الصحة بولاية الجزيرة، مجلة المجتمع/ جامعة القرآن الكريم بولاية الجزيرة، مجلة الجمارك -قوات الشرطة السودانية.

كُتُب وبُحوث ودراسات:

- إعراب القراءات السّبع وعللها لابن خالويه -تحقيق ودراسة - ١٩٩٣م.
- عادات سودانية أصولها عربية (مدخل لغوي) - الجزء الأول - الطبعة الثالثة ٢٠١٥م.
- السّهل الممتنع (خواطر وصور بلاغية) الطبعة الثانية ٢٠١٥م.
- بين الأميرين الشاعرين: امرئ القيس والحاردلو (مدخل لغوي) -الرياض- ٢٠٠٤م.

- قُطب القـرآن وخاتمـة المحققـين الشـريف محمـد الأمـين الهنـدي (حياتـه وآثـاره) الرياض- ٢٠٠٥م.
- ضبط وشرح ديوان الشيخ أحمد ود سعد – الخرطومم ٢٠١٤م.
- تحقيق عفو الخاطر – الخرطوم ٢٠١٥م.
- تحقيق وضبط ديوان الشيخ الصابونابي – الخرطوم ٢٠١٦م.
- كتاب الشيخ حياتي البارع، الخرطوم ٢٠١٦م.
- من المفكرة –بيروت – ٢٠٠٧م.
- تحقيق ديوان الشيخ أحمد ودسليمان –الخرطوم – ٢٠٠٩م.
- تحقيق ديوان الشيخ ود أب شريعة –الخرطوم – ٢٠١٣م.
- تحقيق ديوان الشيخ علي ود حليب –الخرطوم – ٢٠١٤م.
- تحقيق ديوان الشيخ قدّورة –الخرطوم – ٢٠١٤م.
- تحقيق كتاب مدح الرسول (مُسْتَل من المُرشد) للبروفسير عبدالله الطيب –الخرطوم – ٢٠١٤م.

بحوث محكّمة ومنشورة:

- ابن خالويه (إعراب القراءات السبع) بين الأصل اليتيم والتحقيـق السـقيم – مجلـة عالم الكتب (عِلمية محكّمة) – العدد الثاني –المجلد ١٩ – الرياض –١٩٩٨م.
- الحلـم والأنـاة – موسـوعة القـيم ومكـارم الأخـلاق – المجلـد ٤٤ – الريـاض – ٢٠٠٠م.
- فصاحة اللسان – موسوعة القـيم ومكـارم الأخـلاق – المجلـد ٢٤ – الريـاض – ٢٠٠٠م.

- النساء في البيئة العربية – موسوعة مقاتل في الصحراء – رقم١٠٠٣٦ – الرياض – ٢٠٠٠م.
- حداد الزوجات في الشريعة الإسلامية – موسوعة مقاتل في الصحراء – رقم١٠٠٤٠ – الرياض – ٢٠٠٠م.
- فصحاء ولا ندري (بحث في اللغة والحياة) – مجلة الفيصل – العدد٢٤٩ – ١٤١٨هـ.
- الأصول العربية لبعض أدوات العطر والزينة في التراث السوداني (مدخل لغوي) – مجلة المأثورات الشعبية – العدد ٦٣ – الدوحة – قطر – ٢٠٠١م.
- الأثر الديني في الأغنية السودانية – مجلة بشائر – الرياض – ٢٠٠٢م.
- مأثورات مشهورة في التراث السوداني – مجلة الدراسات الآسيوية والافريقية – الخرطوم – ٢٠٠٥م.
- الدوبيت لغةً ومعنى – مجلة المجمع اللغوي – الخرطوم – ٢٠٠٧م،
- التراث السودان بين تشويه الغرباء وتقاعس أهله – مجلة الثقافة السودانية ٢٠١٥م.
- لغة طبقات ود ضيف الله – مؤتمر كتاب الطبقات – الخرطوم ٢٠١٥م.
- مقاربة بين الفصحى والعامية – الملتقى العلمي للغة العربية ٢٠١٥م.
- قصائد منشورة في الصحف: الخرطوم، المستقلة، الجزيرة، السودان الحديث، الأنباء، رسالة الجامعة ومجلة طويق.

المناصب والعضويات:

- وزير الثقافة والإعلام – ولاية الجزيرة – السودان –(٢٠١٠م –٢٠١٣م).

- رئيس مجلس أمناء جائزة البرعي للأدب النبوي - السودان -٢٠١٣م.(قرار رئاسي رقم (٢).
- عضو المجمع اللغوي، رئيس دائرة اللغة العربية واللهجات السودانية (قرار جمهوري ٣٨٣).
- عضو المجلس القومي للثقافة والفنون (قرار جمهوري ٣٤٠).
- عضو الهيئة العليا لجائزة الإبداع الطلابي (قرار جمهوري ٤٥٢).
- عضو الهيئة الاستشارية ورئيس اللجنة العلمية لأمانة سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧م.
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب السودانيين.
- عضو هيئة التحرير والمراجعة اللغوية والتأليف - موسوعة (مقاتل من الصحراء) - الرياض.
- عضو هيئة التحرير والصياغة اللغوية - موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة - الرياض.
- عضو هيئة التحرير والتأليف - موسوعة القيم ومكارم الأخلاق - الرياض.
- عضو هيئة التحرير والتأليف - الموسوعة العربية العالمية - الرياض.
- عضو هيئة التحرير والتأليف-كتاب المواصلات والاتصالات في المملكة خلال مائة عام - الرياض - ١٩٩٩م.

الجوائز والأوسمة:

- جائزة الشيخ البرعي في الأدب النبوي ٢٠١٦م.
- جائزة أفضل برنامج ثقافي تربوي – التلفزيون القومي السوداني – ٢٠٠٩م.
- جائزة الدولة (الشهيد الزبير) للإبداع والتميز العلمي – الخرطوم – ٢٠٠٣م.
- وسام العلم والآداب والفنون الذهبي من رئيس الجمهورية – الخرطوم – ٢٠٠٣م.
- جائزة الشعر على مستوى جامعة الخرطوم – ١٩٩٧م.
- جائزة التفوق الأكاديمي في الامتياز (الأول والثاني) على مستوى كلية الآداب – جامعة الخرطوم(١٩٧٩–١٩٨٠م).

مناشط أخرى:

- إعداد وتقديم برنامج روائع المديح – الإذاعة القومية السودانية.
- إعداد وتقديم برنامج في رحاب الحبيب – التلفزيون القومي السوداني.
- إعداد وتقديم برنامج رياض المديح – إذاعة الكوثر.
- إعداد وتقديم برنامج أسمار في التراث – إذاعة ساهرون (صوت الشرطة السودانية).
- إعداد وتقديم حلقات تلفزيونية وإذاعية في اللغة والتراث والثقافة: إذاعة ساهرون، إذاعة الكوثر، تلفزيون ولاية الجزيرة، الإذاعة القومية السودانية، التلفزيون القومي السوداني.
- إعداد وتقديم برنامج (كلام سوداني) – إذاعة هلا، وقناة الخضراء.
- ديوان شعر مخطوط.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

* **المصادر المخطوطة:**

١ مصحف بخط اليد (مصحف والدي).

٢. مخطوطة منظومة **الصيانة في علم القرآن** للشريف محمد الأمين الهندي.

٣. مخطوطة منظومة **المعارف في مشكلات الرسم والمواقف** للشريف محمد الأمين الهندي.

٤. مخطوطة منظومة **مقدمة الأحكام** للشريف محمد الأمين الهندي.

٥. مخطوطة منظومة **الفوائد في علل الهمز والزوائد** للشريف محمد الأمين الهندي.

٦. ملحق **تاج الزمان في تاريخ السودان** (مخطوط) للشريف يوسف الهندي.

٧. كتاب **الشعر والغنا** (مخطوط) للشريف يوسف الهندي.

٨. **الهارب**: مخطوط مذكرات الشريف حسين الهندي، يعدها للنشر ابن أخيه الأستاذ الشريف محمد الأمين الشريف عمر الهندي.

٩. **رواية شفوية** لسيرة الشريف جمعتها من المرحوم الخليفة أحمد يوسف يسن (ود المادح) سنة ١٩٨١م.

١٠. مخطوطة منظومة **الفوائد** المنسوبة للشريف أو الشيخ عبدالعاطي.

١١. مخطوطة منظومة **متن الدنفاسي** للشيخ محمد إبراهيم الدنفاسي.

١٢. **القراءات والرسم والضبط والتجويد في السودان.** (رسالة دكتوراه غير منشورة) لعلي العوض عبدالله (١٤٠٩-١٩٨٩).

١٣. **إعراب القراءات السبع** لابن خالويه (رسالة دكتوراه غير منشورة)، د. إبراهيم القرشي ١٩٩٣م.

المصادر المطبوعة:

١٥- **دليل الحيران شرح مورد الظمآن** للمارغني، مكتبة النجاح- طرابلس.

١٦- **مورد الظمآن** للخراز، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٧- **مع المصاحف** للشيخ يوسف إبراهيم النور.

١٨- **الإبانة عن معاني القراءات** لمكي بن أبي طالب القيسي، دار المأمون للتراث، ١٩٧٩م..

١٩- **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة، دار التراث، ١٩٧٣م.

٢٠- **سراج القارئ** لابن القاصح، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٤م.

٢١- **حرز الأماني** للشاطبي، مكتبة دار الهدى، ١٩٩٦م.

٢٢- **النشر في القراءات العشر** لابن الجزري، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٢٣- **حق التلاوة**، حسني شيخ عثمان، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

٢٤- **قراءات القراء المعروفين**، أحمد بن عمر الأندرابي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

٢٥- **العنوان في القراءات السبع** لإسماعيل بن خلف الأندلسي، طبعة عالم الكتب، ١٩٨٦م.

٢٦- **رواية أبي عمرو للغافقي**، تحقيق د. سر الختم الحسن عمر، دار عمار، الأردن ٢٠٠١م.

٢٧- **التبصرة في القراءات السبع** لمكي القيسي، تحقيق د. محي الدين رمضان، الكويت ١٩٨٥م.

٢٨- **التيسير في القراءات** لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي ١٩٨٤م.

٢٩- **المقنع** لأبي عمرو الداني، طبعة دار الفكر ١٩٨٣م.

٣٠- **منار الهدى في الوقف والابتداء** للأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٣م.

٣١- **كتاب السبعة** لأحمد بن العباس بن مجاهد، طبعة دار المعارف، ١٤٠٠هـ.

٣٢- **الوافي في شرح الشاطبية**، عبدالفتاح قاضي، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٩٨٩م.

٣٣- **غاية النهاية في طبقات القراء** لابن الجزري، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية ١٩٨٢م.

٣٤- **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

٣٥- **إتحاف فضلاء البشر**، أحمد بن محمد الدمياطي، مطبعة حنفي- مصر.

٣٦- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** لابن رشيق، دار الجيل، ١٩٨١م.

٣٧- **ديوان الشيخ حياتي**، تحقيق أحمد المصطفى حياتي ود. محمد المهدي، دار النشر، جامعة الخرطوم.

٣٨- **التسهيل**، شكري أحمد حمادي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.

٣٩- **رياض المديح** (المقدمة) للشريف يوسف الهندي (ط أولى١٤٠٠هـ).

٤٠- **محامد الرحمن** للشريف يوسف الهندي (ط أولى ١٤٠٠هـ).

٤١- **المولد الكبير** للشريف يوسف الهندي (ط أولى ١٤٠٠هـ).

٤٢- **مجلة الفيض** – عدد ١٤ سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٣- **كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء**، محمد النور ضيف الله، تحقيق يوسف فضل الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٤٤- **تاريخ وجغرافية السودان** – نعوم شقير، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت ١٩٨١م.

٤٥- **تاريخ وأصول العرب بالسودان**، الفحل الفكي الطاهر، الخرطوم، دار الطابع العربي، ١٩٧٦م.

٤٦- **المسيد**، للأستاذ الطيب محمد الطيب، الطبعة الثانية ١٩٩٩ - دمشق.

٤٧- **تاريخ حياتي** للشيخ بابكر بدري (جزءان)، مطبعة مصر سودان ليمتد.

٤٨- **ديوان عبدالله البنا.**

٤٩- **ديوان محمد المهدي المجذوب.**

٥٠- **نفثات اليراع**، محمد عبدالرحيم، الخرطوم، شركة الطبع والنشر١٩٣٦م

٥١- **بري اللاماب**، لهارولد باركلي جامعة أريجون (أمريكا)، ١٩٦٤م، (بالإنجليزية).

٥٢- **قاموس تراجم السودان المصري الإنجليزي**-ريتشارد هيل-أكسفورد ١٩٥١م (بالإنجليزية).

٥٣- **في شان الله**، محمد أحمد الجابري، دار الفكر العربي - ١٩٤٨م.

٥٤- أصحاب الوقت، يحيى العوض، دار القوم، الخرطوم.

فهرس المحتويات

رقم الإيداع: 2016/974م